العرب
العرب القطاعي
alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2015/10/04 – الموافق لـ 20 ذو الحجة 1436
السنة 38 العدد 10056
Sunday 04/10/2015
38th Year, Issue 10056

ملف

أدب السجن

أحفاد عبد الرحمن الكواكبي

حسيبة عبد الرحمن، سحر حويجة، مفيد نجم، جابر بكر، راتب شعبو، جورج صبرة، صادق أبو حامد، عبد الرحمن مطر

ص11 إلى 17

وجوه

حلمي النمنم
ص 7
تنويري في معركة مستمرة مع طيور الظلام
السوري الذي بقي في الداخل
ص 8
بين وحشية النظام وشكوك المعارضة
فولكس فاغن
ص 9
سيارة الشعب التي ستطيح بأسواق العالم
الأخوان وانلي
ص 10
رسامان أنقذا الفن المصري من وصفته الجاهزة

واشنطن تتحرك في الوقت الضائع

● خيارات محدودة أمام الولايات المتحدة وحلفائها في مواجهة التحدي الروسي

الرئيس الأميركي باراك أوباما لم يعد أمامه من خيار سوى مراقبة المشهد

❑ **لندن** – تعتزم الولايات المتحدة تقديم دعم للآلاف من مقاتلي المعارضة السورية بالأسلحة، والقيام بغارات جوية لمساعدتهم في طرد تنظيم الدولة الإسلامية.

يأتي هذا بعد أن استمرت إدارة الرئيس باراك أوباما طيلة أربع سنوات من الأزمة السورية في إطلاق وعودها بدعم المعارضة السورية المعتدلة دون أن تقدم لهؤلاء المعارضين شيئا يذكر إلى أن تفاجأت بالتحرك الروسي الأخير، ما جعلها في وضع صعب.

وقال مسؤولون أميركيون إن من المرجح اتخاذ قرار في إطار إصلاح شامل لدعم الجيش الأميركي للمعارضين المسلحين لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية عقب نكسات قضت تقريبا على برنامج "للتدريب والتجهيز".

وكشفوا أن الاقتراح الذي تجري دراسته يقضي بدعم الولايات المتحدة وتركيا تجمّعا أغلبه من المقاتلين العرب ويضم أفرادا من جماعات عرقية متعددة، وخاصة ممن تربطهم علاقات وثيقة بأنقرة.

وقال مسؤولان أميركيان إن عدد المقاتلين الذين ينتظر أن يستفيدوا من هذا البرنامج يبلغ آلافا ولكنهما امتنعا عن تحديد رقم معين.

وواضح أن الإعلان عن هذا البرنامج هدفه امتصاص التأثيرات السلبية لسكوت إدارة أوباما على "الغزو الروسي" للملعب السوري، وهو غزو لم تجد واشنطن ما تردّ عليه سوى بالتحذيرات والتخويف من المستنقع السوري، تماما مثلما ورد في تصريحات أوباما ووزيره للخارجية جون كيري الذي يقود مبادرة للتطبيع مع الوضع الجديد.

لكن محللين قالوا إن البرنامج تحرك في الوقت الضائع، لأن عملية تدريب الآلاف من المقاتلين قد تستمر سنوات أخرى، وهو ما يعني أن البرنامج مجرد مناورة للتغطية على العجز في مواجهة التدخل الروسي الذي استهدف في أول غاراته مجموعات صغيرة تم تدريبها برعاية أميركية.

وقال العميد الأميركي المتقاعد والمحلل العسكري جيك جاكوبس، إن العملية العسكرية الروسية ضد "داعش" في سوريا أظهرت للعالم فشل السياسة الأميركية، ومن مصلحة واشنطن أن تسكت في هذه الحالة.

وأشار جاكوبس في حوار على قناة "سي إن بي سي" إلى أن "أيّ شخص عنده خبرة عسكرية، يعلم أن كل أعمالنا في المنطقة باءت بالفشل، لقد فشلنا لأنه لم تكن لدينا استراتيجية".

وأضاف أن من مصلحة الولايات المتحدة "أن تخرس"، واصفا تصريحات البنتاغون بشأن إعلامه من قبل موسكو عن نيتها القيام بعمل عسكري في سوريا بالشنيعة، معتبرا أن مثل هذه التصريحات تدل على أنه لم يكن لدى واشنطن أيّ شيء على الإطلاق لتقوله.

ولا تقف الصدمة من سلبية إدارة أوباما في مواجهة التحدي الروسي عند المسؤولين الأميركيين السابقين والحاليين، فقد بدأت صورة الولايات المتحدة كحليف ذي مصداقية تتهاوى لدى حلفاء إقليميين.

وسبق أن عبّرت السعودية ودول من مجلس التعاون الخليجي عن غضبها من تركيز أوباما على كسب ودّ إيران دون مراعاة مصالح حلفاء بلاده في المنطقة، بل ومصالح الولايات المتحدة نفسها في منطقة تعتبر سوقا حيوية للشركات والأسلحة الأميركية.

ويقلل المحللون من قدرة إدارة أوباما على التدارك، فأزمة الثقة مع الحلفاء لم تكن نتيجة أخطاء جزئية متفرقة، وإنما هي وليدة استراتيجية قاصرة عن فهم ما يجري في المنطقة.

وقال فيصل اليافعي كبير المعلقين بصحيفة (ذا ناشونال) الإماراتية "بعد التدخل الروسي تبدو الولايات المتحدة وحلفاؤها وكأنهم المجموعة الوحيدة التي ليست لديها خطة".

وهو يعتقد أن التحالف العسكري الصاعد بين روسيا والداعمين الرئيسيين الآخرين للأسد وهما إيران وحزب الله اللبناني لديه تصور عن "كيفية انتهاء هذا الأمر"، أي فرض بقاء الأسد. ويقول إن هذا ينطبق أيضا على تنظيم الدولة الإسلامية ذاته الذي يقاتل لأجل إقامة الخلافة.

وحدثت نقطة التحول في سوريا قبل عامين عندما تراجع أوباما وحلفاؤه الأوروبيون عن الرد على ما تردد حينذاك عن استخدام الجيش السوري لغاز الأعصاب في مهاجمة مدنيين في جيوب المعارضة شرقي دمشق وذلك رغم أن الرئيس الأميركي نفسه أعلن مرارا أن ذلك يمثل خطا أحمر.

وقال اليافعي "عند هذه النقطة أدرك نظام الأسد والإيرانيون في الأساس أن الأميركيين ليسوا جادين وليسوا مهتمين بدرجة كافية".

ولم يبق للبيت الأبيض إلا المراهنة على أن يتحول التدخل الروسي في سوريا إلى مستنقع شبيه بالمستنقع الأفغاني الذي انتهى بهزيمة مذلة، وانتظار هزيمة للروس دون أن يكون للولايات المتحدة أو حلفائها أيّ دور في ذلك.

وهذا رهان العاجزين الذين ينتظرون أن يحقق غيرهم ما عجزوا هم عنه.

وربما يغير الأميركيون من استراتيجيتهم في التعاطي مع المعارضة وبدل انتظار برنامج التدريب وتخريج آلاف المقاتلين الموالين لواشنطن، لا يستبعد خبراء أن تتولى واشنطن دعم مجموعات من المعارضة لتوريط روسيا في حرب طويلة الأمد.

ومن المؤكد أن الولايات المتحدة لن تفتح قنوات تواصل مع المجموعات المعارضة، وخاصة المتشددة وعلى رأسها جيش الفتح الذي يضم جبهة النصرة (فرع القاعدة في سوريا)، وأن الدعم ستتولاه دول أخرى حليفة في المنطقة مثل قطر وتركيا.

التصويت الإلكتروني يضفي شفافية على انتخابات الإمارات

❑ **أبوظبي** - شهدت انتخابات المجلس الوطني الاتحادي في الإمارات (البرلمان) التي جرت أمس إقبالا لافتا من الناخبين، كما تميزت بالسلاسة خاصة مع اعتماد نظام التصويت الإلكتروني باستخدام بطاقة الهوية المعتمدة.

وقال متابعون لسير العملية الانتخابية إن اللجنة الوطنية للانتخابات نجحت في توفير الإجراءات اللازمة التي تؤمن الدقة والشفافية للعملية الانتخابية.

ووصف الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان، وزير الخارجية الإماراتي هذه "الانتخابات بأنها استحقاق وطني وأولوية رئيسية تتطلب مشاركة فاعلة مبنية على المصلحة العامة للدولة لاختيار أعضاء فاعلين ومساهمين رئيسيين في خدمة الوطن".

وبدأ التصويت المبكّر داخل الإمارات خلال الفترة من 28 إلى 30 سبتمبر الماضي بهدف إتاحة الفرصة لمن لديهم ظروف تحول دون أداء واجبهم الانتخابي يوم الانتخاب.

وأدلى أمس السبت نحو 185 ألف ناخب إماراتي، بأصواتهم لاختيار 20 عضوا يمثلونهم في البرلمان.

وتم اعتماد نظام جديد في عملية التصويت وهو نظام "الصوت الواحد"، الذي لا يُسمَح بمقتضاه للناخب إلا باختيار مرشح وحيد مهما كان عدد المرشحين المطلوب انتخابهم في الإمارة التي ينتمي إليها.

وقال المتابعون إن التعليمات التنفيذية الجديدة بما تحمله من تعديلات في الإطار القانوني لتنفيذ العملية الانتخابية في كافة مراحلها ساهمت في إنجاح الانتخابات وأضفت عليها الشفافية اللازمة.

وتنافس في انتخابات الأمس 329 مرشحا بينهم 74 امرأة على 20 مقعدا، هم نصف عدد مقاعد البرلمان، فيما يتم تعيين النصف الآخر.

والمجلس الوطني الاتحادي هو السلطة الاتحادية الرابعة من حيث الترتيب في سلم السلطات الاتحادية الخمس المنصوص عليها في الدستور الإماراتي وهي المجلس الأعلى للاتحاد، ورئيس الدولة ونائبه، ومجلس وزراء الاتحاد، والمجلس الوطني الاتحادي، والقضاء الاتحادي.

ومن أبرز مهام المجلس النظر في مشاريع القوانين المحالة إليه من مجلس الوزراء وإتمام دراستها من خلال لجان مختصة ومن ثمة رفعها للسلطة العليا في الدولة وهي المجلس الأعلى للاتحاد لإقرارها أو ردها.

وكان أعضاء المجلس الاتحادي الأربعون يعيّنون، إلا أنه منذ عام 2006 تم اعتماد آلية انتخاب نصف أعضاء المجلس من قبل هيئات انتخابية، بينما يتم تعيين النصف الآخر.

وهذه الانتخابات هي ثالث انتخابات برلمانية تشهدها الإمارات، بعد انتخابات عامي 2006 و2011.

نجاح انتقال الإمارات من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التمكين ص4

هل يمكن شطب الشعب السوري من المعادلة؟
خيرالله خيرالله
ص 5

إخوان مصر يعيدون تنظيم أنفسهم في المصليات والزوايا

محمد الحمامصي

❑ **القاهرة** – يتحرك الإخوان لخلق ملاذات خاصة يتولون من خلالها إزعاج السلطات وإعادة تنظيم أنفسهم في خلايا جديدة، والاستمرار باستقطاب الأتباع، وهو أمر يتنافس فيه معهم التيار السلفي.

ووسط حالة الحرب التي تخوضها القوات المصرية وأجهزة الشرطة على الجماعات المتشددة، وعلى الرغم من قرار وزير الأوقاف بمنع الصلاة في الزوايا الصغيرة، التي تقل مساحتها عن 80 مترا، وحصر خطب الجمعة بيد الأئمة الذين يتم تعيينهم من الوزارة، إلا أن هذه القرارات يتم خرقها.

وما تزال الزوايا تقام في الحواري والأزقة في مختلف المناطق الشعبية خاصة في القاهرة الكبرى والإسكندرية.

وبالإمكان أن تجد في مسافة 250 مترا مربعا ما بين ثلاث إلى أربع زوايا مقامة تحت عمارات وأبراج أغلبها مخالف للقوانين، وتدار بلا رقيب، ولا أحد يعرف ما بداخلها، وهل يقتصر دورها على أداء الصلوات، أم يتعداه لبث خطاب الكراهية والعنف.

والأخطر من هذه الزوايا هو انتشار ظاهرة المصليات (جمع مصلى) في محطات المترو والوزارات والمؤسسات والهيئات والمصالح الحكومية والمقاهي وبين المحلات التجارية. وما يثير الانتباه أكثر هو استيلاء أنصار التيارين (السلفي والإخواني) على أماكن في الحدائق العامة التي تتوسط الشوارع الكبرى لإقامة مسجد، أو استغلال فراغات بجوار محطات المترو لإقامة مصليات.

ووصل هذا الانتشار الواسع للمصليات إلى المؤسسات الثقافية والعلمية، وأصبحت هناك مصليات للرجال وأخرى للسيدات. وهو أمر لا يأتي نتيجة عدم وجود جوامع أو مساجد على مقربة من تلك الأماكن، وإنما بهدف إقامة مصليات منغلقة على نفسها لأنصار هذا التيار أو ذاك لتقوية الأواصر بينهم، خاصة في ظل تراجع شعبية الإخوان والسلفيين في الشارع المصري.

ويرضخ البعض من رؤساء المؤسسات والهيئات والمصالح الحكومية لقيام هذه المصليات خوفا من تمرد موظفيهم، والبعض الآخر طمعا في إرضاء العملة حتى لا يثيروا حولهم ضجة ويستتروا على ملفات فسادهم.

وتريد الخلايا النائمة لجماعات الإسلام السياسي أن توجه رسالة للسلطات بأنها موجودة في الشارع، وأن لديها أساليب جديدة تمكنها من الإفلات من الرقابة، خاصة بعد الخطوات الأخيرة التي حظرت عليهم الدعاية في المساجد وبعد إغلاق فضائيات متشددة قبل الانتخابات البرلمانية.

وإذا كانت السلطات قد ضيقت الخناق على جماعة الإخوان وقلصت من هامش تحركها، فإن التيار السلفي بدأ في الفترة الأخيرة بالبحث عن وسائل دعاية بديلة للاستقطاب سواء بمواقع التواصل الاجتماعي أو عبر اللقاء المباشر مع الناس في وسائل النقل.

وتعمل هذه الخلايا على اختبار ردة فعل الدولة، فإن سمحت لهم بالاستمرار يكونون قد حققوا أهدافهم، وإن ضيقت عليهم يتهمونها باستهداف حرية العبادة، وهو ما تسعى وزارة الأوقاف إلى نفيه باستمرار.

وطالما أكد مختلف المسؤولين أن الدولة لا تضيّق على المتدينين وتفتح لهم أبواب إقامة الشعائر في كل مكان دون استثناء حتى لو كان هذا المكان ديوان الرئاسة أو رئاسة الحكومة أو الوزارة، وأن حربها على الجماعات المتطرفة والإرهابية ليست حربا ضدا الإسلام كما تدّعي تلك الجماعات.

ويصف بعض المراقبين سعة الصدر الحكومية تجاه انتشار المصليات بأنها تراخ في مواجهة التطرف، وهي النقطة التي يتسلل منها المتطرفون لتنظيم أنفسهم وترويج خطاب المظلومية للتأثير في الشارع.

وسبق أن حذر خبراء في الحركات الإسلامية من خطورة التيار السلفي، خاصة أن هذا التيار سعى للاستفادة من الصراع بين الحكومة وجماعة الإخوان المسلمين، وبدأ بالتسلل إلى المؤسسات والسيطرة عليها مع الإيهام بالوقوف مع الدولة في مواجهة الجماعة.

من بشير لسمير: ما بينعسوا الحراس
أحمد عدنان
ص 6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

تونس على النهج المصري في مكافحة الإرهاب

السيسي والسبسي يبحثان سبل التحرك العسكري لحصار الإرهابيين القادمين من ليبيا

تعكس الزيارة التي يقوم بها اليوم الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي إلى القاهرة حرص الأخير على تعزيز العلاقات مع مصر، في ظل الوضع الإقليمي الملتهب، والتهديد الإرهابي المشترك المتأتي من جارتيهما ليبيا والذي يبدو أن لا مناص من عمليات عسكرية جراحية لاستئصال جذوره.

الأوضاع الإقليمية الملتهبة تدفع الرئيس التونسي إلى تعزيز العلاقات مع القاهرة

□ **القاهرة** – كشف مصدر سياسي لـ"العرب" أن مباحثات الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي بالقاهرة اليوم وغدا، ستعطي أولوية لمناقشة أبعاد وتحديات الملف الليبي، وبحث فكرة التدخل العسكري من خلال عمل محدود، يتضمن تنفيذ ضربات جوية خاطفة، من أجل مساعدة الجيش الليبي على تحرير الأراضي الليبية، التي يسيطر عليها تنظيم داعش والميليشيات المسلحة.

وقال المصدر إن مصر تميل إلى تأجيل أيّ قرار عسكري بالتدخل الواسع في الأراضي الليبية، إلى ما بعد الانتهاء من تشكيل القوة العربية المشتركة.

وعلمت "العرب" أن مصر تتعاون مع تونس معلوماتيا وأمنيا في تدريب قوات شبيهة بوحدات التدخل السريع على مكافحة الإرهاب، وقامت القوات المسلحة المصرية بعدد محدود من الطلعات الجوية في الغرب الليبي، بطائرات الرافال التي تسلمتها مؤخرا من فرنسا.

وأوضح مصدر رئاسي مصري لـ"العرب" أن القاهرة لعبت دورا مهما في تحول الموقف التونسي تجاه تركيا، حيث كشفت المخابرات المصرية لتونس معلومات تؤكد قيام تركيا بدور في دعم الإرهاب، وقدمت لها صورا لسفن تركية ترعى حركة نقل الإرهابيين في البحر المتوسط، وهو ما عكسته تصريحات للطيب البكوش وزير الخارجية التونسية اتهم فيها أنقرة صراحة بمساعدة الإرهاب في تونس، وتسهيل تنقل إرهابيين نحو العراق وسوريا، تحت مسمى الجهاد.

كما كان للقاهرة دور في إقناع تونس بوقف تجميد العلاقات الدبلوماسية مع سوريا، وفتح باب للتنسيق المباشر مع دمشق بشأن مصير آلاف التونسيين الذين ذهبوا إلى سوريا، وانضم عدد كبير منهم لقوى متطرفة. وعلمت "العرب" من مصادر أمنية، أن موجات الإرهاب المتتالية التي ضربت كل من مصر وتونس، جعلت من رفع مستوى التنسيق والتعاون ضرورة حتمية، فرضتها رغبة لدى قيادتي البلدين، لصد الهجمة الشرسة التي تهبّ على كليهما من ليبيا، بسبب الفوضى التي تعمّ شرق وغرب هذه الدولة، خاصة أن لدى مصر منهج شامل في مكافحة الإرهاب، يمكن أن يكون مرشدا لأجهزة الأمن التونسية لوقف تمدد الإرهابيين.

> الزيارة التي يقوم بها الرئيس التونسي إلى القاهرة يومي 4 و5 أكتوبر الجاري، تطوي صفحة سادها قدر من الارتباك، جراء تباين الموقف من جماعة الإخوان المسلمين

وأكد مراقبون أن الزيارة التي يقوم بها الرئيس التونسي إلى القاهرة يومي 4 و5 أكتوبر الجاري، تطوي صفحة سادها قدر من الارتباك، جراء تباين الموقف من جماعة الإخوان المسلمين، فمصر ترى صعوبة قبولها كجزء من العملية السياسية الجارية، وتصر على الإقصاء، عقب ثبوت دعم الجماعة لكثير من عمليات العنف والإرهاب، بل والتورط في عدد منها، بينما تشارك الجماعة في الحكومة التونسية الحالية.

لكن الجانبين تجاوزا في الآونة الأخيرة التباين حول هذه القضية، وبدأ التقارب يتصاعد، بعد تزايد التهديدات التي تمثلها الجماعات المتطرفة في ليبيا، حيث تسرّبت عناصر منها عبر الحدود المشتركة لكل من الدولتين.

وإذا كانت مصر نجحت في سد الكثير من المنافذ الحدودية، من خلال التنسيق مع الجيش الليبي والقبائل وتكثيف الدوريات المرورية، فإن التساهل النسبي على الجبهة التونسية، ساهم في استمرار تدفق عناصر داعشية إلى داخل تونس، حتى نجحت في ارتكاب جرائم في العمق التونسي.

وعندما استشعرت تونس تنامي الخطر، ضاعفت من إجراءاتها الأمنية على الحدود مع ليبيا، لكن ظلت بعض الثغرات التي يتسرب من خلالها المتشددون مفتوحة وعصية على السيطرة، لأن الساحة التي يتحركون فيها (ليبيا) يصعب ضبطها دون إجراءات إقليمية جماعية، وهنا جرت مياه كثيرة بين مصر وتونس والجزائر، فشلت جميعها في اتخاذ خطوات عملية لإغلاق المنافذ، وتطويق العناصر الإرهابية داخل معسكراتها.

لذلك رجّح متابعون لـ"العرب" أن يكون الملف الليبي على قائمة الملفات التي سيتم طرحها في اللقاء الأول بين الرئيس السبسي ونظيره المصري عبدالفتاح السيسي، بعد أن نضجت الرؤية المشتركة للبلدين، واتفقا على أن تهديدات المتطرفين القادمين من ليبيا تمثل الخطر الأكبر الذي يقض مضاجع كل من مصر وتونس الآن، وربما في المستقبل.

وكان الرئيس السبسي، أفصح في أثناء حملته الانتخابية، عن رغبته في تكوين تحالف إقليمي لمواجهة الإرهاب، يضم كلا من مصر وتونس والجزائر، لكن تباين المواقف بين الدول الثلاث، أخمد الفكرة مقدما، بل تسبب في صعوبة التنسيق العملي، وكاد مشروع التعاون الإقليمي يختفي، إلا أن تصاعد التحديات منح الفكرة قبلة حياة جديدة.

وأكد كارم يحيى الخبير في الشأن التونسي، أن الدلالة المهمة التي تحملها زيارة السبسي للقاهرة في هذا التوقيت تكمن في أنها تأتي بعد أقل من شهر واحد من انعقاد أعمال اللجنة العليا المصرية-التونسية، وهو الانعقاد الأول منذ خمس سنوات.

وقال لـ"العرب" إن أطر التعاون المشترك أخذت دفعة قوية من وراء انعقاد اللجنة، وسوف تستكمل حلقاتها بزيارة الرئيس التونسي للقاهرة، مشيرا إلى أن هناك قضايا مشتركة بين الجانبين، ويعيشان مرحلة انتقالية ممتدة، كما أن ثمة تحديات متقاربة، على رأسها محاربة الإرهاب.

وأوضح يحيى أنه في شهر واحد، وهو شهر أغسطس 2015، تم سنّ تشريعين في البلدين لمكافحة الإرهاب، وهو ما يشير إلى أن التحديات في هذا الفضاء مشتركة، كما أن سن التشريعين كان قد أثار مخاوف عند قطاعات من الرأي العام في البلدين، لكن بدرجات متفاوتة، خشية أن تكون مواجهة الإرهاب على حساب الحريات وحقوق الإنسان. ونوّه إلى أن الرئيس السبسي ينتمي إلى ميراث الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، أي ميراث دولة الاستقلال، وكانت له تصريحات قبل أن يصبح رئيسا، عبّر فيها عن رغبته في تعاون إقليمي موسع لمواجهة الإرهاب، يشمل مصر والجزائر إلى جانب تونس، لأن الإرهاب له بعد إقليمي واضح، خاصة في ظل المشاكل التي تعاني منها ليبيا، وتحوّلها إلى مخزن للسلاح لخدمة الإرهابيين.

> التساهل النسبي على الجبهة التونسية، ساهم في استمرار تدفق عناصر داعشية إلى داخل البلاد، حتى نجحت في ارتكاب جرائم في عمق أراضيها

وشدد السفير فتحي الشاذلي مساعد وزير الخارجية المصري (سابقا) على أن زيارة السبسي مقدمة جيدة لفتح سبل التعاون في المجال الأمني، لأن ملف استقرار ليبيا سيكون حاضرا بقوة في حواراته مع المسؤولين في مصر، مشيرا إلى أن هناك حوارات مشتركة، ولم تتوقف عمليات تبادل المعلومات لتفادي المخاطر الناجمة عن انتشار الإرهاب.

وأكد السفير الشاذلي لـ"العرب" أن النقاشات أيضا سوف تدور حول القضايا الثنائية ذات الاهتمام المشترك، فضلا عن قضايا الهجرة غير الشرعية، وتطوير التعاون الاقتصادي.

من جانبه، قال خالد عكاشة الخبير في القضايا الاستراتيجية في تصريحات خاصة لـ"العرب" إن اللقاء بين الرئيسين، المصري والتونسي، سيتطرق للتباحث حول آليات إعادة الاستقرار إلى ليبيا، وكيفية وضع حد لصعود الجماعات والميليشيات المسلحة، التي أخذت تتغول في الجنوب التونسي، وأفضت إلى زيادة موجات الإرهاب على أراضيها.

السويد تحيي الإجماع الوطني المغربي حول الصحراء المغربية

حسن السوسي

❑ دقت ساعة التعبئة من جديد في المغرب في سبيل نصرة قضية الصحراء المغربية التي تعتبر القضية الوطنية الأولى للمملكة وجزءا من سياسة البناء الديمقراطي التنموي الشامل. وإذا كان لمشروع قانون الحكومة السويدية الداعي إلى الاعتراف بـ"الجمهورية الصحراوية" المزعومة من أثر إيجابي، فهو يتمثل في لعب دور المنبّه إلى أن قضايا المغرب ليست منحصرة في مسائل الانتخابات الجهوية والجماعية، على أهميتها، وإنما تشمل عددا لا يحصى من القضايا الهامة، وفي مقدمتها قضية الصحراء المغربية والنزاع الإقليمي المفتعل حولها.

وفي سياق مواجهة هذا التطور، تمّ عقد اجتماع بين رئيس الحكومة والأمناء العامين للأحزاب السياسية المغربية الممثلة في البرلمان، في كل من الحكومة والمعارضة، بتوجيه من الملك محمد السادس لبحث الأزمة الحالية في العلاقات بين المغرب والسويد بخصوص موقف ستوكهولم من القضية الوطنية المغربية.

وتم الاتفاق على تشكيل وفد من الأحزاب السياسية المغربية يتوجّه إلى ستوكهولم لفتح حوار واسع مع الحكومة السويدية ومختلف القوى السياسية وتوضيح صورة الموقف الحقيقي لقضية المغرب الوطنية، وتنبيه الحكومة السويدية إلى أنها سترتكب خطأ فادحا في معاداة المغرب والانحراف عن موقف الاتحاد الأوروبي الرسمي من قضية الصحراء الموضوعة تحت عهدة الأمم المتحدة في سبيل الوصول إلى حلّ سياسي متوافق عليه بين الأطراف المعنية بالنزاع.

في الواقع، إن طبيعة النزاع الإقليمي المفتعل حول الصحراء المغربية، الذي تجاوز أمده أربعة عقود هي التي تفسر بروز مشكلات، مع هذه الدولة أو تلك، غير أنه لا ينبغي لمثل هذه المشاكل الدبلوماسية أن تحجب الإنجازات التي حقّقها المغرب، في هذا المجال، على جميع المستويات، حيث تمكن من إقناع عدد لا يستهان به من الدول بسحب اعترافها بمزاعم البوليساريو خلال العقدين الأخيرين.

على سبيل الذكر فإن أكبر انتكاسة عرفتها قضية الصحراء تعود إلى أكثر من ثلاثين عاما، أي عام 1984 عندما تم قبول عضوية الدولة المزعومة في منظمة الوحدة الأفريقية الأمر الذي فرض على المغرب اتخاذ قرار الانسحاب النهائي منها.

ومنذ ذلك الحين والاتحاد الأفريقي يقود حملة دبلوماسية وسياسية مضادة وخاصة في عهد الملك محمد السادس الذي أعاد إلى المغرب وزنه المؤثر على الساحة الأفريقية ذاتها التي اعتقد أعداؤه أنهم بفرض عضوية دولة الصحراء المزعومة في منظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي حاليا) قد ضيقوا الخناق على المغرب. ولفهم بعض التقلبات التي تطرأ على بعض المواقف على هذا المستوى، ينبغي التمييز بين نوعين من الدول في التعاطي مع قضية الصحراء، النوع الأول تمثله دول ليس لديها إلمام كاف بعناصر الملف الأساسية، وبالتالي فإنها قد تتبنى أول موقف يتمّ طرحه عليها من قبل أول من يعقد اتصالات بها، ويدعمها ماليا. وهنا ينبغي الاعتراف أن الجزائر قد جنّدت لهذا منذ عقود طويلة ما يكفي من الأموال والرجال خاصة أن قضية الصحراء جزء لا يتجزأ من سياستها الخارجية مذ كان عبدالعزيز بوتفليقة يشغل منصب وزير الخارجية في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين.

أما النوع الثاني فهي الدول التي لا يتوقف موقفها على طبيعة عناصر القضية لاندراجه ضمن تصورات معينة للتحالفات على المستويات الإقليمية والدولية، وعلى هذا المستوى، فإن الجزائر رغم تنكرها لجلّ المبادئ والأهداف التي كانت وراء اندلاع ثورة الشعب الجزائري في وجه الاستعمار الفرنسي، قبل ستة عقود ونيف من الزمن فإنها مستمرة في الاستفادة من هذا الرصيد، كما لو كان ثابتا من ثوابت سياستها الخارجية، في حين أن بينها وبين تلك المبادئ جدار سميك من الممارسات المناهضة لمبادئ التحرر الوطني، كما يدل على ذلك على سبيل المثال لا الحصر، موقفها من قضية الصحراء المغربية، اذ لم تفعل غير تبني موقف الجنرال الأسباني فرانكو الذي كان يعمل جاهدا لخلق كيان قزمي في الصحراء على أساس مزاعم واهية وفي مقدمتها أن الاستعمار الأسباني عندما احتل منطقة الصحراء في نهاية القرن التاسع عشر لم يقم بالاعتداء على الوحدة الترابية المغربية وإنما دخل إلى أراض لا مالك لها.

يدفع عزم السويد الاعتراف بـ"الجمهورية الصحراوية" إلى طرح السؤال المركزي التالي: هل ترغب هذه الدولة الأسكندنافية في فتح جبهة أزمة أخرى بين الاتحاد الأوروبي والمغرب عندما لم تراع المواقف الرسمية للاتحاد حول قضية الصحراء؟

ولعل أهمية هذا السؤال تكمن في ثلاثة امور أساسية هي:

كون هذا المسعى يأتي في سياق انفجار فضائح تورطت فيها قيادة البوليساريو والجزائر حول تحويل المساعدات، وقد كشفت ذلك تقارير الاتحاد الأوروبي الرسمية التي كشفت أيضا تورّط قيادات انفصالية في خطف رهائن بينهم أوروبيون.

المغرب دولة تحارب الإرهاب والبوليساريو كما تقول بعض التقارير منظمة مسلحة تتلقى كل أشكال الدعم السياسي والعسكري الجزائري منذ عشرات السنين.

بل إن الأراضي التي تسيطر عليها في تيندوف تعتبر مصدّرا هاما للمقاتلين في صفوف التنظيمات الجهادية خصوصا القاعدة.

المغرب يحظى بوضع الشراكة المتقدمة مع الاتحاد الأوروبي ويملك هذا الاتحاد من الحكمة ما يجعله لا يفرّط في شريك أساسي في مختلف المجالات وفي مجال مكافحة الإرهاب بالذات حيث يلعب المغرب دورا رياديا باعتراف مختلف العواصم الأوروبية.

في ظل هذه الأجواء، أنهى مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة كريستوفر روس جولته إلى المنطقة لبلورة تقرير يقدمه للأمين العام هذه الأيام. وقد لوحظ أن المغرب لم يول أيّ اهتمام بزيارة روس، حيث لم يتم استقباله إلا من قبل الكاتب العام لوزارة الخارجية الناصر بوريطة مما يدل على استمرار انعدام الثقة بين الرباط وروس المنحاز غالبا لأطروحة الجزائر بخصوص الصحراء المغربية.

ولعل التوجس المغربي من تحركات روس هو الذي جعل المغرب يؤكد في خطابه الرسمي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة "إن منظمة الأمم المتحدة، التي تحتفل بذكراها السبعين، قد بلغت سن النضج والحكمة والمسؤولية.

وبالتالي فإن عملها لا ينبغي ألاّ يكون سببا في زعزعة استقرار الدول التي لا تتردد في التعاون المثمر معها، وإننا نأمل أن تواصل منظمة الأمم المتحدة جهودها من أجل حلّ الخلافات بالطرق السلمية، والتزامها باحترام سيادة الدول ووحدتها الترابية، لتحقيق تطلعات شعوب العالم إلى السلم والأمن والاستقرار".

وهو ما اعتبره مراقبون رفضا مغربيا مسبقا لأيّ محاولة ترمي إلى اقتراح أيّ بديل عن الحل السياسي المتفاوض عليه والذي قدّم المغرب في سياقه مبادرته للحكم الذاتي الموسّع في إطار احترام السيادة المغربية الذي اعتبر على الساحة الدولية اقتراحا جديًا.

نوايا التحالف الرباعي الوليد تثير ريبة دول الخليج

العبادي: بغداد لا تمانع في دعم التحالف للعراق في حربه على داعش

مشـــاركة حكومة حيدر العبادي في تحالف مع كل من دمشق وموسكو وطهران، ستزيد من الفجوة القائمة بين العراق والدول الخليجية وخاصة المملكة العربية السعودية التي تنظر لهذا التحالف بريبة لجهة وجود إيران والنظام السوري فيه.

التحالف الجديد مع روسيا يوتر العلاقة بين أوباما والعبادي

□ **بغداد** – ينسف انخراط بغداد ضمن التحالف الرباعي الذي يشمل كلا من النظام السوري وإيران وروسيا، الإشارات التي ظهرت على السطح في الأشهر الماضية حول رغبة رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي رسم مسافة مع إيران، عبر تكريس سياسة خارجية متوازنة، تضع في اعتبارها أهمية التقارب مع الدول العربية وخاصة الخليجية.

فالتحالف الوليد والذي بات أمرا واقعا يثير ريبة الدول الخليجية وخاصة المملكة العربية السعودية لجهة ضمه للنظام السوري وطهران.

ورغم أن هذا التحالف الذي كثر الحديث عنه في الأيام الأخيرة يرتكز على شعار "محاربة تنظيم الدولة الإسلامية"، إلا أن محللين ومسؤولين غربيين وخليجيين يرون أن للتحالف أهدافا وغايات معلنة وخفية، بالنظر إلى المسار الذي اتخذته الحملة الجوية الروسية في سوريا.

وأعرب أمس السبت، رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي عن استغرابه من تحفظ البعض على التعاون مع روسيا واصفا إياهم بأنهم "يتصرفون وكأن الرئيس الأميركي باراك أوباما أحد أقاربهم"، في تصريحات تعكس تجاهلا لتبعات ما ينجر عنه مثل هكذا تحالفات سياسيا وأمنيا.

وأكد رئيس الوزراء العراقي، خلال مؤتمر صحفي أن العراق "سيقبل أيّ دعم من أيّ طرف لأنه الدولة الوحيدة التي تحارب داعش وعلى العالم مساعدته".

وشدد العبادي على عدم وجود أيّ مانع من تزويد التحالف الرباعي للعراق بالسلاح لمحاربة داعش، مشيرا إلى أنه لا تحفظات على توجيه روسيا ضربات جوية ضد التنظيم المتطرف بالعراق بشرط موافقة الحكومة.

> الانخراط العراقي في التحالف الرباعي الوليد من شأنه أن يكبح الانفراج النسبي الحاصل في العلاقات العراقية مع الدول العربية وخاصة الخليجية

وكانت موسكو قد بادرت إلى القول بأنها ستدرس أيّ مقترح عراقي يتقدم لها حول توسيع دائرة هجماتها الجوية لتشمل مواقع للتنظيم في العراق، في تصريح يؤكد أن هناك "طبخة" مسبقة للقيام بهذه الخطوة.

ومباركة المرجع الشيعي علي السيستاني ضمنيا لتدخل روسي في العراق ليس بمعزل عن ذلك.

وأوضح العبادي السبت أن "التحالف الرباعي (الجديد) هو تحالف أمني واستخباري"، مشيرا إلى "وجود تحفظات لدى الولايات المتحدة الأميركية عليه".

وكانت موسكو قد أعلنت في سبتمبر الماضي عن تشكيل غرفة عمليات مشتركة تضم رؤساء أركان جيوش الدول الأربع (روسيا، والعراق، والنظام السوري، وإيران) لتعقب قيادات وعناصر تنظيم داعش.

وقد تسلمت بغداد قيادة هذه الغرفة والتي ستنتقل بصفة دورية بين الدول الأربع.

وأبدت واشنطن رفضها الانخراط في التحالف لعدة اعتبارات أولها أن ذلك سيعني الاعتراف رسميا بشرعية النظام السوري وعلى رأسه بشار الأسد، كما أنها ستظهر وكأنها ملحقة به الأمر الذي سيشكل ضربة قوية لهيبتها بالمنطقة.

ويرى محللون أن هذه المستجدات المثيرة والانخراط العراقي القوي فيه باعتبار أن المركز مقام في بغداد وهي من تتولى القيادة الحالية، من شأنه أن يعطل مكابح الانفراج في العلاقات العراقية مع الدول العربية وخاصة الخليجية منها التي تنظر لهذا الحراك بقلق كبير، خاصة وأنه يعني مزيد تثبيت أقدام طهران في اللعبة الجيوسياسية بالمنطقة.

وتعتبر دول الخليج العربي إيران أحد مسببات الأزمات التي تشهدها عدة دول عربية بدءا بالعراق وصولا إلى اليمن، في سياق محاولاتها مد نفوذها في المنطقة، عبر تحريك أذرعها لنشر الفتن الطائفية.

وقد أبدى حيدر العبادي منذ تقلده لمنصب رئاسة الوزراء رغبة في مد جسور التواصل مع الدول الخليجية التي يعاب عليها تركها لسنوات الساحة العراقية، ما أدى في النهاية إلى تغلغل النفوذ الإيراني.

الإشارات العراقية قابلتها المملكة العربية السعودية وغيرها بالترحيب، وانطلقت الخطوات العملية لعودة التمثيليات الدبلوماسية بين بغداد والرياض بعد قطيعة دامت قرابة ربع قرن وسط موجة من ردود الفعل المرحّبة والمستاءة من هذا التغيير.

وبدأت، قبل أشهر، مؤشرات لتقارب سعودي عراقي وبرزت لا سيما بعد إعادة افتتاح السفارة السعودية، في بغداد، وإعلان حيدر العبادي رئيس الوزراء العراقي عن قرب موعد فتح السفارة العراقية في الرياض وتعبيره عن ارتياحه لهذه الخطوة.

واعتبر محللون آنذاك الخطوة السعودية بأنها إقرار من الأخيرة بأنه لا يمكنها الاستمرار على حيادها إزاء الملف العراقي، وأنه حان الوقت لاقتحام الساحة التي ظلت مطولا حكرا على الجانبين الأميركي والإيراني، لا سيما بعد أن تبينت تغيير واشنطن لسياستها وتوجهها إلى طهران على حساب حلفائها في دول الخليج، ووعيها بحقيقة التحديات الأمنية الخطيرة التي تواجه المنطقة عموما وخاصة تهديدات تنظيم داعش فيما لو زاد نفوذه أكثر في العراق.

هذا إلى جانب رغبة السعودية في أن يتمتع العراق بنظام سياسي يسمح بمشاركة فعلية للعرب السنّة ويقطع مع ما ساد في فترة حكم نوري المالكي، وهو الخيار الذي يروّج له حيدر العبادي رئيس الوزراء العراقي الحالي على مستوى الخطاب الإعلامي.

ولا يتوقف القلق السعودي إزاء هذه الملفات بل يشمل المجال الطاقي إذ تسعى الرياض إلى وضع خطط طموحة ومشتركة مع العراق على مستوى إنتاج النفط في هذه الفترة قبل أن ترفع العقوبات الاقتصادية نهائيا عن طهران التي قد تحاول هي الأخرى وضع مشاريع في هذا الإطار بهدف التحكم في السوق النفطية والأسعار في السنوات القادمة والتضييق بالتالي على الجانب السعودي.

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات السعودية العراقية توترت منذ حرب الخليج الثانية سنة 1990 وقامت المملكة العربية السعودية بقطع العلاقات مع بغداد وتم إغلاق السفارة السعودية في العراق حتى سنة 2003 عندما أعلن وزير الخارجية السعودية أن الرياض لن تقصف العراق أو تسمح باستخدام قواعدها للهجوم على العراق، وما تبعه من آمال حول إعادة ترتيب العلاقات ولكن دون جدوى.

حيث لم تشهد العلاقات أيّ تحسن لا سيما بعد تولي نوري المالكي رئاسة الحكومة السابقة في عام 2006. واتهمت السعودية المالكي بممارسة نهج طائفي في السلطة، فيما ظل نوري المالكي يروج لكون السعودية تقف وراء أعمال العنف في العراق.

وقد سبق للسعودية أن عينت سفيرا غير مقيم لها في بغداد سنة 2012 قبل انعقاد القمة العربية في بغداد في ذلك العام، إلا أنها تراجعت عنه بعد أشهر بسبب الخلافات مع حكومة نوري المالكي.

ويقول محللون إن الانفراج النسبي في العلاقات السعودية العراقية الذي لمسوه خلال الأشهر الماضية، معرّض اليوم مجددا للاهتزاز على ضوء المستجدات الحاصلة على الساحتين العراقية والسورية.

ويستدرك المحللون بالقول إن المملكة العربية السعودية لن تعود إلى سياسة الانكماش والابتعاد عن العراق فليس من صالحها كما أنه ليس من صالح الشعب العراقي.

التحالف العربي يتجه إلى تحرير تعز بعد باب المندب الاستراتيجي

تحرير مضيق باب المندب الاستراتيجي انتصار معنوي كبير للمقاومة اليمنية

□ **عدن** – كشفت مصادر يمنية وصول تعزيزات عسكرية ضخمة إلى مدينة تعز جنوب العاصمة صنعاء، في مؤشر على أنها ستكون خطوة التحالف العسكرية الثانية بعد النجاح في تحرير مضيق باب المندب الاستراتيجي .

ونجحت قوات من الجيش اليمني والتحالف العربي، الجمعة في تحرير مضيق باب المندب، وجزيرة ميون القريبة منه من قبضة الحوثيين وأنصار الرئيس السابق علي عبدالله صالح.

وحذر نائب الرئيس اليمني ورئيس الحكومة خالد بحاح، السبت، الحوثيين وحلفاءهم قائلا إنه لم يعد أمامهم "أي فرصة للمغامرات السياسية والعسكرية".

وقال بحاح خلال زيارة لمعسكر قرب باب المندب للائتلاف العربي الذي ساهم في استعادة منطقة المضيق قبل ايام "هناك مغامرات تمت من قبل الحوثيين و(الرئيس السابق علي عبدالله) صالح للقضاء على مقدرات الدولة، ونحن الأن في المعركة لاستعادة الدولة".

وأضاف "لن تكون هناك أي فرصة للمغامرات السياسية والعسكرية وهذه رسالة أخيرة للحوثيين وحلفائهم".

واعتبر المسؤول اليمني استعادة باب المندب وجزيرة ميون "نصرا استراتيجيا كون المضيق يعد ممرا ملاحيا عالميا".

من جهته، قال العميد ناصر مشبب قائد القوات الإماراتية "تم تكليفنا من قبل قيادة التحالف العربي باستعادة باب المندب، وتم التخطيط للعملية برا وبحرا وجوا وتمت مفاجأة العدو واستعادة هذه المواقع الاستراتيجية خلال خمس ساعات".

وقبل زيارة بحاح لمعسكر التحالف الذي تم استحداثه أقامت قوات التحالف العربي عرضا عسكريا بالمركبات والاليات العسكرية شاركت فيه نحو ثمانين قطعة بينها قطع مدفعية ودبابات ومدرعات.

وتتوقع المصادر أن تكون تعز المحطة التالية بعد باب المندب، مؤكدة وصول قوات من التحالف العربي والجيش اليمني خصوصا إلى مديرية الوازعية التي تشهد مواجهات عنيفة مع الحوثيين. يأتي ذلك وسط أنباء عن سقوط عدد من المواقع في المدينة المهمة بأيدي قوات الجيش اليمني.

ويعاني المتمردون الحوثيون حالة صدمة و انهيار كبيرين في معنوياتهم بعد أن فقدوا السيطرة على باب المندب، أهم مضيق مائي عالمي يربط خليج عدن، وبحر العرب والبحر الأحمر. وقد تحدثت مصادر مطلعة عن استسلام العديد من قيادات الحوثيين بعد الهزيمة المدوية التي تكبّدوها هناك.

انهيار معنويات جماعة الحوثي ترجمت أيضا في خطاباتهم الإعلامية والسياسية، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي.

وعلى ضوء ذلك يخشى العديد من إقدام الحوثيين على أعمال أكثر إجرامية ضد الشعب اليمني، خاصة وأن معالم الهزيمة باتت واضحة لديهم.

وتحدثت مصادر عن أن عناصر الحوثيين وفي محاولة يائسة منهم للإبقاء على هيمنتهم على تعز، التي تعتبر أحد المداخل الرئيسية لتحرير العاصمة صنعاء، قاموا باتخاذ المدنيين كدروع بشرية. ويرى محللون أن مثل هذه الخطوة تعكس حالة الارتباك الشديد الذي تعانيه الجماعة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

«وطني 2015» تؤكد نجاح الانتقال من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التمكين

إقبال إماراتي لافت في انتخاب ممثلي الشعب في المجلس الاتحادي

تعتبر تجربة انتخابات المجلس الوطني الاتحادي في الإمارات والتطورات التي تشهدها منـذ ولادة فكرة البرلمان الإماراتي حتىٰ اليوم، أحد أبرز الخطوات التي تسـاهم عمليا في إشراك المواطن في مختلف مجريات العملية السياسية والاجتماعية، التي تسير وفق نسق تدريجي يرسّخ خطىٰ سياسة التشارك.

الشيخ عبدالله بن زايد، وزير الخارجية، والوفد الإماراتي المشارك في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة أدلوا بأصواتهم بمقر بعثة الإمارات لدى الأمم المتحدة في نيويورك

❑ **أبوظبي** – أدلىٰ نحـو 185 ألـف ناخـب إماراتي، أمس السبت، بأصواتهم لاختيار 20 عضوا، من بين 329 مرشـحا، بينهم 74 امرأة، يمثلونهـم فـي المجلس الوطنـي الاتحادي (البرلمـان)؛ ضمـن عمليـة انتخابية شـهد ناخبون ومراقبون بنجاحها، وأكّدوا أن نسبة الإقبال فيها فاقت الدورتين السابقتين.

وكانت الانتخابات قد انطلقت في سفارات الإمـارات بالخـارج يومي 20 و21 سـبتمبر الماضـي، وقـدّر الناخبـون بـ1389 ناخبا؛ فيما بـدأ التصويت المبكـر داخل الإمارات خلال الفترة من 28 إلىٰ 30 سـبتمبر الماضي.

وقـال وزير الدولة لشـؤون المجلس الوطني الاتحادي، رئيس اللجنة الوطنية للانتخابات، أنـور قرقـاش، إن مرحلة التصويـت المبكر "تمـت بنجـاح وشـهدت إقبـالا طيبـا مـن الناخبيـن وتمثل إضافة إيجابية للممارسـة الانتخابية في الدولة".

وأشـار إلىٰ أن عدد المصوتين بلغ 37 ألفا و663 ناخبـا، معتبـرا أن التصويـت المبكّر منح الفرصة للعديد من الناخبين للمشـاركة فـي العمليـة الانتخابية بناء علـىٰ ظروفهم الحياتية والتزاماتهم.

ويؤكد مراقبون أن الاقبال علىٰ التصويت في الانتخابات البرلمانية جاء ليترجم فاعلية منظور القيادة الإماراتية في إشراك المواطن في صناعة القرار وترسيخ سياسة التواصل والتشـارك؛ وأيضا جاء الإقبال اللافت ليكون أفضـل ردّ علـى المزاعم والتقاريـر، الفاقدة للموضوعية، التي تصدرهـا منظمات دولية تدّعي أنها حقوقية، بالاعتماد علىٰ جهة دون أخـرى، وتعمّم بعـض النقائص التي لا تنكر القيـادة الإماراتية وجودها لكن يجري العمل علىٰ تصحيحها بشكل نابع من واقع الإمارات وطبيعـة مجتمعهـا وسياسـتها ومحيطها الإقليمي، لا عبر إملاءات خارجية.

ويضيف المراقبون أن التفاعل الشـعبي مع ثالث انتخابات برلمانية تشـهدها البلاد بالغ الأهمية لأنـه يعني للغالبية العظمىٰ من الإماراتيين ضمان الاسـتقرار وقطع الطريق أمام محاولات إحداث شرخ في العلاقة بينهم وبين القيـادة، وأيضـا تأتـي كأفضل ردّ علـىٰ المقاطعين والمعارضين، حيث يؤكّد مراقبـون أن الاقبـال علىٰ الـدورة الثالثة للانتخابـات البرلمانيـة، فـاق الدورتين السـابقتين، وهو ما يعني أن الخطوات التي قطعت في مسيرة إصلاح النقائص والبنـاء الموضوعـي أتت أكلهـا، علىٰ وعد مـن القيـادة الإماراتيـة وأعضـاء المجلس الانتخابي بمواصلة السير في هذا النهج.

وجـرت عمليـة الانتخابـات وفـق نظام التصويـت الإلكترونـي باسـتخدام بطاقـة الهويـة المعتمدة التـي تخـوّل حاملها من ممارسـة حقـه بالانتخـاب. كما تـم اعتماد نظام جديد في عمليـة التصويت بانتخابات المجلـس الوطنـي الاتحادي يعـرف بنظام "الصـوت الواحـد"، ولا يُسـمح بمقتضـاه للناخـب إلا باختيار مرشـح وحيد مهما كان عـدد المرشـحين المطلـوب انتخابهـم في الإمارة التي ينتمي إليها.

وقال مراقبـون إن التعليمـات التنفيذية الجديـدة بما تحمله مـن تعديلات في الإطار القانونـي لتنفيـذ العمليـة الانتخابيـة في كافة مراحلها سـتضمن تحقيق أعلىٰ درجات الشـفافية والمهنيـة لانتخابـات المجلـس الوطني الاتحادي.

وشـهدت بيسر العملية الناخبة الدكتورة فاطمة حمـد الغفلي، التي أشـادت بما توفر من تعاون من قبل اللجنة المشـرفة ومستوى التنظيم العالي وسلاسـة الإجراءات .وأكدت الغفلـي أن مـا سـاعدها علىٰ اتخـاذ القرار المناسـب هـو اطلاعهـا علـىٰ البرنامـج الانتخابـي لجميع المرشـحين ممـا جعلها تختار الشـخص الذي تطمح أن يحقق وعود دعـم المرأة العاملة التـي تضمنها برنامجه الانتخابي .

من جانبه أشـاد سـالم محمد الراشدي، (78 عاما) بمسـتوى التنظيم والسهولة التي رافقت عملية التصويت خصوصا لمن هو في سـنه. وأعرب عن سعادته، بمشاركته في هذا الاسـتحقاق الثالث، وهو الـذي عاصر كثيرا من التغييـرات والتطـورات التي شـهدتها الإمارات؛ علىٰ غرار مواطنه محمد مسلم علي الراشدي، الذي بلغ من العمر 82 عاما، والذي جاء إلىٰ مركز الاقتراع رفقة ولده عبدالله، (35 عاما)، للمشـاركة في الحدث البرلماني المهم مؤكديـن أن اختيـار ممثليهم فـي المجلس الوطني الاتحادي أمانة في عنق الجميع .

ولـم تختلـف، شـهادة مها سـالم علي، موظفة فـي بلديـة أبوظبي، عن الشـهادات السـابقة، بخصوص عمليـة التصويت التي أكّـدت أنها كانت خالية من التعقيدات مؤكدة أنهـا قامـت باختيـار ممثلها فـي المجلس الوطني الاتحادي بكل قناعة.

وشـكلت نسبة مشـاركة المرأة في قائمة المرشـحين النهائيـة 22 بالمئـة بواقـع 76 مرشـحة في جميع إمارات الدولة، وسـجلت الفئـة العمرية من40 – 60 الحضور الأبرز في عدد المرشحين بنسبة 60 بالمئة وبواقع 205 مرشحا ومرشحة، تلتها الفئة العمرية أقل من 40 عاما بنسبة 38 بالمئة وبواقع 129 مرشحا ومرشحة. ويبدو أن فئة المرشّحين انعكست علىٰ فئة الناخبين، حيث يشير المراقبون إلىٰ أن نسـبة النسـاء وكبار السن كانت أكبر من نسبة الشباب.

وعلىٰ المسـتوى الأكاديمي بلغت نسـبة المرشـحين الحاصلين علـىٰ مسـتويات تعليميـة عالية نسـبة 49 بالمئـة بواقع 166 مرشحا ومرشـحة علىٰ مستوى الدولة، فيما بلغت نسبة المرشحين من المستوى العلمي المتوسـط 31 بالمئـة بواقـع 106 مرشـحا ومرشحة، وما دون الثانوية العامة بنسبة 14 بالمئة بواقع 48 مرشحا ومرشحة.

وكانـت انتخابـات المجلـس الوطنـي الاتحـادي، الـذي تأسس سنة 1972، قـد أقيمـت للمرة الأولىٰ في د يسـمبر 2006 بموجـب القرار رقـم "3" لسـنة 2006 الـذي أصـدره رئيس الإمارات العربية المتحدة الشـيخ خليفة بن زايـد آل نهيان، بناء علـىٰ قـرار المجلس الأعلـى للاتحـاد رقم "4" لسـنة 2006 بشـأن تحديـد طريقة اختيار ممثلـي الإمارات فـي المجلـس الوطنـي ا لا تحـا د ي والذي نص علىٰ أن يتم انتخاب نصـف الأعضاء وتعييـن النصف الآخر من ممثلي كل إمارة عن طريق الحاكم.

وبذلـك شـهد عـام 2006 أول تجربـة لانتخابـات المجلس الوطنـي والتي عرفت مشاركة شعبية واسعة علىٰ مستوى الهيئات الانتخابية، وترشـح ما يقارب الـ456 مرشحا لعضوية المجلس الوطني الاتحادي من كافة إمـارات الدولة. ومنـذ التجربـة الانتخابية الأولـىٰ اعتمدت اللجنـة الوطنية التصويت الإلكترونـي بدل الاقتـراع التقليـدي، الذي أكـد الناخبون نجاعته وأهميته في تسـيير العملية وضمان نجاحها.

وسـاهمت التجربـة الانتخابيـة الأولىٰ فـي ارتفاع مسـتوى الوعي السياسـي لدى المواطنين، ولفتت اهتمامهم أكثر إلىٰ الشأن العـام والمشـاركة فـي الحياة السياسـية. وكانـت هذه المحطة منطلقـا فعليا للتجربة الثانيـة مـن انتخابـات المجلـس الوطني الاتحـادي التي أجريـت سـنة 2011، والتي اكتسـبت أهميـة خاصة تفوق سـابقتها من ناحية توسـيع نطاق المشـاركة السياسـية للمواطنين.

وتم تعديل قـرار المجلس الأعلىٰ للاتحاد رقـم "4" لسـنة 2006، وتعديـل قـرار رئيس الدولة رقم "3" لسنة 2006 بحيث أصبح الحد الأدنىٰ لعدد أعضاء الهيئات الانتخابية لا يقل عن ثلاثمئة مضاعف لعدد ممثلي كل إمارة في المجلس الوطني الاتحادي دون وجود سقف أعلىٰ لعدد أعضاء هذه الهيئات في كل إمارة.

وبلغ عـدد أعضـاء الهيئـات الانتخابية 135.308 أعضـاء، ما أتاح الفرصة لشـريحة كبيرة مـن المواطنين لاختيـار ممثليهم في المجلـس الوطني الاتحادي فـي ظل ظروف تمّت تهيئتها بشكل يتناسب مع قيمة الحدث، إلىٰ جانب توفير كافـة الضمانات التي تكفل إجراء الانتخابات في أحسن الظروف.

ويتشـكل المجلس الوطني الاتحادي في الإمـارات مـن 40 عضـوا، وتتـوزع المقاعد حسب الدستور بأعداد متفاوتة بين الإمارات السـبع، حيث تحـوز إمارتـا أبوظبي ودبي ثمانيـة مقاعد لـكل منهما، وتذهـب لكل من إمارتي الشـارقة ورأس الخيمة سـتة مقاعد، فيمـا تحـوز كل مـن إمـارات الفجيـرة وأم القيوين وعجمان علىٰ أربعة لكل منها.

ويشكل هذا المجلس السـلطة الاتحادية الرابعة في البلاد من حيث الترتيب في سـلم السـلطات الاتحاديـة الخمـس المنصوص عليهـا فـي دسـتور دولـة الإمـارات، وهي: المجلـس الأعلـى للاتحـاد، رئيـس الاتحاد ونائبـه، مجلـس وزراء الاتحـاد، المجلـس الوطني الاتحادي، القضاء الاتحادي.

ومن مهام المجلس مناقشـة مشـروعات التعديلات الدسـتورية ومشروعات القوانين الاتحادية والميزانية العامـة للدولة، وإبداء الرأي في المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

وأصبحت مـدة عضويـة المجلس أربع سـنوات بدلا من سـنتين بموجب التعديلات الدستورية الأخيرة.

اللجنة الوطنية للانتخابات 2015

التصويت الالكتروني يحقق أعلى درجات الشفافية والمهنية ويسر العملية الانتخابية

> التفاعل الشعبي مع ثالث انتخابات برلمانية تشهدها البلاد يعني للغالبية العظمى من الإماراتيين ضمان الاستقرار وقطع الطريق أمام محاولات إحداث شرخ في العلاقة بينهم وبين القيادة

وقـد أفـرز تأسـيس الدولة علـىٰ قواعد دسـتورية ومؤسسـية متينـة مجتمعـا ينعـم بالاسـتقرار السياسـي والاجتماعـي والاقتصادي، وهو يؤكّـده محمد أحمد المر، رئيس المجلـس الوطني الاتحادي، مشـيرا إلىٰ أن المواطن الإماراتي في مقدمة أولويات ومحـور اهتمـام القيـادة الأمر الـذي جعل الإمارات أنموذجـا في علاقة التفاعل الخلاق بين القيادة والشـعب وتجربة تنموية رائدة أساسـها تمكيـن المواطنين من المشـاركة الفاعلة فـي جميع قطاعات العمل وفي عملية صنع القرار.

وأضـاف أنـه ورغـم تفـاوت التجـارب البرلمانيـة لـدى الـدول إلا أن المجلـس الوطني الاتحادي، في دولة الإمارات العربية المتحـدة، لديـه تجربـة رائـدة فـي مجال الدبلوماسـية البرلمانية وهـو يتطلع دائما إلـىٰ هذا الاختصاص الـذي يواكب توجهات الدولة وسياسـتها الخارجية ويحمل وجهة نظرهـا حيال مختلف القضايـا ويدافع عنها خلال مشـاركاته فـي العديد مـن الفعاليات البرلمانيـة الخليجية والعربية والإسـلامية والدولية فضلا عن الاجتماعات المتخصصة والمؤتمـرات والزيـارات البرلمانية سـواء الخارجيـة أو زيـارات الوفـود الرسـمية للمجلس.

وقال إن التطور السياسـي والمؤسسـي فـي الدولـة يعدّ أحـد الجوانـب المهمة في مسـيرة الدولة وأهمّ ما يميز تجربة الإمارات أنهـا تتبنـىٰ نهجـا متوازنـا ومتدرجا في أيّ إصلاحـات سياسـية آخذة فـي الاعتبار الخصوصية الحضاريـة والدينية والثقافية للمجتمـع الإماراتي الأمر الـذي يؤدي دائما إلىٰ استقرار الدولة علىٰ مختلف الصعد.

بدورها، أشـارت نشـرة أخبار السـاعة الصـادرة عـن مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجية فـي افتتاحيتهـا "مرحلة مهمة في مسـيرة المجلـس الوطني الاتحـادي" إلىٰ أنه منذ أعلن الشـيخ خليفة بـن زايـد آل نهيـان فـي عـام 2005 انتقال دولة الإمـارات العربية المتحـدة من مرحلة التأسـيس إلـىٰ مرحلـة التمكيـن، التـي تتمحور حـول تعزيـز مشـاركة المواطنين فـي العمل الوطني، يمضـي برنامج التمكين السياسـي في مسـاره بخطوات ثابتة ضمن سياسـات وبرامـج واضحـة وفـي إطـار الهـدف الأعلىٰ وهو تعزيز وتعميق مشـاركة المواطنين في الشأن العام.

وتتبّع مسـار تجربـة انتخابات المجلس الوطنـي الاتحـادي منذ دورتهـا الأولىٰ عام 2006، وصولا إلىٰ انتخابات المجلس الوطني الاتحادي عام 2015، يؤكد هذه الفلسفة.

> الإعداد الجيد للتصويت خارج الدولة وداخلها والتنسيق عالي المستوى أديا إلى سير العملية الانتخابية في المراكز الانتخابية بكل يسر وسهولة

هل يمكن شطب الشعب السوري من المعادلة؟

خيرالله خيرالله

❑ في ظلّ الوضوح الروسي والغموض الأميركي، هناك حلقة ضائعة. هذه الحلقة هي الشعب السوري الذي لم يعد هناك من يحسب له حسابا على الرغم من أنّه يبقى إلى إشعار آخر اللاعب الأساسي على الأرض السورية. إنّه اللاعب الأساسي على الرغم من تدفق الأسلحة والمقاتلين الروس والإيرانيين وعناصر الميليشيات الشيعية.

تعمل كلّ هذه القوى من أجل إقامة "دولة علوية" تحتكر لنفسها الساحل السوري.

كان لافتا أنّ التدخل العسكري الروسي جاء من دون أيّ اعتبار للواقع السوري الذي تعبّر عنه ثورة شعبية مستمرّة منذ ما يزيد على أربع سنوات ونصف السنة. هذه الثورة، التي لم تشهد مثلها أيّ دولة عربية هي ثورة حقيقية وصادقة قبل أي شيء آخر. إنها تعبير عن رغبة شعب في استعادة بعض من كرامته. هذا الشعب لا يعترف بنظام جاء نتيجة انقلاب عسكري. لم تكن للنظام السوري أيّ شرعية من أيّ نوع في يوم من الأيّام. الأكيد أن الإيراني والروسي لن يتمكنا من إيجاد شرعية لا لبشار الأسد ولا للذين يُعِدّونه للحلول مكانه في الوقت المناسب.

بعد أيّام على بدء التصعيد العسكري الروسي في سوريا، وهو تصعيد يستهدف الشعب السوري قبل أيّ شيء آخر، تبدو الصورة واضحة كل الوضوح. هناك تنسيق روسي - إيراني في العمق. هناك بكل بساطة توزيع للأدوار بين الجانبين اللذين يسعيان بمشاركة ميليشيا مذهبية لبنانية هي "حزب الله" من أجل خلق واقع جديد على الأرض السورية.

يشمل هذا التنسيق، الذي يشمل توزيعا للأدوار، إقناع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو بأن التطورات التي تشهدها سوريا، بما في ذلك وجود كلّ هذا العدد من الطائرات الروسية في منطقة الساحل السوري لا يمكن أن تشكّل أيّ خطر على إسرائيل. في المقابل، كان على نتانياهو اختبار وعود بوتين وأن يؤكّد له أن بلاده لا يمكن أن تتهاون حيال كل ما من شأنه مسّ أمنها. يبدو أنّ اسرائيل اختبرت النيات الروسية ومن خلفها النيات الإيرانية، فوجّهت ضربات على مواقع محدّدة في الجولان لم يحصل أيّ ردّ عليها. كانت هذه الضربات التي جاءت مباشرة بعد زيارة نتانياهو لموسكو بمثابة دليل على أن التنسيق على خير ما يرام بين "حلف الممانعة" من جهة وإسرائيل من جهة أخرى.

جاء التدخل العسكري الروسي المباشر في سياق خطة مرسومة وضعتها موسكو مع طهران. فالجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس في "الحرس الثوري" الإيراني زار العاصمة الروسية مرّتين أخيرا وعقد اجتماعات مع العسكريين الروس بغية وضع الأسس للتنسيق بين الجانبين. كان هناك تعمّد للإعلان عن الزيارتين. أكثر من ذلك، إن معظم الطائرات الروسية التي تحط في اللاذقية ناقلة أسلحة ومعدات، تمرّ في الأجواء الإيرانية والعراقية وذلك لإثبات أن الحلف الروسي - الإيراني أقوى بكثير مما يعتقد.

ماذا يحصل الآن؟ هناك قوات إيرانية على الأرض، فضلا عن قوات روسية لا تشارك في معارك بريّة. وهناك إعادة تجميع للقوات السورية التي ما زالت موالية للنظام وللميليشيات التي أنشأتها الأجهزة الأمنية وبعض النافذين. فضلا عن ذلك، هناك مزيد من العناصر التي يرسلها "حزب الله" إلى الأراضي السورية. الهدف من ذلك كلّه، الإعداد لهجوم برّي يستعيد فيه النظام بعض الأراضي التي يحتاجها لتوسيع رقعة نفوذه وضمان قيام "دولة علوية" ذات امتداد في لبنان.

في إطار هذه الخطة، يلعب سلاح الجو الروسي دورا يغطّي أيّ تقدّم على الأرض للقوات الإيرانية وتلك التابعة للنظام. ولذلك، كان أوّل ما فعلته الطائرات الروسية المرابطة في الساحل شنّ غارات على مواقع في مناطق قريبة من حمص وحماة وإدلب تابعة لـ"الجيش الحر" ولتنظيمات أخرى معتدلة وليس لـ"داعش".

ليس "داعش" في نهاية المطاف سوى مبرّر لمتابعة الحرب على الشعب السوري والسعي إلى تصوير الثورة الشعبية في سوريا على غير حقيقتها وذلك خدمة لنظام طائفي امتهن مع حلفائه ممارسة الإرهاب بكل أشكاله منذ ما يزيد على خمسة وأربعين عاما، منذ ما قبل احتكار حافظ الأسد للسلطة في 1970.

في ضوء الموقف الأميركي المضحك - المبكي والتصريحات التي تتسم بالتناقض الصادرة عن المسؤولين الأميركيين، لا يمكن إلا الاعتراف بأنّ الوضع السوري زاد تعقيدا. فالرئيس باراك أوباما، يتكلم كقس بروتستانتي في قدّاس الأحد، ويبدو كأنّه يكتفي بالكلام الجميل عن الحرّية والديمقراطية والقانون الدولي، لكنّه يترك الأفعال لقيصر الكرملين الذي ينسّق كل خطوة من خطواته مع الجانب الإيراني. هذا الجانب الذي أثبت مرّة أخرى أنّه أخضع رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي لمشيئته. فإذا كانت تصريحات العبادي في شأن التطورات السورية تدلّ على شيء، فإنّها تدل على أن رئيس الوزراء العراقي الحالي ليس، في أحسن الأحوال، سوى نسخة أخرى أقل فجاجة بقليل من سلفه نوري المالكي.

سوريا إلى أين؟ ليس صحيحا أنّ العالم كلّه، على رأسه تركيا، تخلّى عن سوريا والسوريين. هناك بعض العرب الشرفاء الذين يرفضون الرضوخ لما تسعى إليه فرضه واشنطن وموسكو وطهران وحتّى بعض العواصم الأوروبية من بينها برلين حيث الكلام المستغرب الصادر عن المستشارة أنجيلا ميركل.

كلما زاد الوضع السوري تعقيدا، زاد وضوحا. هناك من لم يضع البوصلة، لا لشيء سوى لأن القضية السورية قضيّة شعب أوّلا. صحيح أنّ سوريا، ككيان، مهدّدة بالتفتيت، لكنّ الصحيح أيضا أن بقاء شعلة الثورة السورية مضاءة منذ مارس 2011، لم يكن من باب الصدفة. يصعب إيجاد شعب قادر على الصمود بالطريقة التي صمد بها السوريون على الرغم من كلّ هذا الحصار المفروض عليهم ومن غياب القيادة الواعية. ما لا يستوعبه الروسي والإيراني أن ليس في الإمكان شطب الشعب السوري من المعادلة، حتّى لو باتت طموحاتهما محدودة ومحصورة بـ"الدولة العلويّة".. التي لا يمكن أن تقوم يوما، وإن بمباركة إسرائيلية. لن تقوم هذه الدولة لسبب في غاية البساطة يتمثل في أن كل حملات التطهير الطائفي والمذهبي لا يمكن أن تلغي الأكثرية السنّية في كلّ منطقة من المناطق التي يتألّف منها الكيان السوري.

* إعلامي لبناني

الغارات الروسية في سوريا

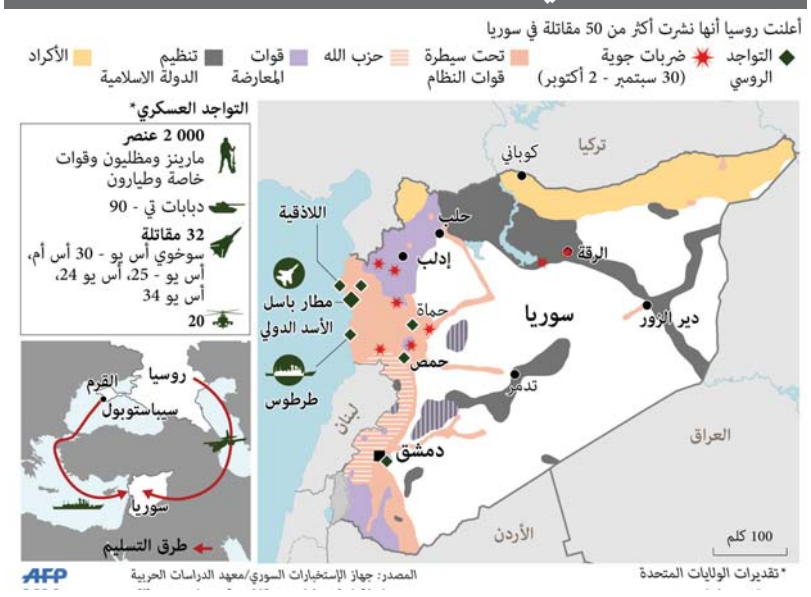

أميركا خسرت ثقة السنة وروسيا لم تخسر ثقة الشيعة

أسعد البصري

❑ الرئيس أوباما في كلمته بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك يقول إن التاريخ يعلمنا بأن كارثة إنسانية كالتي حدثت في سوريا لا يمكن لها أن تحدث في بلد ديمقراطي، بينما الرئيس فلاديمير بوتين في كلمته يقول إنه يتعلم من التاريخ الإنساني وحتى من تاريخ روسيا القريب، حيث كان الاتحاد السوفيتي يحاول فرض الاشتراكية على شعوب غير قادرة على استيعابها أو التكيف معها، وكيف أن تلك الاشتراكية كانت سببا للعذاب والكوارث بحق شعوب كثيرة. الأمر نفسه يحدث اليوم في نظر بوتين حين تحاول الولايات المتحدة فرض أيديولوجيتها حول الديمقراطية بالقوة والاحتلال على شعوب لها خصوصيتها كالعراق. وكانت النتيجة كارثة بشرية بسبب تلك الديمقراطية المستوردة، الأمر الذي أدى إلى الاحتقان الطائفي واشتعال الحرب الأهلية في العراق ثم انتقالها إلى سوريا.

يقول أوباما من جهته إنه حتى مئات الآلاف من الجنود الأميركيين وتريليونات الدولارات من الخزينة الأميركية، لم تكن كافية لضمان الاستقرار في بلاد أجنبية كالعراق وأفغانستان، إلا أنه يصر على وجود أفكار عالمية وحقائق بشرية أساسية هي المبادئ التي تحدد ارتقاء القيم في المجتمعات.

وفي مناسبة أخرى يقول فلاديمير بوتين إن كلا من باراك أوباما وفرانسوا هولاند ليسا مواطنين سوريين لتأخذ روسيا الإذن منهما للتدخل العسكري في سوريا، ويقول بأن الشرعية الوحيدة هي إما بقرار من الأمم المتحدة أو بطلب رسمي من الحكومة السورية.

السيناتور جون ماكين يقول إن روسيا عادت اليوم إلى الشرق الأوسط بعد أن أخرجها أنور السادات عام 1973 من مصر، بسبب ضعف القيادة الأميركية وترددها، ويسجل اندهاشه من حقيقة تشكل حلف مركزه بغداد للتنسيق والتعاون الاستخباري بين روسيا وسوريا وإيران والعراق. كيف يحدث هذا بعد أن كانت الولايات المتحدة قد خسرت الآلاف من جنودها في العراق؟

يرى ماكين بأن سياسة أوباما ضعيفة، وتؤدي إلى تشويش الأصدقاء وتشجيع الأعداء، ويتساءل عن السبب الذي يجبر دولا عربية قوية وصديقة للولايات المتحدة على بناء علاقات دبلوماسية خاصة مع روسيا، فالسعودية عقدت صفقات أسلحة بـ17 مليار دولار مع روسيا، والإمارات بـ7 مليارات دولار، وقطر بـ5 مليارات دولار. يقول ماكين إن سبب هذه الصفقات هو أن هذه الدول تحاول التكيف مع الوضع الجديد، حيث يشهد العالم الفراغ والانسحاب الكبير للسياسة الأميركية، الأمر الذي يشجع طموحات قوى عظمى منافسة في المنطقة. لقد كان الراحل الكبير سعود الفيصل يكرر بأن السعودية تفضل التعامل مع الولايات المتحدة، إلا أنها في عهد الرئيس أوباما أصبحت تتصرف بغرابة. فكيف يعتقد أوباما بإمكانية الوثوق بإيران مثلا والتعاون معها؟ ها هي إيران تضرب الولايات المتحدة في الصميم، بجر الدب الروسي إلى المستنقع السوري بعد زيارات خاصة إلى موسكو قام بها الجنرال الغامض قاسم سليماني شخصيا. وها هم عملاء إيران في الحكومة العراقية الذين دعمتهم الولايات المتحدة ومنحتهم الحكم، يعلنون عن تحالف مطلق مع بشار الأسد وإيران. وبغض النظر عن بلاغة الرئيس أوباما وطريقته الحالمة في فهم العالم، تبدو كلمة وزير الخارجية الإماراتي الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان أمام الأمم المتحدة أكثر واقعية، وهي أن المنطقة تعاني من المشاريع الإيرانية العدائية من العراق إلى اليمن، بل إيران مازالت تحتل الجزر الإماراتية وترفض التفاوض مع الحكومة الإماراتية، وفي نفس الوقت تعاني المنطقة أيضا من الإرهاب والتطرف الذي يهدد الدولة الحديثة والمواطنة والاستقرار.

ويبدو أن إيران هي المغذّي الأساسي لحالة العنف والتطرف الطائفي، وربما لهذا السبب أغلقت كندا سفارتها بطهران مؤخرا وطلبت من الدبلوماسيين الإيرانيين مغادرة كندا، في خطوة قوية قد تعقبها خطوات. حيث اعتبرت كندا بأن إيران داعمة للتطرف وخطر أساسي على السلام والأمن في العالم. وربما يتطور الموقف الكندي إلى تحالف وضربة عسكرية لطهران، فلا يمكن أن يوجد موقف كندي بهذه القوة دون تنسيق مع أميركا وأوروبا.

نحن ننتقل بسرعة من إعلام السلام إلى إعلام الحرب، حيث يتم تغييب الجوانب المعتدلة في الخطاب السياسي، ويصبح الإعلام موجها نحو المواجهة. حرب على داعش، حرب بين العرب وإيران، حرب طائفية، حرب بين روسيا وأميركا، حرب إعلامية شرسة في طور التشكل، محورها الشرق الأوسط.

لم تكن مبالغة من العاهل الأردني عبدالله الثاني حين قال إن مستقبل العالم يتعرض لتهديد خطير، وأن ما يشهده عالمنا بمثابة حرب عالمية ثالثة. ولا أعرف لماذا لم ينتبه أحد إلى تشبيه الرئيس الروسي بوتين لداعش بأنها حركة نازية تحتاج إلى تحالف عالمي، أو إلى وصف السيناتور ماكين للرئيس بوتين بأنه عدواني ورجل عصابات. هذه أجواء تثير القلق بلا شك.

وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر يقول في كلمته هناك مشكلات مالية في ميزانية الدفاع الأميركي، مما يعني أنه لا توجد حماسة للتصدي للطموحات الروسية حاليا. وكأنها نهاية القطب الواحد في إدارة العالم وعودة للسياسة والمحاور.

أميركا خسرت صداقة السنة بتسليم العراق على طبق من ذهب لإيران، والآن تكشف الأحداث عن تحالف استراتيجي عراقي - سوري- إيراني- روسي. يبدو ذلك محرجا لجهود الأميركان مع شيعة العراق، ولا تبدو أميركا في وضع يسمح لها بإيجاد حلول مباشرة.

* كاتب عراقي

سياسة أوباما ضعيفة وتؤدي إلى تشويش الأصدقاء وتشجيع الأعداء

حقيقة تهديدات خامنئي للسعودية وطبيعة الرد الإيراني

د. سالم حميد

❑ وصل الأمر بالجنون الإيراني درجة التهديد والوعيد الكلامي، حتى يمكن تسمية ردة فعل قادة طهران على حادثة التدافع التي وقعت في منى بالحالة الهستيرية الناتجة عن فشل ذريع وإحباط مرير تكبّدته الإدارة الإيرانية خارج البلاد وداخلها، وتريد تعليق هذا الإحباط والفشل على شماعات الغير كسياسة عامة اتصفت بها إيران منذ وصول نظام ولاية الفقيه إلى سدة الحكم عن طريق اغتصاب الثورة الشعبية عام 1979، والتملص أمام الشعب من الفشل الإداري والسياسي والاقتصادي بخلق حجج وأوهام وأعداء، وترسيخ فكرة وجود عدو يتربص بالشعوب الإيرانية، ثم يخرج خامنئي ومن تحته يهددون ويتبجحون بخطابات شعبوية أصابت الشعوب الإيرانية وحتى المتابعين للشأن الإيراني بالفشل.

ما قيل سابقا ينطبق تماما على تهديدات الخامنئي في خطابه في جامعة الإمام الخميني للعلوم البحرية في مدينة نوشهر، والتي توعد فيها السعودية برد قاس وصعب في حال تعرُّض الحجاج الإيرانيين لأيّ إساءة، بعد أن غطى الجانب الأول من خطابه بالتفاخر بقوة إيران وعظمتها، ليكرر بذلك حلقة أخرى من سلسلة خطابه الشعبوي المعتاد، ففي كل مرة يخرج فيها ويتنطع أمام عدد من حرسه وأتباعه، ثم تقوم الوسائل الإعلامية الإيرانية بالواجبات المكلفة لها بتغطية هذا الخطاب بأسلوب يخدع مشاعر وعواطف المواطنين.

الانتصارات التي حقّقها التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات أصبحت مقلقة جدا بالنسبة إلى إيران، لأنها بداية نهاية ما يمكن تسميته بـ"الحقبة الإيرانية في المنطقة"، وخاصة بعد شعور النظام الإيراني بالراحة والانتصار خلال الفترة القاسية الماضية التي مرت على البلدان العربية خاصة بعد سقوط بغداد، ولكن بعد أن وجد الخامنئي أن الموجة قد انعكست، لم يعد لديه منفذ من الهروب أمام شعبه سوى الكلام والتهديد والوعيد الذي يعبّر بكل وضوح عن غضب وقلق، لأن الجميع يعلم أن المليارات التي أهدرها النظام الإيراني خارج حدود بلاده في دعم الجماعات المتطرفة وزرع العملاء من أجل إثارة الفتن وخلق القلاقل وتوتير الأوضاع ليتسنى لهذا النظام تحقيق أهدافه التي يرفضها حتى الخيال، لم تجد نفعا ولم تحقق أدنى طموحاته.

ربما يتساءل العديد الآن عن طبيعة هذا الرد الذي وصفه مرشد إيران بالقاسي والعنيف، ومن أجل التوصل إلى إجابة لهذا التساؤل من الأفضل توضيح القدرات والإمكانيات الإيرانية لأي رد متوقع.

أولا: يجب استبعاد الرد العسكري، لأن إيران لا تستطيع الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة ولو مع أصغر دولة خليجية، لعلمها التام بالرد العربي الشديد على هذه الخطوة، خاصة وأنها أصبحت على ثقة تامة من أن السعودية قادرة على تشكيل تحالف في زمن بسيط، كما فعلت في اليمن مثلا، والذي أخطأت المخابرات الإيرانية في توقعه كما نشرت العديد من التقارير من أن النظام الإيراني تفاجأ بقوة الرد العربي، وهو ما وضع القائد العسكري الإيراني قاسم سليماني في دائرة الإحراج بعد فشله في تقدير الموقف المتوقع من قبل السعودية وباقي الدول الخليجية.

ثانيا: في حال أقدم النظام الإيراني على قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية مع السعودية، فإن هذه الخطوة ستضر بإيران ومواطنيها أكثر من أيّ طرف آخر، لأن قطع علاقتها مع السعودية سيزيد من عزلتها الإقليمية والدولية، وربما يكون الرد السعودي والخليجي على الأقل بطرد الإيرانيين المتواجدين على أراضيها والذين يعتاشون فيها، والذين تقدر أعدادهم بالملايين، وهذا يعني مضاعفة أعداد البطالة في إيران مما يتسبب بدمار أكبر للاقتصاد الإيراني المتهالك أصلا، وقتها ستتفجر الأوضاع وتنتهي بثورة تسقط النظام الذي فشل في إدارة البلاد، فهل من المعقول أن يتجرأ النظام الإيراني على هذه الخطوة؟

ثالثا: ليس لإيران أيّ أدوات اقتصادية تستطيع محاربة السعودية بها، من يظن أن إيران قادرة على إغلاق مضيق هرمز -وهو ممر بحري استراتيجي يعبر منه نحو 20 بالمئة من النفط العالمي- فهو مخطئ تماما، لأن إيران حسب قدراتها العسكرية المتواضعة -ولأن إغلاق مضيق هرمز يتوقف على الجانب العسكري- ليس لديها المقدرة العسكرية على إغلاق مضيق هرمز بالكامل، كما أن إيران سبق لها أن هددت مرارا وتكرارا بإغلاق مضيق هرمز ردا على العقوبات الدولية المفروضة عليها، لكنها لم تستطع فعل ذلك، ناهيك عن البوارج الأميركية المنتشرة بالمنطقة والتي لن تسمح بأيّ حال من الأحوال لإيران حتى بمحاولة فعل ذلك.

لذا فإن ما يمكن لإيران فعله هو الاستمرار بما اعتادت على فعله، وهو محاولة القيام بعمليات إرهابية في السعودية من تفجير أو اغتيالات، وكذلك محاولة استهداف المصالح السعودية في المنطقة عن طريق التفخيخ والتفجير واستهداف البعثات الدبلوماسية.

* كاتب إماراتي

من بشير لسمير: ما بينعسوا الحرّاس

أحمد عدنان

❑ كأغلب متابعي الشأن اللبناني عن بعد، أخذت موقفا سلبيا من الشيخ بشير الجميل، مؤسس القوات اللبنانية وقائدها ثم رئيس الجمهورية، الذي استشهد قبل تسلم مقاليد العهد رسميا. وحيثيات ذلك لم تكن هيّنة، فاسم الرجل مرتبط بمجازر قاسية جدا زمن الحرب، منها ما كان ضد المسلمين والفلسطينيين، ومنها ما كان أيضا ضد المسيحيين. وفوق ذلك، فالرجل مسؤول عن تأسيس أو تفعيل العلاقة المسيحية–الإسرائيلية وانتخب رئيسا تحت حراب الصهاينة ومباركتهم.

وبعد مرور هذه السنوات، ونظرا لمستجدات الوضع القائم في لبنان منذ عام 2005، كان من الواجب إعادة قراءة بشير بصورة مختلفة، فللرجل سلبياته التي لا تغتفر وله مزايا لا تنسى. لا يمكن باختزال، تصنيف بشير الجميل، كشخص وكرمز مسيحي وسياسي، عدوا لفلسطين وللعروبة، إذ يضعه الوصف هنا في خانة المعتدي، وهو توصيف يفتقر الدقة، فالعودة إلى التاريخ، من باب تحري الإنصاف، يلزم أن تكون كاملة، إذ من الواضح أن منظمة التحرير أرادت باسم القضية ابتلاع لبنان كما حاولت سلفا في الأردن، وكما تصدى الملك حسين لتلك المحاولة أردنيا، كان المسيحيون وعلى رأسهم بشير ووالده بيار مع قادة الجبهة اللبنانية نسخته لبنانيا.

إن خيار الالتجاء إلى إسرائيل كان ضروريا في ظل ظروف الحرب، إذ نحن هنا أمام معيارين: معيار الوطنية بكل صرامته، ومعياره بكل ميوعته، وإذا اخترنا الصرامة، سنجد أن الالتجاء إلى الأجنبي محرّم، ولا فرق هنا بين كون الأجنبي سوريا أو فلسطينيا أو إيرانيا أو إسرائيليا، فتكون الإدانة مستحقة لمن استقوى بالفلسطيني كما المستقوي بالإسرائيلي، مع العلم أن اللجوء إلى إسرائيل كان خيار الكيّ لحفظ الوجود بعد أن فشلت محاولة الاستعانة بالسوري لنفس أسباب مقاتلة الفلسطيني. وإذا اخترنا ميوعة المعيار الوطني، ونظرنا بالعين الطائفية، فلا شك بأن بشير، يعد بطلا وحّد قرار طائفته وصفوفها وأنقذها مع الوطن من ذوبان نهائي. وفي كل الأحوال سنلحظ أن الموقف السلبي ضد بشير انتقائي فاقع خصوصا مع توقيع مصر والأردن ومنظمة التحرير اتفاقيات سلام مع إسرائيل.

وما ينطبق على البعد الإسرائيلي ينسحب إلى جرائم الحرب، مع مزية تفضيلية لبشير الذي كان في موقف الدفاع عن النفس، وإذ ننظر هنا لبشير طائفيا ووطنيا، نتذكر مجزرة الدامور التي

> في كلمته (ما بينعسوا الحراس) استطاع جعجع أن ينحاز إلى الشارع اللبناني البريء لأنه الأقل أخطاء في هذه الطبقة السياسية، فهو غير مشارك في الحكومة الحالية

ارتكبتها منظمة التحرير ضد لبنانيين– هذا غير استهداف الدولة اللبنانية إلغاء واستضعافا– كما ارتكب لبنانيون ضد فلسطينيين مجازر تل الزعتر وصبرا وشاتيلا ثم حرب المخيمات التي افتعلها برّي، سيظل حتما بشير الجميل أمير حرب مثله مثل جنبلاط وبرّي وغيرهم.

ما يشفع لبشير في إعادة قراءته، وما يختلف به عن غيره من أمراء الحرب باستثناء متقطع لكمال جنبلاط، هو إيمانه الحقيقي بمشروع الدولة وأنه صاحب قرار مهما كان مستحيلا، وهذا تجلى غير مرة، فالرجل استثمر الدخول الإسرائيلي إلى لبنان لتمرير الانتظام السياسي والمؤسساتي خلف مصلحته الشخصية بانتخابه رئيسا، وليس كما نرى اليوم من عصابة السلاح الإيراني المستقوية بالجمهورية الإسلامية لتعطيل الدولة وهدمها، كما أن مباحثات بشير مع رفاق سلاحه وحزبه ونظرائه السياسيين قبيل انتخابه رئيسا وبعدها، تثبت تغيرا جوهريا مسّ عقل أمير الحرب لصالح رجل الدولة، ساعد على ذلك زيارته للولايات المتحدة وللسعودية. ولا يغيب عن الذاكرة انتباه بشير لقصة إسرائيلية بطلها مناحيم بيغن المنتمي لعصابة أراجون، فرغم دور العصابة في تأسيس إسرائيل إلا أنه بعد قيام الدولة أصدر بن غوريون قراره بمصادرة أسلحتها ومنعها من النشاط العسكري، وهو ما سبب جفوة ثقيلة بين الرجلين انتهت باستسلام بيغن وانخراطه الطبيعي في العمل السياسي. وإعجاب بشير بهذه القصة يدلل على رؤيته السليمة لمشروع الدولة وللقوات اللبنانية (عسكريا) أيضا.

بدا بشير في بداياته مفتونا بنظرية تحالف الأقليات تماما، وإن تبدو تلك الرسالة التي وجهها لمسؤول الأمن إيلي حبيقة (أمير الحرب الحقيقي والخالص) لافتة جدا "راقب رجل الأعمال رفيق الحريري، فنشاطه مريب"، ولا تقل هذه القصة بروزا عن دعمه لآل أرسلان في وجه جنبلاط، إننا أمام رجل قوي قدرته على تحمل أقوياء أمامه أقل بكثير من تحمله لأقوياء بجواره كسمير جعجع وحبيقة وحتى كميل شمعون وبيار الجميل. وعلى ما يبدو فإن هذه الصورة بدأت تتكسر مع انتخابه رئيسا بمد يده إلى صائب سلام وكامل الأسعد ورفضه إعلان السلام مع إسرائيل –من دون موافقة المسلمين اللبنانيين– في اجتماع نهاريا المعروف.

يمكننا أن نتهم بشير الجميل بكل شيء إلا الفساد أو ضعف الشخصية أو إهمال المسؤولية. ولا يمكننا أن نصف صاحب شعار "10452 كيلومترا مربعا" بغير اللبنانية، إذ كان هدفه الأوحد كشخص وكعقيدة تمثل القوات إلى الأبد، حماية لبنان وقيامته وإعلاء دولته. ولا تحضرني أيّ عملية نفذتها القوات داخل لبنان أو خارجه لغير المصلحة اللبنانية. هذا إن وجدنا لها أصلا نشاطا عسكريا خارج لبنان، فهي المقاومة اللبنانية لا المقاومة المسيحية في لبنان على غرار (حزب الله) "المقاومة الإسلامية في لبنان" الذي يتضح أن لبنان بالنسبة إليه مجرد حيز جغرافي، فهو وكيل الثورة الإسلامية الإيرانية، ومن خلال تعريف الحزب الإلهي لنفسه يتضح اعتبار ذاته وكيلا لأصل (إيران) في ملحق أو فرع (لبنان)، ومن خلال التسمية وحدها نفهم الخصومة الوجودية بين فريقين، قوات لبنانية وحزب إيراني، ألم يسع (حزب الله) تسمية نفسه: المقاومة الإسلامية اللبنانية؟

المهم أن يكون الإعجاب المسيحي ببشير بريئا في مجمله، فتقدم صورة بشير على صورة باني الدولة اللبنانية فؤاد شهاب، مفهوم بحكم القرب الزمني، وللمسحة الطائفية التي تتخلل ملامح بشير شاء محبوه أو كرهوا. ولأن ما تبعه من تشرذم مسيحي عزّز قيمة الجميل كقائد تاريخي قدم مصلحة جماعته ووطنه على مصلحته الخاصة وتفاعل مع اللحظة التاريخية بصورة مثالية، وهذا يحسب أيضا لفريق العمل المحيط به وعلى رأسهم زاهي بستاني. كانت صورة فؤاد شهاب مغايرة تماما، إذ يمثل الدولة الصافية بكل تعاليها وحيادها وتنوعها وربما برودها. لبنان اليوم بحاجة إلى شخصية مسيحية تجمع بين بشير الجميل وفؤاد شهاب كمعان وحسنات.

استذكار بشير بدا واجبا بعد كلمة المرشح الرئاسي ورئيس حزب القوات اللبنانية د. سمير جعجع في قداس شهداء المقاومة اللبنانية (ما بينعسوا الحراس)، فمسيرة جعجع القيادية بدأت من نتائج بشير لا من مقدماته، أي أن انطلاقة جعجع تمخضت من نضج بشير لأنه عاصر ما قبلها، "فلا يمكن أن نتجاهل القيم والمبادئ التي قامت عليها حركتنا في الماضي، حتى لا نضيّع بوصلتنا في الحاضر والمستقبل. ولن نقبل أن نكون أسرى الماضي حتى لا نفقد قدرتنا على مواكبة الحاضر ومجابهة تحديات المستقبل".

حين وقف سمير جعجع ملقيا أهم كلمة سياسية في مسيرته نضجا وعمقا وأصالة، لا يمكن إلا أن تلحظ خلفه ظل بشير الجميل. منذ اليوم الأول لسمير جعجع في قيادة القوات اللبنانية بدا أنه يتحرر قائدا وحزبا من هنات المؤسس متعلقا برمزيته وقيمته، كما أن بصمته الخاصة في القيادة لم تجعله ملحقا لأصل، بل أصل تراكم على أصل وقائد جاور قائدا وجوهر تبلور من جوهر. وليس الأساس بشير الجميل كشخص، إنما الخيار اللبناني الصرف والمستقل بوجهه المسيحي المشرق والحتمي، بل يمكننا القول إن معنى لبنان "مسيحي" ولو كان مسلما، واللبناني هو قواتي وإن لم يكن من القوات.

وكلمة شهداء المقاومة في حقيقتها امتداد لكلمات مهمة ألقاها جعجع تسير باتجاه الدولة الحديثة والقطيعة مع نقائضها الحاضرة والتاريخية. الأولى اعتذاره عن تجاوزات الحرب الأهلية، ليكون السياسي اللبناني الوحيد الذي اعتذر لجمهوره ولغيره عن ظروف يدان فيها الجميع. ومن يطلب مغفرة الآخر على تجاوزات الذات يعني، أساسا، أن الذات قد غفرت للآخر تجاوزاته، ليكرس بذلك كلمته بعد تحرره من السجن التعسفي الناجم عن الوصاية البعثية على لبنان "للحرب منطق وأسلوب لم يعد صالحا ولا قائما اليوم. أيها اللبنانيون، حين تحررتم من السجن الكبير حررتموني من الزنزانة الصغيرة".

والكلمة الثانية التي سبقت بأشهر الحراك المطلبي الدائر في لبنان هذه الأيام، كانت خلال حفل توزيع بطاقات الانتساب للقوات اللبنانية "يجب العمل على محاربة الفساد والتخلف والزبائنية في السياسية والمجتمع وداخل الدولة، أن يبقى المواطن اللبناني أسير العتمة والعطش والرشوة والفساد فهذا ما لم يعد جائزا إطلاقا في القرن الحادي والعشرين". وأكمل "لم نستشهد في زمن المقاومة كي نشهد زورا في زمن المؤامرة ونحن قوم إن قاتلنا نقاتل بشرف وإن حاورنا نحاور بشرف". وأضاف "هلمّوا نشرّع نوافذنا لأنوار الديمقراطية والحياة الحزبية الصحيحة، هناك مفهوم شعبي ملتبس عن الأحزاب، فالحزب بمفهومه العام، وبعكس ما يعتقد كثيرون، ليس تذويبا للفرد في إطار الجماعة الحزبية، ولا مصادرة للقرار الفردي لمصلحة القرار الحزبي، وإنما هو قمة الاختيار الحر والقرار المستقل، وقفزة هائلة نحو المستقبل إذ لا مستقبل لأيّ مجتمع ديمقراطي من دون أحزاب، الفرد الحزبي هو من امتلك جرأة التخلّي عن عصبيّته العائلية أو العشائرية أو المناطقية ليتبنّى مفاهيم جديدة داخل حزبه أوسع من العائلة والعشيرة والمنطقة، وهذا ما فعله بالضبط كل فردٍ منا في القوات".

والكلمة الثالثة هي إعلان برنامجه الرئاسي عام 2014 الذي قارب مفهوم "الجمهورية القوية" من زاوية أوسع، تتجاوز المشكلة الظاهرة والجوهرية "قيام دولة قوية في لبنان لا يمكن أن يتحقق إلا بجمع السلاح غير الشرعي على الأراضي اللبنانية وحصره بالقوى الشرعية كمقدمة لإعادة كل القرار العسكري والأمني"، عبر اقتحام نظرية الدولة من منظور النجاعة وزاوية الولاء الوطني وكأنّ من كتب البرنامج هو فؤاد شهاب.

في هذا السياق جاءت كلمة "ما بينعسوا الحراس" امتدادا لتطور فكري وسياسي، بدأ بقطع جعجع للعلاقات المسيحية–الإسرائيلية والتصالح مع القضية الفلسطينية والعروبة ثم تأييد اتفاق الطائف وتسليم السلاح فورا إلى الدولة اللبنانية زمن الحرب، مواجهة الوصاية السورية كامتداد لمواجهة المطامع الفلسطينية ودفع الثمن باعتقال تعسفي وتشويه إعلامي واستهداف سياسي تجاوز السنوات العشر، لحاق المكونات اللبنانية المختلفة بفكر القوات في ثورة 14 آذار على إثر استشهاد الرئيس رفيق الحريري ما أدى إلى تحرر لبنان من الوصاية البعثية، مواجهة ميليشيا (حزب الله) والمطامع الإيرانية بمنطق الدولة والعروبة والهوية اللبنانية كمدخل للتمدد الوطني خصوصا بعد هرب الرئيس سعد الحريري وتقلبات وليد جنبلاط وتردد آل الجميل وخيانات ميشال عون ونزقه وشخصنته، وبعد أن تحرر جعجع من صورة أمير الحرب وزعيم الطائفة كان ترشحه للرئاسة منطقيا ومقبولا، بل وواجبا.

في كلمته (ما بينعسوا الحراس) استطاع جعجع أن ينحاز إلى الشارع اللبناني البريء لأنه الأقل أخطاء في هذه الطبقة السياسية، فهو غير مشارك في الحكومة الحالية، ومشاركة حزبه خلال عقود خلت كانت بمثابة استثناء لا قاعدة، بل إنه وحزبه دفعوا ثمنا غاليا نتيجة فساد الطبقة السياسية وتبعيتها.

وليس هناك محسوب على القوات يشتبه تورطه في قضايا الفساد القائمة. وليس هناك مؤسسة مرتبطة بالقوات يمكن الإشارة إلى احتكارها أو تطلعها لكعكات الفساد المتداولة، كما أنه رفض الاصطفاف مع الطبقة السياسية الراهنة في طاولة الحوار لعدم جدواها، كما رفض المشاركة في حكومة تمام سلام التي شكلت بمنطق اقتسام الغنائم، فالمشاركة فيها مسايرة للفساد عبر السكوت عن الفاسدين.

وجعجع يرفض الجلوس في حكومة واحدة مع قتلة صديقه الوطني محمد شطح (حزب الله).

وأهمية هذه المواقف، وعلى رأسها الانحياز للشق الصالح والصادق في الحراك المطلبي، تكمن في النأي بقيم ثورة 14 آذار عن زواريب السياسة إلى علياء الوطنية، وتأكيد أمومة القوات اللبنانية لقيم 14 آذار، تأكيد للتماهي بين القوات وبين الشارع اللبناني بعيدا عن اصطفافات السلطة، وتأكيد قيمة 14 آذار في جمهورها الذي تعرض للخذلان من ساسة اقتسام الغنائم، وتلك رمزيات لا يمكن تجاهلها، خصوصا مع إعلان أمين عام حزب الله عن حياده إزاء الحراك والطلب من جمهوره عدم الانخراط فيه.

في الكلمة الأخيرة لجعجع لم يكن رئيس حزب أو زعيم طائفة، لقد بدت شكلا ومضمونا كلمة رئيس الدولة القوية، وكأنها خطاب القسم الذي يتلو انتخاب رئيس الجمهورية، فزعيم أحرار المسيحيين والمسلمين، اللبناني الحر والصرف والمستقل والنزيه، المتشابه مع شارع غاضب من المحاصصة والفساد، أحرج حلفاءه قبل الخصوم، وكأنه يتطلع إلى موقع مواز لفؤاد شهاب لو أخذ فرصته وهو من وازى بشير الجميل بلا فرصة كاملة.

ومع هذه المكاسب النظرية يفتقد الدكتور جعجع إلى مبادرة سياسية تترجم على صعيد الحلفاء في الداخل والخارج، فلندع الخوف جانبا ولنسر خلف جعجع لبنانيين وعربا إلى قصر بعبدا.

* صحافي سعودي

لبنان اليوم بحاجة إلى شخصية مسيحية تجمع بين بشير الجميل وفؤاد شهاب كمعان وحسنات

> منظمة التحرير أرادت باسم القضية ابتلاع لبنان كما حاولت سلفا في الأردن، وكما تصدى الملك حسين لتلك المحاولة أردنيا، كان المسيحيون وعلى رأسهم بشير ووالده بيار مع قادة الجبهة اللبنانية نسخته لبنانيا

> لبنان بالنسبة إلى حزب الله مجرد حيز جغرافي، فهو وكيل الثورة الإسلامية الإيرانية.. ومن خلال التسمية وحدها نفهم الخصومة الوجودية بين فريقين، قوات لبنانية وحزب إيراني، ألم يسع (حزب الله) تسمية نفسه: المقاومة الإسلامية اللبنانية؟

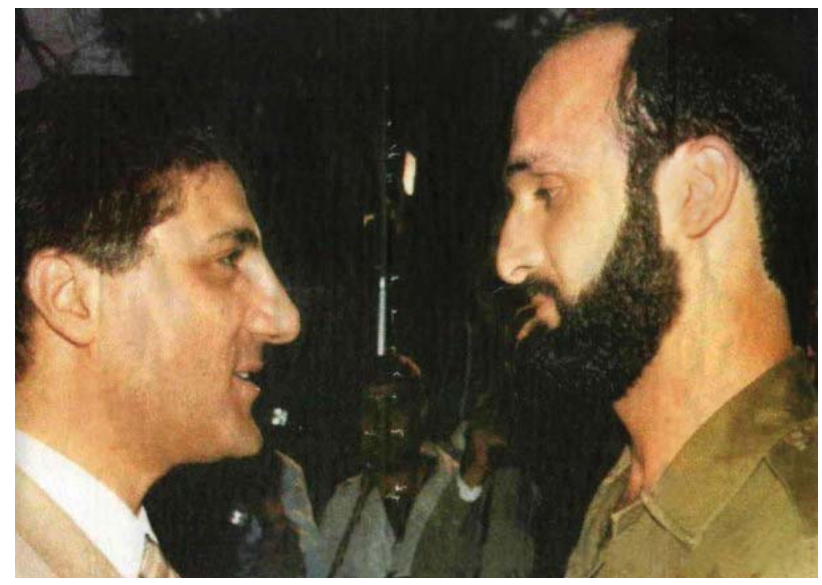

مسيرة جعجع القيادية بدأت من نتائج بشير لا من مقدماته، أي أن انطلاقة جعجع تمخضت من نضج بشير

مصري حلّق من بلاط صاحبة الجلالة إلى مقعد وزير الثقافة

حلمي النمنم تنويري في معركة مستمرة مع طيور الظلام

أيمن عبدالمجيد

من بلاط صاحبة الجلالة إلى مجلس الوزراء، لم يتغير في ساحة المعارك الفكرية التي اعتاد حلمي النمنم خوضها سوى أدوات الحرب فقط، فاستبدل قلمه بحقيبة وزارة الثقافة، مضيفا حلقة جديدة في مسلسل الجدل الطويل، الذي لم يتوقف حول مدى صلاحية عدد من الوزراء توالوا على الثقافة خلال السنوات الماضية، لمواجهة تحديات الحياة الثقافية، ومعايير اختيارهم.

حلمي النمنم الذي تميز عن سابقيه بأن الجدل حول اختياره انتقل من الداخل الذي اقتصرت عليه الانتقادات من قبل، إلى المحيط الإقليمي، وتحديدا بين النخب السعودية، بسبب مواقف الوزير الجديد السابقة الناقدة للوهابية.

فبعد ساعات من أدائه اليمين الدستورية غرّد الكاتب السعودي المثير للجدل جمال خاشقجي على حسابه بموقع التواصل الاجتماعي تويتر، منتقدا تعيين النمنم وزيرا للثقافة، معتبرا أن من شأن ذلك وقف التعاون الثقافي بين القاهرة والرياض، قائلا إنه "حري بمصر ألا تعين وزيرا أمعن في الإساءة للمملكة، مثل حلمي النمنم، الذي صرح في وقت سابق بأن الوهابية هي سبب مصائب الأمة العربية".

في المقابل، رد النمنم بقوله إن موقفه المعلن هو ضد الإرهاب فقط، مستغربا أن يضع البعض نفسه ضمن هذه الفئة، مضيفا أن الوهابية "شأن خاص بالمملكة العربية السعودية لا أتدخل فيه، لكن أعارض محاولة تصديرها لمصر"، مؤكدا أنه "يحترم خيارات السعوديين وعليهم احترام خياراتنا".

وليمة للإرهاب الديني

درس النمنم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة عين شمس، فخلقت داخله عقلية ناقدة، عمّقها بالبحث في التاريخ الأدبي والثقافي، والغوص في تاريخ الحركات الإسلامية، كاشفا ما طرأ عليها من انحرافات فكرية.

قادته الظروف إلى قلب المعركة مع الإسلام السياسي، بعد أن التحق بالعمل كصحفي بمؤسسة دار الهلال، وتتلمذ على يد الكاتب الكبير مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة المصور، التي شهدت خلال رئاسته ذروة المواجهات العنيفة مع التنظيمات المتطرفة الخارجة من رحم الإخوان، كانت قمة الدراما فيها بتعرض مكرم لمحاولة اغتيال فاشلة.

في تلك الأجواء المحفّزة رصد النمنم المولود عام 1959، في قرية البوهة - ميت غمر بمحافظة الدقهلية، الإرهاب كظاهرة تستحق الدراسة والتحليل، فتناول التحولات الفكرية لسيد قطب، منظر جماعة الإخوان، راصدا في كتابه "سيد قطب.. سيرة التحولات"، تنقلاته العديدة في حياته الخاصة، منذ أن كان ناقدًا أدبيًا واعدًا قبل أن ينقلب على النقد، ومنذ أن كان ماسونيًا متحمسًا يفتخر بماسونيته، قبل أن يتحول إسلاميًا تكفيريًا رافضًا للآخرين على طول الخط.

ثم توالت مؤلفات الوزير المثقف الصحفي التي تسعى لكشف الغطاء عن حقيقة الإسلام السياسي في مصر، منها "حسن البنا الذي لا يعرفه أحد"، "سيد قطب وثورة يوليو"، "الأزهر الشيخ والمشيخة"، "وليمة للإرهاب الديني"، "الحسبة وحرية التعبير"، "طه حسين والصهيونية"، "جذور الإرهاب أيام سليم الأول في مصر"، وغيرها.

هذا العداء الفكري بين النمنم وجماعات الإسلام السياسي المبني على فكر واع وقراءة مستنيرة للتاريخ الإسلامي، جعله هدفا دائما للجماعة المصنفة على قوائم التنظيمات الإرهابية، فسارعت فور توزيره مؤخرا، إلى تأليب أنصارها عليه عبر منصاتها الإعلامية بذريعة أنه ضد الدين.

استغل هؤلاء في معركتهم تصريحات قديمة له في إحدى الندوات الثقافية عقب ثورة 30 يونيو 2013، اعتبر فيها أن ما يتردد حول أن مصر متديّنة بالفطرة مجرد أكذوبة، والحقيقة أن مصر علمانية بالفطرة، تحتاج دستورا يخطو بها إلى الأمام، يرسخ للديمقراطية والحرية، مضيفا "حتى لا نكون رومانسيين، لا يوجد في التاريخ إرساء للحرية والديمقراطية، دون معارك وإسالة دماء".

اللافت للانتباه أن اشتعال جبهة المعركة بين النمنم والإخوان قابلها هدوء مريب في معركته مع السلفيين، الذين اعتاد على انتقادهم بعنف، حتى أنه في الندوة ذاتها التي أكد فيها النمنم على علمانية الدولة، قال إن حزب النور السلفي أخطر من الإخوان، وأنه يتعامل مع الدولة بمنطق "أحصل على ما أريد،

أو أذهب إلى معتصمي رابعة"، كالزوجة التي تبالغ في مطالبها من زوجها، وإذا لم تحققها تهدده بأنها ستذهب لشقه مفروشة وتعيش مع آخر، وهو الفيديو الذي تداوله النشطاء تحت عنوان "النمنم يصف حزب النور بالمرأة اللعوب".

وأكد بعض المراقبين أن معركة السلفيين مع الوزير قادمة لا محالة، لكن بعد أن يفرغوا من انشغالهم بالانتخابات البرلمانية، التي ستكشف حجمهم الحقيقي في المجتمع، بالتالي تحدد مدى شراسة هجومهم عليه.

يتماهى النمنم مع دعاوى تجديد الخطاب الديني، داعيا عبر كتاباته إلى تقديم الدين الإسلامي في صورة جديدة، بدلا من الاعتماد على فقه مضى عليه أكثر من عشرة قرون، قائلا "الأئمة أبو حنيفة والشافعي وغيرهما على عيني ورأسي، لكن هؤلاء الناس عاشوا في زمن كانت وسيلة المواصلات، وآسف على التعبير، الحمار أو الجمل، أنا الآن أركب الطائرة وأحتاج لفقه يناسب هذا".

على عكس وزير الثقافة الأسبق جابر عصفور، تجنب النمنم افتعال المعارك حول أحقية التصدي لتجديد الخطاب الديني بين الوزارة والأزهر الشريف، وعلق على ما يتردد عن صراع محتمل مع المؤسسة الإسلامية الرسمية في مصر بقوله "علاقتي بالأزهر جيدة، وكنت أحد الذين شاركوا في وضع العديد من الوثائق التاريخية المهمة، مثل وثيقة الدولة المدنية، ووثيقة الحريات الأربع، وبالتالي علاقتي بالأزهر واضحة جدا".

وأوضح أنه عندما تعرض الأزهر للهجوم، كان أقوى شخص دافع عنه، سواء في زمن الرئيس الأسبق حسني مبارك، أو بعده حين حاولت التيارات الإرهابية اقتحامه فكريا في 2011، وهو مع الدفاع عن الأزهر كمؤسسة، وضد افتعال المعارك الوهمية، وإذا كان هناك تيار متشدد داخله، فشيخ الأزهر وقياداته ضد هذا التشدد.

طريق الإدارة

اهتمام النمنم المبكر بالملفات الثقافية، وتواجده الدائم في أوساط المثقفين، قرّبه من فاروق حسني، أحد أشهر وزراء الثقافة في مصر، ومكث في مكانه نحو 24 عاما متصلة خلال عهد مبارك، وهو الذي كلف النمنم عام 2009 بمنصب نائب رئيس الهيئة العامة للكتاب، ليبدأ ممارسة العمل الإداري داخل أحد أهم وأخطر المؤسسات الثقافية التابعة للوزارة.

وضع حلمي النمنم بصمته سريعا بإصدار قرار إداري، يحظر على قيادات الهيئة نشر أعمالهم ضمن إصداراتها، وإتاحة الفرصة للكتاب من خارجها وللمواهب الشابة لنشر إبداعاتهم، الأمر الذي لقي استحسانا من الوسط الثقافي، وقابلته قيادات الهيئة في حينه بغضب مكتوم.

رحل النمنم عن موقعه في الهيئة العامة للكتاب برحيل فاروق حسني ونظام مبارك كله، عقب اندلاع ثورة 25 يناير 2011، إلا أنه تولى رئاسة مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال الصحفية لمدة عامين، قبل أن يتولى رئاسة لجنة النشر بالهيئة العامة للكتاب، ثم رئيسا (بالإنابة) لها، ورئيسا لدار الكتب والوثائق القومية عقب ثورة 30 يونيو.

تلك الفترة استدعاها رافضو النمنم من المثقفين، مذكرين الرأي العام بتصريحاته عقب بدء محاكمة مبارك، التي وصفها بأنها محاكمة وطن، إلا أن الوزير الجديد فنّد الانتقادات متهما معارضيه بأنهم "حمّلوا تصريحاته ما لا تحتمل، وأنه قصد أن التهم الموجهة لمبارك ليست هي التي ينبغي أن يحاكم بمقتضاها وفي القلب منها الفساد السياسي".

كما دافع عن علاقته بفاروق حسني، وقال إنه اضطر لاختياره بعد أن أصبحت الهيئة فارغة من الرئيس والنائب، مذكرا بأن النظام رفض قبلها تعيينه رئيسا لهيئة الكتاب، بسبب مقالات كتبها ضد التوريث في جريدة الدستور.

وقال "عارضت بقوة في وقت كان مدعو المعارضة اليوم يلعقون فيه حذاء النظام، وكان محمد حبيب نائب مرشد الإخوان وقتها يعتبر أن مبارك أبٌ لكل المصريين".

يعد النمنم الوزير الأكثر قبولا في وزارة الثقافة التي شهدت الكثير من التغييرات، بعد ثورة يناير، وقد أدت سرعة تناوب الوزراء إلى فقدان تأثيرهم وتراجع حضورهم في الشارع المصري، والوسط الثقافي تحديدا، لأن جميعهم تقريبا لم يخلفوا غير غبار معارك جدلية عديمة النفع.

لكن الوزير الجديد يؤكد سعيه لإزالة الخلافات التي نشبت بين المثقفين والوزارة في الفترات السابقة، إلى جانب إعلاء الشفافية وتطوير أساليب إدارة المؤسسات الثقافية، ودلل على تفاؤله بنجاحه في تحقيق إنجازات ملموسة خلال شهرين فقط تولى فيهما رئاسة دار الكتب، بضم 273 مخطوطة جديدة كانت ملقاة في "بدروم" بناية بمحافظة الشرقية، مضيفا أن لديه العديد من التجارب الناجحة والإنجازات في كل موقع تولاه عكس ما يروّج مناهضيه.

يعوّل النمنم الذي يرى أن "مصر تعيش لحظة فارقة في تاريخها"، على تضافر كافة الجهود، بحكم علاقاته المتشعّبة بالمثقفين، والاستفادة من جميع مقومات القوة الناعمة، واستعادة الزخم للدولة المصرية، وتعويض الغياب الطويل، والإعلان عن جدية السعي نحو التحول الديمقراطي، وبناء الدولة المدنية الحديثة.

بصمات النمنم

من مرجّح أن تظهر بصمات النمنم في معرض القاهرة الدولي للكتاب، المقرر تنظيمه خلال شهر يناير المقبل، والذي يمثل السوق والعيد الكبير للثقافة المصرية، لكن السؤال الذي بدأ يتردد بقوة منذ تعيين النمنم، هل يستطيع بكل مواهبه وملكاته أن يعيد الاعتبار لمكانة مصر العربية؟

يُحسب للوزير الجديد قدرته على الاستفادة من عمله الصحفي الطويل في توفير ظهير إعلامي له، ما يحد من توجيه الانتقادات له، بعكس وزراء الثقافة السابقين، كانت عداواتهم مع الإعلام سببا لكشف كثير من نواقصهم الفكرية، حيث شارك في تأسيس صحيفة "الدستور" في إصدارها الأول عام 1995، وهي أول صحيفة خاصة تصدر منذ قيام ثورة يوليو، كما شارك في تأسيس صحيفة "المصري اليوم"، ويواظب على كتابة مقالات في صحف عدة، وضيف على كثير من القنوات الفضائية.

كذلك فإن تدرجه في مواقع إدارية مختلفة بالوزارة والصحافة، قبل توليه منصب الوزير، جعله أكثر قبولا لدى الوسط الثقافي، غير أن ذلك لم يحصّنه من انتقادات المثقفين فور إعلان اسمه.

وفي مداخلة تلفونية بأحد البرامج على فضائية "دريم" نشبت معركة كلامية بين النمنم والدكتور شوكت المصري أحد الأساتذة بأكاديمية الفنون، الذي اعترض على توليه حقيبة الثقافة، ليس لشخصيته أو انتمائه السياسي، إنما لعدم قدرته على إدارة المؤسسات الثقافية في مصر، كونه لم يقدم جديدا خلال إدارته لدار الكتب والوثائق القومية، بالإضافة إلى توليه الهيئة العامة للكتاب خلال الشهرين الماضيين، دون أن يقدم جديدا في المجال الثقافي خلالهما.

واصل الأكاديمي هجومه على الوزير قائلا "للمرة الخامسة على التوالي يتم اختيار وزير الثقافة دون رؤية ولا سياسة واضحة منذ عهد عماد أبو غازي (أول وزير بعد تنحي مبارك)، وأن آخر ما تفكر فيه الحكومات المصرية المتعاقبة خلال اختيارها للوزراء هي الثقافة، فهناك عدة ضوابط تحكم عملية اختيار وزير الثقافة بصفة خاصة، لم تراعيها حكومة المهندس شريف إسماعيل الجديدة خلال اختيارها لحلمي النمنم، من بينها أن تكون له خطة استراتيجية واضحة للوزارة قبل توليه المنصب".

بين تفاؤل الوزير ومحبيه، وتشاؤم معارضيه ومنتقديه تبقى الأيام وحدها كفيلة بتعزيز أي شعور لدى المهتمين بالشأن الثقافي سترجح كفته، وسط منظومة عانت عشرات السنين من الإهمال والتهميش.

> الظروف تقوده إلى قلب المعركة مع الإسلام السياسي بعد أن التحق بالعمل كصحفي بمؤسسة دار الهلال في الثمانينات، التي شهدت خلالها مصر ذروة المواجهات العنيفة مع التنظيمات المتطرفة الخارجة من رحم الإخوان

> الإرهاب كظاهرة تستحق الدراسة والتحليل، شغل اهتمام النمنم فتناول التحولات الفكرية لسيد قطب، منظر جماعة الإخوان، راصدا في كتابه «سيد قطب.. سيرة التحولات»، تنقلاته العديدة في حياته الخاصة، منذ أن كان ماسونيا متحمسا يفتخر بماسونيته

مواطن رفض اللجوء ليحرس «ظل التين والزيتون»

السوري الذي بقي في الداخل بين وحشية النظام وشكوك المعارضة

باسل العودات

❏ رغم الوضع المأساوي التي تعيشه سوريا، وعنف نظام الأسد الذي لا يُميّز ولا يرحم، والآلاف من الشبيحة والمرتزقة الذين علمتهم أجهزة المخابرات مبدأ التعذيب والابتزاز والقتل بلا حساب، ورغم الوضع الاقتصادي الهش والأعمال المتوقفة والموارد المحدودة، مازال يسعى لعمله وشؤونه اليومية غير مكترث بقذيفة مرت من هنا أو أخرى انفجرت هناك، ولا يحظى بترف اختيار الطريق الأكثر أمانا، ومنذ ألف وخمسمئة يوم، يأمل في أن يمضي يومه دون أن يتذكره قابض الأرواح.

معركة البقاء

تَمسّك بالأرض وبالماضي، بما فيها وفيه من أحباب وذكريات وبقايا أماكن، وشاهد صور الملايين من اللاجئين في المخيمات البائسة في دول الجوار، وفيما بعد صورهم يغرقون في البحار، أو يهيمون في بلدان غريبة تحميهم، فأدرك صواب قراره بالبقاء.

ظل أمينا لشعار الثورة الأول: "الموت ولا المذلة"، وربط بين قراره بالبقاء في سوريا وقيمتا الحرية والكرامة اللتين انطلقت الثورة لاستعادتهما من نظام القمع والقهر والتمييز، وآله خروج المعارضة السورية وترك بعضهم البلد أحيانا دون مبرر، وشاهد رفاهيتها و"تسكّع" كثير من رموزها في دول العالم و"تنظيرهم" عن بعد، وجدلهم "البيزنطي" حول الحل العسكري والحل السياسي، و"تنظيرهم" على الثوار بضرورة الثبات والقتال حتى آخر رجل، فحزن وانتقدها بشدة، فثارت عليه تشوه صورته لمجرد أنه أصر على البقاء.

إنه السوري الذي بقي داخل سوريا، وطبعا ليس المقصود الموالين للنظام وشبيحته وميليشياته وغالبية طائفته وبعضا من الطوائف الأخرى الداعمة له من منطلق أعمى، ولا تلك المعارضة الرخوة المقربة منه، بل السوري العادي من الأكثرية التي ظُلمت قبل الثورة من نظام تمييزي طائفي أمني فاسد لا يرحم، ثم ظلمها بعض المعارضين بتوجيه الاتهام لها بقربها من النظام، السوري الذي خبر قسوة النظام لكنه "درويش" لا يملك القدرة على الخروج، والسوري المعارض الصلب الذي لا يرغب أساسا بالخروج ويتمسك بالبقاء، بتحد ضروري في وقت بات يُخرج فيه السوريون أفواجاً ويتركون الساحة للنظام وخططه.

من بقي في سوريا؟

تناسى البعض أن من بقي في سوريا من معارضي النظام هم كثر، بل ومازالوا الغالبية العظمى على الرغم من محاولة النظام إفراغ سوريا وتهجير أهلها، فبعض من بقي مقاتلون ثوار، إن غادروا انتهت الثورة، وبعضهم معارضون ونشطاء ينقلون الحدث ويوصلون "صوت الذين لا صوت لهم" إلى العالم، وبينهم مناضلون "كلاسيكيون" متمسكون بالمكان كنوع من الصمود، فضلا عن قسم من البسطاء الذين يبحثون عن قوت يومهم، ولم يصطفوا رغم معرفتهم بسوء وعنف وفساد وطائفية النظام لأن المعارضة السياسية لم تُقدّم بديلا يُقنعهم.

> بعض من يصر على البقاء في سوريا اليوم هم مقاتلون ثوار، إن غادروا انتهت الثورة، وبعضهم معارضون ونشطاء ينقلون الحدث ويوصلون «صوت الذين لا صوت لهم» إلى العالم، وبينهم مناضلون «كلاسيكيون» متمسكون بالمكان كنوع من الصمود، فضلا عن قسم من البسطاء الذين يبحثون عن قوت يومهم

من بقي في سوريا خمس شرائح وربما أكثر، أولاها شريحة تضم معارضين ومناوئين للنظام، لا يريدون الخروج، ولا يعنيهم اللجوء ولا يأبهون بالجنسيات الأخرى، فلا معنى لها دون وطن، ومتفائلون بأن انهزام النظام سيأتي قريبا، وبالإضافة إلى هؤلاء هناك شريحة تشمل مقاتلين وناشطين تبنوا الثورة وسحرتهم أهدافها، أو حلفوا أيمانا بأن ينتقموا لقتلاهم وضحاياهم، أو جعلوا الدفاع عن قريتهم أو أرضهم أو بيتهم هدفا مقدسا.

وهناك أيضا تجار الحروب من الطرفين، مع ترجيح كفة مجرمي حرب النظام بعشرة أضعاف، وهم ممن تُشكّل الحرب بالنسبة إليهم مصدر ربح وثروات، سرقة ونهب واختطاف وحواجز وابتزاز.

وبالقرب منها تقف شريحة من موالي النظام ومرتزقته ومن المستفيدين منه والمنافقين له (وهم كثر)، فضلا عن جزء لا يُستهان به من طائفته، وهؤلاء يتمسكون بالبقاء للدفاع عن نظام ورثوه ونهبوا سوريا عبره ويأملون في أن يحكموها من جديد بالحديد والنار.

وأخيرا هناك شريحة، هي الأكبر من المواطنين البسطاء، ممّن يريد الحياة، لا يرغبون بالخروج لأنهم لم يعتادوا على التشرد، فالمكان بالنسبة إليهم ليس قبعة تتغير بسهولة، ولدوا وعاشوا ويريدون أن يموتوا في المكان الذي عشقوه وأحبوه، فالبقاء هو خيارهم الوحيد.

دمشق وحلب ودرعا وغيرها بالنسبة إلى الكثيرين الذين بقوا في سوريا ليست فندقا بل وطن، وطن يجب البقاء فيه وحمايته من أنياب نظام يريد تمزيقه، وبصرى ومدرجها وتدمر وأعمدتها وحلب وقلعتها ودمشق ومسجدها ومعلولا وكنائسها، كلها ملكهم وليست للنظام، تاريخهم وحاضرهم ومستقبلهم، وإن دمّر النظام بحقده بعضها وقوى الظلام بعضها الآخر إلا أنها لن تفنى لأن الأوطان لا تفنى، فالطغاة إلى الزوال والوطن باق.

كيف يعيش الرافضون

لا يمكن وصف عيش السوري المناوئ للنظام داخل سوريا إلا بأنه ضرب من ضروب البطولة، وفصول من المآسي والعذابات المطعّمة بالملهاة الإنسانية، ويمكن التمييز بين طبيعتي عيش، الأولى في المدن المحاصرة المستهدفة يوميا من قبل النظام ومن قبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش وكتائب إسلامية أخرى لا تقل قسوة عنهما، والثانية مناطق أكثر أمنا كالعاصمة دمشق ومراكز المدن الكبرى الأخرى.

في المدن المحاصرة والمستهدفة يعاني السوريون معاناة شديدة وقهرا ووفيات بين صفوف المدنيين، حيث يخرق النظام كل القوانين الدولية والشرائع الإنسانية، يساعده في ذلك ويتماهى معه تنظيم الدولة الإسلامية، ويترك تصرفهما معا أو كل على انفراد تأثيرا مدمّرا على المدنيين الذين يعيشون في بؤس مطلق، ويستخدم النظام أسلوب الحصار والتجويع للمناطق الحاضنة للثوار، ويترافق ذلك مع القصف والغارات الجويّة التي أسقطت مئات الآلاف من المدنيين، وتسببت بهدم مرافق ضرورية للحياة كالمشافي والمولدات الكهربائية وخزانات المياه، بل وتدمير مدن وقرى كاملة، ورغم كل هذا العنف والموت، يتمسك الكثيرون بالبقاء في تحد للنظام وللموت نفسه ويستسلمون للقدر من منطلق ديني أو وطني أو ربما تشاؤمي.

في مراكز المدن الأكثر أمنا، وضع النظام الحواجز ونقاط التفتيش، وأذل البشر وآذى الكرامة، واعتقل الناشطين عليها وعذبهم، ومنعت مرور الغذاء والوقود والإمدادات الطبية، وزادت من معاناة السكان الذين يواجهون نقصا حيويا في المواد الغذائية والمياه والكهرباء والوقود والإمدادات الطبية.

وعلى صعيد أوسع، فإن النظام دمّر مصانع وورشات ومدارس ومشافي، وافقد مئات الألوف مصادر رزقهم، فاضطروا للعمل بأي شيء مقابل أي دخل مهما قلّ، ليضمنوا استمرار حياتهم، ورغم هذا بقيت شرائح من السوريين مصرّة على البقاء لا تُفكّر بالخروج، وشرائح أخرى لا تستطيع لذلك سبيلا بسبب الوضع المادي السيئ.

عدوى الخروج الاضطراري

في الثقافة الشعبية الفلسطينية حكمة تقول "من ترك داره قل مقداره"، يقول المعارض السوري علي العبدالله لـ"العرب" "هذه الحكمة/الدرس حاضرة بقوة في وعي كثيرين في سوريا الآن، هناك معاناة وخوف من البراميل المتفجرة والقصف العشوائي، ومن الاعتقال التعسفي، لا لشيء إلا لأن المواطن من مواليد منطقة خارجة عن سيطرة النظام، فمرور أي شخص من داريا أو دوما أو التل أو المعضمية أو الزبداني أو حماة أو حمص أو الرستن على حاجز للنظام يُعرّضه للمساءلة والإهانة والإذلال، وربما الاعتقال إذا كان من جيل الشباب، لذا كثيرون ممّن أصروا على البقاء في البلد اختاروا اللجوء إلى مدن وبلدات صغيرة وهامشية وليست محط اهتمام النظام وتحت رقابته المشددة، وهذه معاناة قاسية على صعيد ترك حياة في بيئة مألوفة لهم وعجزهم عن توفير مصادر دخل لسد احتياجاتهم المعيشية في ملجئهم في ظل الغلاء الفاحش وانهيار الليرة وممارسات تجار الحروب من أهل النظام وأمراء الحرب".

منذ انطلقت الثورة في سوريا ربيع 2011 كانت مطالب السوريين اجتماعية سياسية، حيث طالبوا بالحرية والحد من الفساد ووقف تسلط الأجهزة الأمنية، وقادت الحراك شريحة من خيرة شباب سوريا، بعضهم متسلح بالثقافة وبعضهم ثائر بالفطرة، رفعوا شعارات لا طائفية سلمية تعكس مطالبهم وأحلامهم ومواقفهم، لكن عنف النظام وسلاحه حوّلها لثورة تريد إسقاط النظام جذريا.

استخدمت السلطة السورية أسوأ وأغبى الحلول، فوجّهت السلاح ضد الشعب، واعتقد "جهابذة" الأجهزة الأمنية، ممّن يعشق الأقبية والسراديب ويمتهن التعذيب والقتل، أن التخلص من الصف الأول من الناشطين سيُنهي الانتفاضة، فاعتقلهم وعذبهم وقتلهم أمام أعين الشهود، لكن فرضية تصفية الشبيبة الثائرة لم تنجح، بل زاد عنف النظام من اشتعال الثورة التي أفرزت رعيلاً ثانيا، فانتقل مجرمو السلطة إلى مرحلة أخرى أكثر حقدا تقضي بتدمير المدن الحاضنة للثورة واستخدام كل وسائل القتل.

أصبح الثوار وقادة الحراك السلمي وبعض المعارضين هدفا لأجهزة النظام الأمنية، فكان لا بد من خروجهم بعيدا عن قبضته، وتبعتهم موجات من مئات ألوف اللاجئين ممّن هربوا من الموت والصواريخ والدمار، فامتلأت دول الجوار بمئات الآلاف من السوريين ثم بالملايين.

من حق كل من تعرّض لعنف أو يعيش في منطقة خطرة أن يبحث عن ملجأ آمن، في الداخل أو الخارج، ويمكن احترام خياراته لأن شبح الموت مخيف، لكن في نفس الوقت لا بد من الانتباه إلى أن هناك كثيرين خرجوا لأسباب مختلفة تماما، بعضها اقتصادية بحتة، كالبحث عن فرصة عمل أو دراسة أفضل، وبعضهم خرج كنوع من أنواع التغيير، أو غيرة وعدوى من أصدقاء صاروا بأوروبا، حتى أن بعض من يقيم بدول الخليج بأمان تركها رغبة في الحصول على أي جنسية أوروبية، ولو بعد عقد، لأنها برأيهم أفضل من جنسيتهم السورية.

خرج من سوريا خلال أربع سنوات قسم كبير من المعارضين، بعضهم بقاؤه يهدده بالفعل، وبعضهم لم يكن على لائحة المطلوبين وكان يعيش في مناطق آمنة، وبخروجه لم يفد الثورة بشيء، لا انشقاقه الخالي من المعنى، ولا اصطفافاته السياسية التي ساهمت في كارثية وضع المعارضة السياسية السورية، وينتقد السوريون أحيانا أن تكون غالبية قيادات المعارضة السورية الآن هم ممّن كان يعيش في الأصل بالخارج أو خرج دون مضايقات أمنية وبطريقة نظامية.

> السوري الذي بقي داخل سوريا، لا يبدو كواحد من الموالين للنظام وشبيحته وميليشياته وغالبية طائفته وبعض من الطوائف الأخرى الداعمة له من منطلق أعمى، ولا واحدا من تلك المعارضة الرخوة المقربة منه، بل السوري العادي من الأكثرية التي ظلمت قبل الثورة من نظام تمييزي طائفي أمني فاسد لا يرحم

المقلق في الأمر، أنه في ظل الوضع المأساوي بالداخل، خرجت أصوات كثيرة تُخوّن من بقي أو من يصر على عدم المغادرة، أصوات تتهمهم بالقرب من النظام وأحياناً بالتماهي معه، رغم أن شريحة كبيرة من المعارضين، من غير المزيّفين الموجودين بالفعل، مازالوا بالداخل يُعطون من في الخارج جرعاً من التفاؤل ودروساً في الثبات.

ظلم ذوي القربى

بقي في سوريا معارضون وناشطون كثر، عملوا بكل الوسائل لدعم الثورة والحفاظ على ما تبقى من ألقها، قدّموا مساعدات إنسانية وطبية وإغاثية، ونظّموا الدفاع المدني، وأعادوا تأسيس مرتكزات لعمل ثوري يدوم، واستمروا في الكتابة بوسائل الإعلام كمعارضين لا يرقى الشك لهم، ونظّموا برامج توعية لمن بقي، واستصرخوا ضمائر العرب والمجتمع الدولي لتقديم مساعدات، وكشفوا كثيرا من جرائم النظام التي كان يمكن أن لا يسمع بها أحد، ولم يقبلوا بأن يشتريهم النظام بأي ثمن، وهم كثر يصعب حصرهم.

ضاق الكثير من المعارضين والناشطين في الداخل ذرعا بعبارات التخوين التي يطلقها نظرائهم ممّن يقيمون خارج سوريا، ويؤكدون على أن هؤلاء لا يعرفون حجم التضييق والضغوطات الأمنية والتهديدات التي يتعرضون لها، ولا يعرفون كيف يعيش السوري في بلده المحتل، ويرفضون البطولات الكلامية لمعارضي وناشطي الخارج، وهم مستعدون لدفع ثمن بقائهم في سوريا.

يقول المعارض والسجين السياسي السابق العبدالله "لقد أكدت صور اللاجئين في مخيمات اللجوء بالدول المجاورة خلال السنوات الماضية، بداية، وصور الهجرة وغرق المئات، تاليا، صحة موقفهم وقوّت إرادتهم وعزيمتهم على التمسك بقرارهم والبقاء في البلد، وقد ألهم كثيرا هجرة وجوه المعارضة وكادرها الرئيس، وأبدوا أسفهم وتذمرهم من هجرة هؤلاء، وزاد في ألمهم وامتعاضهم تقديم أعداد من هؤلاء طلبات لجوء سياسي وحصولهم على جنسيات أجنبية، وهم كانوا، قبلاً، قد صدّعوا رؤوسهم بالدعوة إلى التغيير ومواجهة الاستبداد، وقد عبّر كثيرون عن إحباطهم ويأسهم من تحقيق بعض أهداف الثورة في ظل هكذا مناضلين ومثقفين، وهذا دفع بعضهم إلى الهجرة بعيداً عن حالة عدم استقرار ودمار سيطول، ناهيك عن الاستفزاز الذي يولده ظهور هؤلاء (الثوار) في فنادق الخمسة نجوم يلتفون حول موائد عامرة والجوع ينهش بطون السوريين".

كثيرون ممّن هم في سوريا أرادوا البقاء ليُعلموا الآخرين كيف يكونوا أحرارا، ويصرّون على أن الصمود في الداخل أهم من التنظير ورسم الخطط في الخارج، وأنهم في كل شبر من سوريا يتطلعون ليوم الخلاص من النظام وإفرازاته من منظمات إرهابية، ويرددون ما قاله يوما توفيق زياد "هنا على صدوركم باقون كالجدار، نجوع نعرى نتحدى، ننشد الأشعار ونصنع الأطفال، جيلا ثائرا وراء جيل، إنا هنا باقون، نحرس ظل التين والزيتون، ونزرع الأفكار كالخمير في العجين، برودة الجليد في أعصابنا، وفي قلوبنا جهنم حمراء".

فكرة بسيطة ظهرت أيام هتلر تحولت إلى فضيحة عملاقة

فولكس فاغن سيارة الشعب التي ستطيح بأسواق العالم

عبدالله مكسور

❑ خلال الأيام الماضية تردّد كثيرا اسم فولكس فاغن على ألسنة المتابعين لعالم السيارات والمهتمين بالاقتصاد العالمي والألماني على وجه الخصوص، خاصة بعد أن أقدم الرئيس التنفيذي لفولكس فاغن مارتن فينتركورن على الاستقالة من منصبه بعد الكشف عن فضيحة التلاعب في قيم العوادم الصادرة من السيارات التي تعمل بالديزل أو السولار، والتي تحمل علامة أكبر شركة منتجة للسيارات في القارة الأوروبية.

الفضيحة كما أسماها كثيرون هزّت قطاع الأعمال والمؤسسة السياسية في ألمانيا الاتحادية مع ورود تحذيرات متواترة من أنّ أذرعها قد تطال مدن القارة الأوروبية كلّها نظرا إلى انتشار مصانع فولكس فاغن أو سيارة الشعب في أماكن متفرّقة تتوزّع في نسب إنتاجها للسيارة رخيصة الثمن.

فولكس فاغن، السيارات الألمانية الشهيرة التي تصنع في فولفسبورغ، في سكسونيا السفلى، كانت قد رأت النور أول مرة في العام 1937، وهي السيارة الأكثر مبيعا في العالم، وتعتبر الشركة المنتجة لها ثاني أكبر منتج للسيارات في العالم، بعد تويوتا.

فولكس فاغن التي تم تطويرها أيام الزعيم النازي أدولف هتلر لتكون سيارة المواطن وصديقة حياته، قلما خلت منها شوارع العالم، بشكلها الكلاسيكي الذي يشبه الخنفساء، ثم أشكالها المطوّرة فيما بعد، لتعيش تلك السيارة الأليفة أزمة كبرى هذه الأيام.

أميركا تكتشف الخديعة

القصة بدأت عندما أعلنت وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة الأميركية أنّ شركة فولكس فاغن ضلّلت عملاءها حين وضعت برنامجا ضمن إنتاجها من السيارات الموجّهة نحو القارة الأميركية، يرسل بيانات خاطئة حول انبعاثات الغازات السامة من عادمات السيارة.

> كارستن برزيسكي كبير الخبراء الاقتصاديين ببنك آي إن جي يقول إن فولكس فاغن ستصبح فجأة عامل خطر لتراجع الاقتصاد الألماني بصورة تتفوق على أزمة الديون اليونانية

أمام هذا الإعلان سقطت الدعاية الترويجية التي أطلقتها مرارا فولكس فاغن حول سعيها الدائم لإنتاج سيارات تحمل علاقة الصداقة مع البيئة، بينما وضع كثيرون هذه الحملات الترويجية في خانة الخداع المتعمّد الذي مارسه فريق إنتاج السيارات الأكثر انتشارا لاستقطاب مزيد من العملاء.

عقب ما حدث قامت فولكس فاغن باستدعاء ما يقارب نصف مليون سيارة من الأسواق الأميركية، فالبرنامج الإضافي الذي تمّ تثبيته يقوم على الالتفاف على قواعد انبعاث أكسيد النتروجين لسيارات الديزل ما يجعلها تبدو أقل انبعاثا بأربعين ضعفا من كميّتها الحقيقية، وهذا ما ينعكس سلبا على آليات التنفس والبيئة على حدّ سواء، وفي اتّهام صريح وجّهته أوساط رسمية أميركية لفولكس فاغن أنّ الأخيرة برمجت تقنيّة تقوم على تمرير العادم خلال الاختبار التجريبي للسيارة ليبدو طبيعيا ومناسبا للبيئة وبمجرّد انتهاء الاختبار التقني يعود إلى حالته التي تمّ تصنيعه بها، وهذا ما وصف بالتورّط المقصود لتضليل المستهلكين للسيارة الأكثر انتشارا، و قد يدفع إلى فرض غرامات مالية تصل إلى ثمانية عشر مليار دولار أميركي على الشركة الألمانية، أي ما يفوق أرباحها التشغيلية كاملة للعام الماضي.

فولكس فاغن الاسم الأضخم في عالم صناعة السيارات ألمانيا وأوروبيا، حيث تأخذ الشركة على عاتقها توظيف أكثر من 270 ألف عامل إضافة إلى عدد غير محدود من العاملين لدى الموردين للماركة الشهيرة حول العالم، فإن كانت الأزمة الأخيرة أطاحت بالمدير التنفيذي، فإنّ تبعاتها ما تزال في ارتداداتها الموجية الأولى، فقد اعتبر كارستن برزيسكي كبير الخبراء الاقتصاديين ببنك آي إن جي في تصريحات صحفية، أنّ فولكس فاغن ستصبح فجأة عامل خطر لتراجع الاقتصاد الألماني بصورة تتفوق على أزمة الديون اليونانية، وأكّد برزيسكي أنّ فولكس فاغن التي باعت حوالي 600 ألف سيارة في الولايات المتحدة العام الماضي 2014 أي ما يعادل 6 بالمئة من إجمالي مبيعاتها العالمية البالغة 9.5 مليون سيارة سنويا، ستشهد تراجعات خطيرة قد تأتي بنتائج لا تحمد عقباها على صعيد التشغيل والإنتاج والأمان الوظيفي الذي تقدّمه.

الدورة الاقتصادية هنا تفرض شروطها وقواعد لعبتها الواضحة التي لا تسمح لأحد باختراقها، فشركة فولكس فاغن العالمية اليوم تواجه خطرا حقيقيا، فالحلم الذي داعب مخيّلة الزعيم النازي أدولف هتلر في إنتاج سيارة تمازج بين القوة والصلابة والسرعة، سرعان ما أخذ طريقه إلى التحقق بعد أن تقدّم المهندس الألماني فاديناند بوشيه باقتراحه إنجاز السيارة التي حملت فيما بعد طرفي السلطة اللذين نادى بها هتلر طوال فترة حكمه، القوة والسرعة، لتكون سيارة الشعب كما ترجمة فولكس فاغن العربية، حيث باتت السيارة منذ انطلاقتها الرسمية عام 1938 والعملية عام 1948 في متناول الجميع.

> وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة الأميركية تكشف أن شركة فولكس فاغن ضللت عملاءها حين وضعت برنامجا ضمن إنتاجها من السيارات الموجهة نحو القارة الأميركية، يرسل بيانات خاطئة حول انبعاثات الغازات السامة من عادمات السيارة

كلمة الجميع التي كانت تعني في ذلك الوقت ألمانيا فقط، صارت في وقت لاحق تعني العالم بأكمله، لتحتلّ صناعة فولكس فاغن خمس إجمالي الصادرات الألمانية بعد تفوّقها عقودا كثيرة.

قدّمت فولكس فاغن بعد أزمتها الأخيرة وعودا عديدة تقوم على نيّتها سحب سياراتها موضوع الإشكال من الأسواق العالمية بغية إصلاحها وإعادة طرحها مرّة أخرى، وأمام هذه الوعود تتصاعد نبرة المطالبات بفرض الغرامة المالية التي قد تبلغ 18 مليار دولار أميركي أي ما يعادل السيولة المالية الحالية في الشركة الألمانية الأم البالغة 21 مليار دولار.

وأمام هذه الخطوات المتلاحقة باتت المخاوف تتواتر عن دخول الاقتصاد الألماني في الركود جرّاء فضيحة فولكس فاغن، حيث برّر اقتصاديون تلك المخاوف بأنّ فولكس فاغن تمثّل العصب الرئيس في حركة صناعة السيارات في ألمانيا وبالتالي فإنّ أيّ هزّة تصيبها ستجعل التداعيات كثيرة على دايملر وبي إم دبليو وأودي.

الحكومة الألمانية ترى في فولكس فاغن فخر صناعتها من حيث الابتكار والجودة والنجاح الذي حققته السيارة الاقتصادية لعقود طوال، لذلك فقد جنّدت فريقا لمتابعة قضية فولكس فاغن باعتبارها ركيزة مهمة في دورة الاقتصاد الألماني الذي شابته توقعات بانخفاض نسبة النمو المنتظرة هذا العام بنسبة 1.8 بالمئة.

أمام كل المطالبات للحكومة الألمانية وإدارة فولكس فاغن بالشفافية المطلقة تجاه إدارة أزمة العوادم، وجدت المعارضة الألمانية فرصتها في هذه الضالة حيث وجّهت سهام الاتهام مباشرة إلى تورّط المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل في الفضيحة الأخيرة، رغم أن ميركل أبدت حرصها على متابعة الملف دون إبداء تصريحات سوى تلك التي تنمّ عن الثقة في الشركة العالمية.

في ظل هذا المشهد الذي يشي بأزمة سياسية تلوح في الأفق، هبط سهم شركة فولكس فاغن للسيارات ما يقارب 25 بالمئة من قيمته الأساسية في بورصة فرانكفورت، أي ما يعادل خسائر تصل في إجمالها نحو 27 مليار يورو، وأمام هذا التسارع وضع الفريق المالي في فولكس فاغن ما يقارب 6.5 بليون يورو في صندوق احتياطي لتغطية أزمة النفقات التي ستنتج عن عملية استرداد السيارات المعطوبة، وفي ظلّ ذلك طفت إلى السطح مخاوف من ارتفاع معدلات البطالة في ألمانيا في حال اتجهت الشركة إلى اتخاذ قرار بإغلاق عدد من مصانعها.

صنع في ألمانيا

تحذيرات الخبراء كانت من ارتدادات كارثية لأزمة فولكس فاغن على قطاعات الصناعة الألمانية التي تتوجّه بها برلين نحو قارّات العالم ومدنه المختلفة، ففضيحة فولكس فاغن تزامنت مع استعداد كل من "أودي" و"بي إم دبليو" و"مرسيدس" و"بورش" بالإضافة إلى فولكس فاغن، لإطلاق الحملة الترويجية المشتركة في دول القارة الأميركية.

الحملة تستهدف تشجيع المستهلكين، وإقناعهم بأن سيارات الديزل أو السولار هي الحل الأمثل في ظل القيود الأميركية الصارمة على انبعاثات العوادم، التي تقوم على تحقيق كفاءة جديدة في حرق جالون واحد لكل 87.7 كيلو متر عام 2025.

ولأنّ ألمانيا تعتبر اللاعب القوي في السوق العالمية للسيارات الصديقة للبيئة من خلال اعتمادها على الديزل، فإنّ شركاتها المختلفة اتّجهت للترويج لهذه التقنية، وكانت السوق الأميركية أحد أهم الميادين المتوقّع أن يتم من خلالها تحقيق نجاحات كبيرة، خاصة بعد أن تعهّدت فولكس فاغن قبل أزمتها الأخيرة بأن تحتل الرقم واحد في قائمة الشركات المنتجة للسيارات صديقة البيئة على مستوى العالم، ولكن في ظل ما حدث مؤخرا فإن التوقعات تتجه إلى حصار خانق سيتم فرضه على الشركة من خلال الجمهور والحكومات.

لطالما احتلت عبارة "صنع في ألمانيا" مكانة الثقة عند المستهلك، مهما تعدّدت الخيارات، ظلّت الماكينة الألمانية متفوقة على غيرها من حيث القوة والجودة والأداء والصلابة، اليوم هناك إشارات حقيقية في ميادين الاستهلاك تحاول النيل من الصناعة الألمانية مستندة إلى تلاعب فولكس فاغن عن سابق إصرار وترصّد بالعادمات الخاصة بسياراتها المتّجهة نحو الولايات المتحدة، وبالرغم من مطالبات الجميع بالشفافية إلا أن القائمين على إدارة فولكس فاغن يقللون من أهمية ما قد ينتج مع تأكيدهم أنّ الحدث كبير في ذات الآن.

الفضيحة التي نتجت عن تلاعب فولكس فاغن والتوقعات العديدة للسيناريوهات المقبلة، دفعت بشركة "سيات" الأسبانية لإنتاج السيارات، إلى الاعتراف مباشرة بقيامها بالتلاعب بين عامي 2009 و2014 بعوادم السيارات لتكون مطابقة للمواصفات المطلوبة في أسواق الاستهلاك العالمية.

ومن البديهي أن تطال فضيحة فولكس فاغن دوائر أخرى ألمانية وأوروبية وربما عالمية، خاصة أنّ العديد من دول العالم طالبت بفتح تحقيقات مكثّفة مع شركات إنتاج سيارات متنوعة، فالمسألة هنا تقف عند شقّين؛ الأول اقتصادي، يتعلق بتكلفة الإنتاج، والثاني استهلاكي يتعلق باتّجاه المستخدمين نحو السيارات التي تعمل بالبنزين، وبذلك تدخل الصناعات النظيفة في نفق مظلم تنهار معها أحلام الولايات المتحدة بأن يكون عام 2025 عاما مختلفا بالنسبة إلى البيئة والسيارات معا.

> نصف مليون سيارة تسحبها فولكس فاغن من الأسواق الأميركية، عقب افتضاح أمر البرنامج الإضافي الذي تمّ تثبيته والذي يقوم على الالتفاف على قواعد انبعاث أكسيد النتروجين لسيارات الديزل ما يجعلها تبدو أقل انبعاثا بأربعين ضعفا من كميتها الحقيقية، وهو ما ينعكس سلبا على آليات التنفس والبيئة على حد سواء

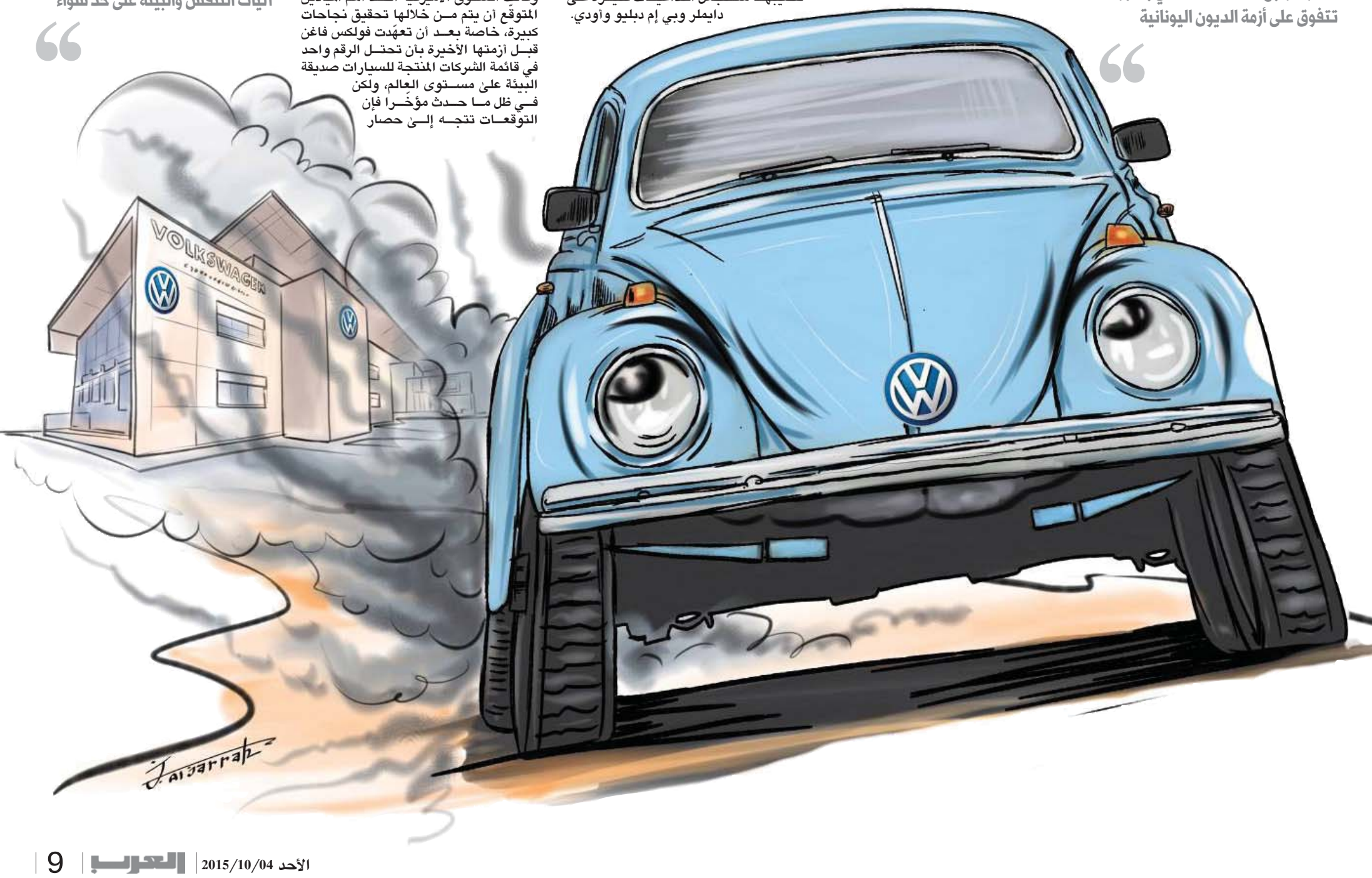

ظلاّن من الاسكندرية حوّلاها إلى مرآة للعالم

الأخوان وانلي رسامان أنقذا الفن المصري من وصفته الجاهزة

فاروق يوسف

❑ يمكن النظر إليهما منفصلين، فلكل واحد منهما أسلوبه الفني الخاص به والذي يميزه عن سواه من فناني مرحلتهما المصريين، كان سيف هو الأكبر عمرا من أخيه أدهم الذي سبقه إلى الموت.

وكان سيف أيضا الأكثر عمقا في بحثه الفني من جهة تطلعه إلى الجري وراء الاتجاهات الفنية السائدة في أوروبا ومحاولة الاقتباس منها، غير أن أدهم الذي انشغل بالعمل في الصحافة بشغف رسام الصور الشخصية، كان هو الآخر ميالا إلى تقليد رسامي البورتريه العالميين، لكن بخفة روح لم يكن سيف يمتلكها.

الضالة التصويرية

ومع ذلك فإنهما كانا يكملان بعضهما. ربما كانت الاسكندرية التي ولدا فيها وانغمسا في أجوائها ورسما كل شيء فيها، كما لو أنهما عضوين في بعثة استكشافية هي السبب التي صنعت من أخوتهما ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الفن المصري المعاصر.

لقد عثر الاثنان على ضالتهما التصويرية في المدينة الهيلينية فانفتحا على حياة أسطورية تجمع بين الواقع والخيال، فكانت رسومهما تنتقل بخفة بين عالم واقعي لم يتخليا عن خفته المستلهمة من البحر وبين عالم متخيل أضفيا عليه ولعهما بالسريالية طريقة في الحلم الكثير من الجوانب الملغزة التي تشف عن ميل فطري لديهما إلى الفكاهة التي لم تأت سوداء على طريقة السرياليين.

شكل سيف وأدهم وانلي ظاهرة فنية فريدة من نوعها، حين عقدا قرانا لا ينفصل بين الحياة اليومية والتاريخ، في مدينة استوعبت بعمق كل دروس المارين بها، لتخرج بدرسها الجمالي الخالص الذي هو مزيج لغات وأفكار وأساليب عيش. وهو الدرس الذي سعى الأخوان وانلي إلى أن يكون نهجا فنيا لهما وهما يشقان الطريق في اتجاه قلب مدينتهما بالرسم.

بعد أربع بنات ولد سيف عام 1906 في عائلة ذات نفوذ تنتمي إلى أعلى طبقات المجتمع المصري. بعده بسنتين ولد أخوه أدهم. كان قصر العائلة بما احتواه من تحف ولوحات الفضاء الرحب الذي نمت في إطاره موهبتهما الفنية.

منعهما خوف العائلة من جنود الاحتلال الإنكليزي من الانخراط في الدراسة بالمدارس المصرية، فكان أن تعلما اللغة والموسيقى على أيدي معلمين استقدموا إلى القصر من أجل تلك الغاية.

يومها لم تكن العائلة مرحبة بميلهما إلى الرسم، خشية أن يشغلهما عن الدروس فصار الرسم بالنسبة إليهما درسا سريا لا يمكن الاستغناء عنه. وحين كبرا، درسا الفن في مدرسة حسن كامل وهي الجمعية الأهلية للفنون الجميلة بالاسكندرية بدءا من عام 1929 لأربع سنوات ولم ينتميا إلى كلية الفنون.

بعدها مباشرة صارا حجر الأساس في تأسيس الحركة الفنية في مدينتهما. أدهم الذي ولد عام 1908 كان قد غادر الخمسين سنة من عمره قبل سنة حين أصابته المنية عام 1959، أما سيف الذي يكبره بعامين فقد توفي عام 1979 في ستوكهولم لينقل رفاته إلى الاسكندرية. عشرون سنة قضاها سيف وهو يشعر بنقص شديد في حياته. كان يحرك جناحا فيما الجناح الآخر خامد لا يتحرك. في غياب أدهم كانت تجربة سيف في مكابدة الحياة صعبة، بل وقاسية.

المدينة العالمية تأسر أبناءها

عُرف عن سيف أنه كان صارما، بعكس أخيه أدهم الذي عُرف بميله إلى الرسوم الساخرة. وحين نال أدهم الميدالية الذهبية في مسابقة للرسوم الساخرة عام 1932 شعر سيف بالخطر، ذلك لأن تلك الجائزة دفعت أدهم إلى الاستغراق في نشر رسومه في مجلتي "المصور" و"روز اليوسف" وصحيفة "الأهرام"، بل الأدهى من ذلك أن الأشكال الكاريكاتيرية صارت تتسلل إلى لوحاته، وهنا تدخل سيف ومنعه من الاستمرار في ذلك النهج لأنه سيحطم مستقبله فنانا.

استجاب له أدهم. غير أن ما لم يتمكن سيف من السيطرة عليه من اهتمامات أخيه قد لا يكون مضرا مثلما هي الرسوم الساخرة. كان لأدهم ولع خاص بالملاكمة والمسرح، فكان يوزع وقته بينهما، وهو الرجل الذي لم تغادره السخرية.

> سيف وأدهم وانلي يشكلان ظاهرة فنية فريدة من نوعها، فقد عقدا قرانا لا ينفصل بين الحياة اليومية والتاريخ، في مدينة استوعبت بعمق كل دروس المارين بها، لتخرج بدرسها الجمالي الخالص الذي هو مزيج لغات وأفكار وأساليب عيش

ربما يكون أدهم قد لعب دورا كبيرا في جذب أخيه سيف إلى عالم السيرك، حيث المهرجون يحركون من وراء أقنعتهم خيوط لعبة ستكون موقع سؤال دائم. ما الذي يحدث هناك؟ لقد انشغل الأخوان وانلي طويلا بتفكيك وتحليل ذلك السؤال من خلال العشرات من لوحاتهم. لقد اكتشفوا عالما آمنا ومطمئنا غير أنه يفيض بالأسرار. فالمهرج هو إنسان، لكن بطريقة مختلفة.

بالنسبة إليهما كان القناع بمثابة المسافة التي تفصل بين عالمين. عالم العيش المباشر وعالم الفن الذي يقع دائما على الضفة الأخرى.

لقد سافرا وعادا مرارا وكانت الحصيلة مغامرات ابني جمالية، عززاها بخبرة جمالية هي خلاصة ما تعلماه من المغامرة لتي كانا يمتلكان الشجاعة الكافية لخوض غمارها. كان الفن بالنسبة إليهما مغامرة تجمع بين الواقع الجاد والخيال المرح. كانا يشبهان مدينتهما وكانت رسومهما سجل خيالها الذي يتنقل بين العصور.

لم يفهم الكثير من دعاة الهوية الوطنية والقومية أن الاسكندرية مدينة عالمية. ما يمكن أن يكون صحيحا من القيم والأفكار الوطنية قد لا يكون صحيحا في الاسكندرية. فهي مدينة امتزجت فيها الحضارات. كان الأخوان وانلي تلك المدينة الوفيين لقدرها.

هناك الكثير من الحكايات التاريخية التي تكشف عن قوة تراث المدينة من جهة فراقها للبابسة التي تجرها إليها. هي مدينة متوسطية أكثر مما هي مدينة مصرية. لذلك كان الأخوان وانلي يغنيان خارج السرب.

كانا اسكندريين في موقع سوء فهم لم يكن يبالي بتاريخ المدينة. ومن هنا يمكنني تفسير ميل الأخوين إلى العالمية وامتناعهما عن العكوف على الشخصية المصرية التي صارت بمثابة أيقونة بالنسبة لرواد الرسم في مصر. كان الأخوان وانلي مختلفين لا لشيء إلا لأنهما كانا اسكندرانيين.

الاسكندرية هي جزء من الكيان السياسي المصري ولكنها تنتمي حضاريا وجماليا إلى المتوسط أكثر من أن تنتمي إلى مصر. كان فن الأخوين وانلي بحريا، وهو ما يبرر مغامرتهما في الذهاب إلى الضفة الأخرى، هناك حيث الأساليب والمدارس الفنية المختلفة التي لم يكن المصريون قد تعرفوا عليها بعد. من وجهة نظري فإن أعظم ما فعله الأخوان وانلي هو أنهما غادرا في وقت مبكر الوصفة المصرية التي اقترحها فنان مصر الخالد محمود مختار. لقد اختارا أن يكونا شقيي العائلة. المتمردان اللذين أظهرا ميلهما الصريح إلى الفن الغربي، بما ينسجم مع الحقيقة.

لم يكن الأخوان وانلي يفكران في اختراع فن مصري خالص. بالقوة نفسها لم يكونا يفكران في أن يكون فنهما جسرا بين فنين. كانا اسكندرانيين، بالمعنى الذي يؤهلهما لكي يكونا حاملين لرسالة العالم إلى مصر والعكس صحيح أيضا.

كانا مصريين بقوة أفكارها وعمق انتمائهما إلى الحياة الشعبية المصرية. فنهما منفصل مثل مدينتهما تماما. وقد كان من الخطأ أن يُنظر إلى ذلك الانفصال باعتباره نقصا في الوطنية. فالاسكندرية هي التي أملت شروطها على الفنانين اللذين قررا أن يكون فنهما مرآة لفكرة العيش بمدينة عالمية. فن الأخوين وانلي يقدم صورة حية عن الإخلاص لفكرة العيش في مدينة، تتغير هويتها مع الوقت.

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

ملف/أدب السجن

أحفاد عبد الرحمن الكواكبي

التخطيطات والرسوم للفنان عاصم الباشا

أحفاد عبدالرحمن الكواكبي على طريق الحرية

ليس ثمة ما هو أبلغ من سطور يكتبها أشخاص بوصفهم أفراداً، ينقلون لنا بالكلمات تجاربهم الشخصية ويعبّرون من خلالها عمّا يجيش في نفوسهم المفردة، وربما العزلاء، وكان في وسعهم أن يكونوا أصوات جماعات، وناطقين باسم أفكار وأيديولوجيات، محتمين بها من حيث هم معبّرون عنها. ولكنهم آثروا أن يكون وجوها وأسماء وهويات مفردة.

يحتفظ لنا التاريخ بسير المبدعين ويهمل سير من اضطهدوهم. ها هو دانتي صاحب "الكوميديا الإلهية" تملأ سيرته كتب النقد والتاريخ الفني والأدبي، ويحضر في لوحات عصور من رسامي النهضة وما بعدها، هو وحبيبته بياترس التي أقام لها صرحا في كتابه الخالد. ولكن من يتذكر أسماء الباباوات الذين نفوه من فلورنسا سنة 1302 وحكموا عليه بالإعدام لو هو خالف الحكم وعاد إلى وطنه؟ رغم آلام النفي، وتنقله بين الإمارات الإيطالية بعيدا عن فلورنسا إلا أن دانتي أبدع الكتاب الذي أدخله التاريخ خالدا على مر العصور، وجعل له في كلّ مدينة إيطالية نصبا وتمثالا ومتحفاً، بينما اندثر كل ذكر للبابوات التي اضطهدوه وجعلوه يعيش ثلث سنوات حياته ويموت في المنفى.

تفرد "العرب" صفحاتها الثقافية لهذا الأحد لملف تنشره بالاتفاق مع "الجديد" إنه ملف "ادب السجن". نصوص هي بمثابة يوميات وشهادات تشكل وثائق تاريخية وأدبية دوّنها أدباء وشعراء ومثقفون سوريون وفلسطينيون استضافتهم سجون ومعتقلات "دولة الأبد" على مدار ثلاثة عقود ونيف من الزمن، بسبب انتماءاتهم الفكرية وتطلعاتهم الثقافية والاجتماعية. وهم كانوا وما زالوا يشكلون بنتاجاتهم الفكرية والأدبية ونشاطاتهم العامة جزءاً من ثقافة الحراك الديمقراطي العربي لأجل مجتمع مدني ودولة تعددية. وقد دفع بعضهم سنوات طويلة من حياته خلف قضبانٍ ما سمي لعقود بـ"مملكة الصمت" و"مملكة الرعب"، وبينهم من سجن مراراً بسبب أفكاره. وهم مثقفون ينتمون إلى أجيال مختلفة، وطوائف متعددة، فبينهم الدمشقي، والحمصي، والحلبي، والإدلبي، واللاذقاني، والفراتي، وبينهم المديني والريفي، وبينهم العربي السني والإسماعيلي والدرزي والعلوي والمسيحي والكردي، والفلسطيني، الشاب والكهل والرجل والمرأة. فالنظام الذي صادر الحياة المدنية لدرة بلاد الشام، وأنزل معارضيه، المقابر والسجون ، على رغم ما ميزه من لون طائفي فاقع، لم يكن ليقبل معارضاً لسياساته أيا كان دينه أو انتماؤه القومي، فكان يوزع قسوته وإرهابه على جميع السوريين الذين يبدون أدنى رغبة بالخروج من "حظيرة الاستبداد" طلباً لهواء الحياة الحرة.

في هذا الملف كتابات مؤثرة لـ: مفيد نجم، راتب شعبو، جورج صبرة، جابر بكر، حسيبة عبد الرحمن، عبد الرحمن مطر، حسام ملحم، سحر حويجة، صادق أبو حامد، ترسم مجتمعة لوحة واسعة تفتح زمن الصمت على زمن الصراخ، والسجن الصغير على السجن الكبير، واللون الرمادي للسجن على ألوان الحرية، على مشهد انتفاضة شعبية عارمة حطمت قيود نصف قرن من المواجهة الصامتة بين الحرية والاستبداد، وبين الرعب والكلمات

كثيراً ما جلبت الوثائق التي كتبها سجناء سابقون، الكآبة والغم على قارئها، بعض القرّاء مولع بتلك النكهة المريرة. لكن القارئ الجديد، لا يبحث عن ذلك الاستمتاع المازوشي بالألم والتعرّض إليه، بل يبحث في معرفة التفاصيل، وكيف أثّر هذا كلّه ليس فقط على وعي أولئك الضحايا، بل على الناس من حولهم، وبالتالي على مناخهم العام، والمستقبل الذي صنعوه، عبر تراثهم الفني والأدبي والفكري، حتى لم يعد يُعرف من هو السجين بالفعل، الواقف على هذا الجانب من القفص، أم الواقف على الجانب الآخر منه، وللقارئ أن يختار لذاته ما يجد نفسه تميل إليه.

كم دانتي عربي لم يكتب الكتاب الذي كتبه دانتي ولكنه نزل إلى أقبية الظلام والموت، وعاش عقودا وراء الشمس، قبل أن تسعفنا صرخات الشباب في ميادين التحرير، فتشقق جدران الزنازين وتأتينا بصوته حبيس تلك الأقبية، ليروي عن فظاعات ما أنزله الاستبداد بضحاياه، وهو إذا يروي فإنما، أولا، للبؤساء الذين تخلوا عنه ذات يوم، خوفا من الطاغية.

ربح الطغاة حاضرهم الكئيب، وفاز صاحب الكلمة ورجل الحرية بالمستقبل.

تنطبق سيرة دانتي غالباً، على فئة شجاعة من أصحاب الرأي وحملة الأقلام. وها هم ضحايا الاستبداد الشرقي من عبدالرحمن الكواكبي وحتى كوكبة كبيرة من ضحايا الرأي العرب في أزمنتنا الحاضرة.

قلم التحرير

حب

حسيبة عبدالرحمن

❑ ضحكت ملء فيها والتفت إلى صديقتها:

– ألا تذكرين؟

– ماذا؟

– الاعتقال!

– أذكره، ولكن ما هو المضحك في الأمر؟

– سلسلة المصادفات الغريبة لذلك اليوم. أول مرة أذهب إلى محكمة أمن الدولة التقيتك هناك، تتاجرين مع الشرطة بسبب طفل ضربه شرطي لأنه يكلم والده السجين، ضربت وضربت، وقعت على الأرض، ساعدتك على النهوض.

فتحت حقيبتي، كانت خالية من النقود، اضطررنا إلى الذهاب إلى بيتك بعد المشكلة كي نشرب القهوة ونتكلم قليلاً.

فوجئنا بدوريات الأمن عند موقف السيارات اعتقلوك، أكملت طريقي، لإخبار والدتك بما حصل، وجدت الشارع والحارة ومن ثمة البيت محاصرين بالأمن، انتظروني حتى دخلت البيت، اعتقلوني، وحجزوا أهل الدار جميعاً.

– ظننتهم أفرجوا عنك مع أختي وأولاد عمي، واكتشفت بعد أيام أنك لا تزالين قيد التوقيف.

أحسست لحظتها بقهر وإهانة وعجز لم أحسه في اعتقالاتي السابقة، كنت أنام وأصحو ونار تشتعل في داخلي، إضافة إلى القلق والتساؤلات الكثيرة عن سبب بقائك في السجن هذه الفترة، ولم يستطع التعذيب شبحك عني.

– سألوني عن تهمتي، قلت إني أعرفك ضحكت السجانة وضحكت معها السجينات ولم يصدقني أحد.

– بيدهم حق.

– لم أكن أعرف أنك خطرة إلى هذه الدرجة.

– ولا أنا.

نحن نعيد الحوار ذاته الذي دار بيننا قبل أعوام، عندما دخلت المهجع بعد الأشهر التي قضيتها في الزنزانة وطالما بدأنا به، تعالي نكمله وكأننا الآن في المهجع.

– ذكريني فذاكرتي مهشمة.

– لا عليك تفاعلي معي فقط.

دخلت المهجع حضنتني، دمعت عيناك اعتذرت مني.

كنت تبتسمين بوجهي، وتعانقينني، قلت:

– لا تخافي عليّ! لقد تأقلمت بسرعة مع الظروف الجديدة.

– أتمنى ذلك.

– هي الحقيقة، لن أكذب عليك، انتابني الخوف عندما دخلت غرفة التحقيق وأنا مطمشة العينين لكني طلبت منهم رفعها، صفعت على وجهي وسقطت على الأرض.

سألوني عنك، كيف تعرفت عليك. ومنذ متى . في تلك اللحظات كرهت نفسي ويوم ولادتي وساعة رأيتك وتعرفت إليك. وعندما أنزلوني إلى المهجع تضايقت بكيت بحرقة بقيت عدة أيام على هذه الحالة كنت أُسأل كل يوم عن أشخاص وأسماء.. و.. و.. الخ، أدركوا أني لا أعرف شيئاً وعلاقتي بالسياسية واهية وكذلك بالأحزاب.

– واقتنعوا؟

– هددوني بالجلد والكهرباء وصفعوني أكثر من مرة.

– في الأيام الأولى كانت الأسئلة تدور حولك، ضربت وعذبت وأنا أؤكد أني أعرفك معرفة اجتماعية وبطريق الصدفة.

– سألوا عني في العمل، وعند جهات أمنية أخرى. وهكذا أنهوا التحقيق بسرعة، وبدأت استرخي قليلاً ثم تغير الوضع.

– ما الذي حصل؟

سمعت صوتاً قرب (دورة المياه) يناديني باسمي، اقتربت من مصدر الصوت لحقته تابعته، كان يأتي من بلوعة الحمام شطفته ووضعت أذني قرب البلوعة أصغيت السمع ولم أحس بقرف أبداً. أتاني صوت شجي:

– ضعي "النبريج"، في البلوعة.

– لا أدري كيف أتيت به نظفته مددته في جورة الحمام ووضعت أذني عند فوهته جاءني صوت حنون قريب حميمي: أعرفك جيداً، أنت بيضاء عيناك واسعتان طويلة، جميلة، تعملين في الدائرة الفلانية واسم عائلتك. رأيتك أكثر من مرة قرب عملك. كنت ترتدين جاكيت وحذاء زهريين. استفسرت عنك وها أنت الآن بجواري، حائط مهجعي هو حائط مهجعك والبلوعة مشتركة بيننا.

– من أين عرفت أني هنا.

رأيتك من ثقوب المهجع في الأيام الأولى من توقيفك عندما كانوا يأخذونك إلى التحقيق.

ساعة التنفس عقوبة وكثيرا ما رفضتها واعتبرت (ساحة التنفس) سجنا أقسى وأمرّ من وجودي في المهجع وكنت أجبر دائما عليها حتى التنفس إجباري. وحينما طلب مني الخروج إلى التنفس طواعية كي يراني، أثناء خروجي والعودة، صرت أنتقي وألبس أجمل البيجامات في المهجع كلما حان وقت التنفس، وتحولت تلك الساعة إلى ساعة حرية.

فيما بعد رجاني أن أتكلم بصوت عال وأنا ذاهبة وعائدةً من الساحة وقال إنه سيسمعني ويرد عليّ بقلبه وروحه وعيونه وجسده، وأنا سأفهم لغته وردّه. أما ليل السجن الطويل فأصبح فسحة للطيران خارج الأقبية والأسوار، نمضي الليل بطوله على البلوعة، أذني على فوهة "النربيج" أو فمي عندما أتكلم أو أرد عليه، أسمعني أجمل كلمات الحب والعشق، وغنى لي أجمل الأغاني وتحولت الأقبية التي لا ترى الشمس مكاناً لأحلامي الجميلة الوردية.

– من يسمعك تتكلمين هكذا يعتبرها دعوة إلى حب الاعتقال.

– لا.. أصف حالتي بعد الحب.

– أكملي.

– تبادلنا الرسائل اليومية، رسالة، اثنتين، ثلاث. كتب فيها عن نفسه، دراسته، شكله، أهله، إخوته، أصدقاءه شهادته، سفره. وحلقت معه في سماوات وآفاق بعيدة، وكلها عبر كلمات الحب الشفافة والرومانسية. كتب لي ذات مرة أنه سيحملني كي لا يتسخ حذائي الزهري. وكان يخطط لعيد رأس السنة وكيف سنقضيه معاً.

وكان هناك سجان متعاطف معنا يحمل لي الأغراض والهدايا منه دون رشى أو مقابل.

عشت مشاعر حب جنونية. أنتظر الليل، سعادتي لا توصف عند سماعي قرعة قصعات العشاء، فهذا يعني أن وقت الكلام والمناجاة والبوح قد اقترب موعده.

طلب مني أن أنتظره بعد إطلاق سراحي كي نتزوج، كنت أراه رجلاً جميلاً ووسيماً فتياً.

– وهل رأيته؟

– حدد لي ساعة خروجه إلى مدير السجن وسعاله الذي يرافق خروجه. وقفت ساعات طويلة أمام باب المهجع رأيته ودققت النظر به. كان شاباً وسيماً فتياً. وعندما زارني في عملي بعد إطلاق سراحه لم أر فيه الشاب الوسيم الذي حرك مشاعري وزيّن سجني وحوله إلى واحة خضراء وجدته رجلاً كبيراً في السن، أما بريق عينيه فقد اختفى، تحول، ولم أر سوى شعر أشيب ووجه قاس.

السجن يزين الرجال والنساء، والنساء للرجال، حزنت كثيراً عندما نسيت الرسائل في السجن تحت البطانيات، ستعرف السجينات ما كان بيننا!

– بعد كل محاولات التغطية عليك!

– ماذا تفعل في الحمام طوال هذا الوقت؟

– إنها تكتب القصة والشعر، المكان هادئ ومريح وتستطيع التركيز فيه.

– وصدّقن؟

– البعض صدق والبعض الآخر ضحك، وعلقن أكثر من مرة على دواوين الشعر التي لم تكتب ولن تكتب.

– سأكتبها في الاعتقال القادم.

– قد لا تصادفين حبا من هذا النوع.

– إذن وداعاً ولن أراك بعد الآن كي لا أعتقل مرة ثانية!

* كاتبة من سوريا

ستون امرأة في غرفة واحدة

سحر حويجة

❑ يبني المستبد نظامه على أساس البقاء للأبد في السلطة، لدرجة يصبح الانتماء للوطن هو الانتماء للنظام ذاته، وبالتالي تخوين كل معارض للنظام. يترافق ذلك مع إنتاج ما يلزم من مراسيم وقرارات وقوانين تبيح القمع على أن مصدره القانون. لذلك القوانين الاستثنائية، وقانون الأحكام العرفية والمحاكم الميدانية، التي تعطل العمل بالدستور وتجعل منه واجهة لتزيين الاستبداد، رأت النور في السنة الأولى من عمر النظام الدكتاتوري لتضمن له الاعتقالات التعسفية، والتوقيف والاعتقال دون محاكمة لمدة طويلة، والمحاكمات الصورية التي تلغي حق الدفاع، وعدم المساءلة في حالة قتل المعتقل تحت التعذيب، وقوانين أخرى تزيد الخناق على المعارضين، وتمنع عليهم حق العمل والنشاط والاجتماع.

ومع ذلك يمكننا التمييز بين مراحل من عمر الدكتاتورية، تبرز فيها السمات العضوية الجوهرية المشتركة، كما تبرز الاختلافات، وما لذلك من تأثير وتداعيات على سلوك النظام وعلى المعارضة.

في الثمانينات عندما عصفت بالبلاد أحداث دامية نتيجة الصراع المسلح بين النظام وحركة الإخوان المسلمين حصلت خلالها مجازر وقتل واغتيالات وتدمير أحياء من مدينة حماة واعتقالات طالت عشرات الآلاف، كما حدث استقطاب واصطفاف للمعارضة التي كانت منظمة في أطر سياسية وأيديولوجية مع العلم أنه لم يكن معترفاً بها قانوناً، حيث لجأت إلى العمل السري، وجذبت إليها نخب من المثقفين الشباب خاصة طلاب الجامعات. وما إن حسم الصراع لصالح النظام، الذي استغل الظروف القائمة لتطهير النقابات المهنية من المعارضين، والمستقلين وتحويلها إلى أدوات تابعة للنظام، بما يضمن سيطرته ورقابته على حركة أعضائها، وعمد إلى شن حملات اعتقال واسعة ضد المعارضين من مختلف الاتجاهات السياسية: الشيوعيين والبعث الديمقراطي وبعث العراق.

كانت غاية النظام الأساسية، هي تصفية هذه الأحزاب وحلها، طالت الاعتقالات إضافة إلى الأعضاء، كل من يقدم الدعم والحماية من أصدقاء هذه التنظيمات، وكل من تثبت صلته حتى الشخصية بأحد المتوارين، واعتقال الزوجات رهائن عن أزوجهن، اعتقالات تعسفية كانت غايتها بث الخوف والرعب في صفوف الشعب ليكون المعتقل عبرة لغيره للابتعاد عن العمل السياسي المعارض.

طال التعذيب جميع المعتقلين نساء ورجالاً، حتى أنه كان يتعذر أن تلتقي أحداً دخل فرعاً للأمن بتهمة سياسية لم يتعرض للتعذيب. وإن اختلفت شدة التعذيب والوسائل المستخدمة بين معتقل وآخر بحسب أهمية وضعه التنظيمي، والمعلومات التي يملكها. بداية الضرب بالأكف أو الكابل والخيزران واستخدام الدولاب والكرسي ولسع بالكهرباء، وقد تم تعذيب جميع النساء اللواتي تم اعتقالهن بتهمة الانتماء إلى حزب العمل الشيوعي بتلك الوسائل وتعرضت البعض منهن للابتزاز والتحرش الجنسي، ناهيك عن توجيه الكلمات النابية والتعريض بسمعة النساء المعتقلات حتى أمام أهلهن. تعرض الشباب إضافة لذلك إلى وسائل أخرى من التعذيب مثل الشبح والمظلة والكرسي الألماني والخازوق وغيرها، ما أدى إلى استشهاد بعضهم تحت التعذيب. نشير هنا أن النظام لم يكن يرغب بتعذيب المعتقلين حتى الموت، باستثناء "الإخوان"، حيث كان همه أن يصلوا إلى الانهيار، وجعلهم يعترفون بالمعلومات المطلوبة منهم، كما يريد إذلالهم وتصغيرهم. غصت الفروع الأمنية بالمعتقلين، كما غصت المنفردات والمزدوجات والمهاجع، وهي الأماكن التي يتم حجز المعتقلين بها في الفروع.

أغلب النساء، وأنا منهن، تم حجزهن بمنفردة لمدد مختلفة، بعضهن بقين فيها أشهراً. وتم جمعنا في مزدوجات في داخلها مرحاض، حيث تم حجز العشرات في داخلها. كنا ننام على أسطح المزدوجة وفي الممرات من كثر الزحام. كما جمعوا النساء في مهجع بلغ عدد نزلائه أكثر من ستين في مساحة أربعة في ستة أمتار. نمنا بطريق المناوبة والتسييف، طعامنا كان سيئاً، بالطعم والرائحة والمنظر. والزيارات مقطوعة في الفرع إلا من أغراض وصلت بعضهن. كنا نلتهب حماساً ولدينا ما يكفي من طاقة الشباب للمواجهة وتحمل السجن، صنعنا واخترعنا لحظات الفرح والضحك، نغني نرقص، نواسي الأمهات اللواتي أبعدهن السجن عن أطفالهن الصغار، كان أكثر ما يحزننا ويضربنا في الصميم هي أخبار الاعتقالات والنزيف اليومي للقوى السياسية والحزب الذي كنا ننتمي إليه. حملة الاعتقالات استمرت شهوراً، في كل يوم أخبار اعتقالات جديدة.

* كاتبة من سوريا

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

خذوا هذا الشاب فنزهوه كما يليق بنزيل جديد

انهمرت الخيزرانات على جسمي كالمطر

راتب شعبو

في مساء ذلك اليوم والأيام القليلة التالية كنت الإبن المدلل لفرح التحقيق. فقد خصّني بكل اهتمامه ودلاله. وقفت في المساء أمام ضابط أراه للمرة الأولى، واضح أنه أعلى سنّاً وأعلى رتبة وخبرة من الضابط الذي قابلني في الكركون. رجل هادئ متهكّم، يخاطبني طوال الوقت بلقب "دكتور" بنبرة يتطلق فيها الهزل في ثنايا الجد. عرفت فيما بعد أن هذا الرجل هو ضابط برتبة رائد، وكان مساعداً في الفرع ثم درس الحقوق وتطوّع في الشرطة وعاد ضابطا إلى الفرع نفسه. خبرته واضحة. لم يبدأ معي أيّ حديث يتعلق مباشرة بتحقيقي. بدا بالتعبير عن تأثره لعذاب الآخرين على غياب أبنائهن، وهو يقصدنا نحن الأبناء الذين يملؤون الزنازين في الداخل. وقال إنه يغيب عن أمّه عشرة أيام وحين يزورها تحضنه وتبوسه وتعدّ له البامية التي يحبها، رغم أنها مطعّنة عليه وتعرف أنه في عمله، فكيف حال الأمّ التي لا تعرف أين ابنها ولا تعرف ما مصيره؟ يتكلم كأنه في سهرة وليس في جلسة تحقيق. هذه الطريقة ناجحة، جعلتني بالفعل أقلّ حذراً. غلبتني طبيعتي العفوية. طلب لي كاسا من الشاي، ثم أشار إلى صورة كبيرة لرئيس الدولة حينها (حافظ الأسد) معلقة على حائط المكتب، وقال وهو يبتسم الا تراه كالشمس. سكتّ. فضحك ضحكة قصيرة ثم دخل إلى موضوع شخصية عن الحب والعلاقات المفتكرة بين الشباب والبنات في الجامعة وسأل عرضاً: "ألا توجد صبية ما يتقطع قلبها عليك وأنت معتقل الآن. قلت لا، قال مبتسماً إذن أنت تتفرغ للقضية، مع أنك تاجرٍ في جميع موادك الجامعية، كيف تستطيع التوفيق بين الأمرين بسهولة. هذا النوع من التحقيق يشبه الإنزال ما وراء خطوط القتال، تصبح العناصر المعادية خلف ووسط العناصر الموالية. طريقة هذا المحقق لتدخل رجلي في حلقة الدولاب إلى أن صارت ركبتاي أمام أنفي. صار الدولاب حلقة تشد جذعي من تحت الإبطين إلى طرفيّ السفليين من عند الركبتين، والنتيجة أن قدميّ صارتا مواجهتين تماماً للسقف بوضعية مناسبة للجلد. الوضعية بحد ذاتها تعذيب. تركوني على هذه الحالة دون ضرب لفترة من الزمن بدأت أشعر بعدها بخدر شامل في رجليّ. الغريب أني وأنا في هذه الوضعية كنت أقل خوفاً من لحظة نزولي إلى القبو بوجه أمس.

دخل بعد فترة رجل قصير ذو كرش (سأعرف لاحقاً في سياق التحقيق أن هذا هو مساعد التحقيق الأساسي أبو احمد، يقولون هنا إنه الكل بالكل، وهو أول من سيستقبلنا في الفرع الجديد في العدوي عند عودتنا من سجن تدمر بعد "عمر طويل" وقد بات بعد هذا العمر شبيها بكلب هرم) برفقة مجموعة من العناصر وبيد كل منهم خيزرانة. وللمزيد من التهيئة قام اثنان بشد ساقيّ إلى بعضهما بقوة بواسطة حبل مربوط إلى قطعة خشب متينة، إجراء مؤلم جداً تشعر أنه يعصر الساقين إلى حدّ أن الألم يصل إلى العظم الذي تشعر أنه يمكن أن يعجز عن مقاومة كل قوة الشد هذه. تقدم ذو الكرش وقال بهدوء وعادية من يطلب باكيت دخان من محل سمانة: مين هني أعضاء اللجنة المركزية في حزبكم. قلت له لا أعرف. ليس من باب القوة أو الصلابة أو أيّ شيء من هذا القبيل بل لأنني لا أعرف حقاً.

وكان كلمة لا أعرف كانت إشارة البدء. تواتر رهيب من الضربات على باطن قدميّ، كانت تلك خبرة قدميّ الأولى بمعنى الدولاب. يمكن أن يصح قول إن الحذر أشدّ من الوقيعة في كل شيء إلا في الألم. مهما حاولت أن تتصور الألم وتعيشه في خيالك وتحيط بأبعاده، فإنك لا يمكن أن تتكهن بشيء من حقيقته. ومهما خفت من الألم فإن خوفك لن يتفوق على شعورك به. يتصاعد الألم بحدة ويكسر كل حواجز النفس، فتصرخ وتستغيث وأنت الذي تخجل من رفع صوتك والتعبير عن حاجتك بقوة وعلانية. تشعر أن الألم الذي يكتظ به جسدك يحاول الخروج من حنجرتك غير أن سبيل خروجه مغلقة، فتصرخ كأنك تريد أن تمزّق حنجرتك لعلك بذلك تفتح سبيلاً لتحرر الألم.

> أسودت الدنيا في وجهي وأيقنت أنني على هذه الحال قد أشوه أو أموت تحت الضرب دون أن يكون أمامي مخرج. قد أكون جاهزاً لقول ما أعرف كي أتفادى الألم، قد أكون جاهزاً لخيانة أصدقاء ورفاق وأهل

ثم في لحظة يتوقف الضرب وينتهي الألم. في لحظة! (سأعرف بعد سنين طويلة من هذه الخبرة ان هذه ميزة للخيزرانة مقارنة مع الكرباج الكاوتشوكي المسلح الذي خبرته في سجن تدمر، فالم الكرباج المسطح لا يتوقف بتوقف الجلد. يصح أن تقول إن الخيزرانة تلسع، أما الكرباج فيجب أن تقول إنه يدحل او يسحق أو يبطش). يا لها من متعة! متعة العودة إلى نقطة الصفر. متعة الشعور بجسد لا يتألم.

– نذكرتن يا عرصة؟! صرخ ذو الكرش.

– وحياة الله ما بعرف يا سيدي!

– ليش أنتو بتعرفو الله؟

يبدو أن كلمة ما بعرف هي بمثابة الأسيد الذي يكوي أعصاب المحقق ولا سيما منهم أولئك الذين يعرفون الله جيداً! ذات مرة سمعت أحد "منظري" الاقبية يقول ملاحظة مفادها أن المعتقلين السياسيين يقسمون في التحقيق بما لا يؤمنون به، فتزى الشيوعي يقسم بالله وترى الإسلامي يقسم بعرضه.

الإنسان الصالح في الدول المتخلفة هو الإنسان الذي لا يسمع ولا يرى ولا يحكي، ولكن حين يسقط هذا البشري في قبو أجهزة الأمن عليه أن يعرف، بل عليه أن يكون مخزن معلومات!

من جديد تبدأ نوبة من الألم الرهيب، نوبة تدوم أكثر من سابقتها. ثم من جديد، يسأل ذو الكرش إن كان الدولاب نشط ذاكرتي. الدولاب على وشك أن يفرق وعيي، وليس فقط ذاكرتي، في عالم آخر مظلم. ولا أدري كيف توفرت لي قوة القول إنني لا أعرف شيئاً. أدرك المكروش أن الاستمرار في الجلد يعني فقد الوعي فامر بالتوقف. استراحة جلادين وسكب ماء على الرأس ثم عود على بدء. ليت الجلادين يستريحون طويلاً! فليحط الجلادون حوافرَ مادية من مال الشعب كي يطيلوا استراحتهم! ليكن بطل الإنتاج في مصلحة صناعة الألم هذه هو أقل الجلادين إنتاجاً. لم يزل الجلادون يستريحون ويستأنفون "الإنتاج" حتى اقتنع ذو الكرش فيما يبدو وأيقن أنني لم أعد أحتمل المزيد من الضرب، فطلب فك قدميّ وتحريري من الدولاب، وغادر صالون التعذيب متوعداً بزيارة "الطاقة الإنتاجية" في الجولات القادمة. بقيت مكوماً على بلاط القبو غير قادر على الحركة. غير أن أحد "المنتجين" رفسني بكعبه على كتفي قائلاً بحنق:

– قمّ ولا! يلعن أبوك عرص ابن عرص، هلكتنا!

لكنني لم أستطع الوقوف. وخانتني نباهتي فلم أعتذر. انهمرت الخيزرانات كالمطر على هذه الكتلة الحية المنهكة التي انعبت الجلادين. "ليت الفتى حجر"! أعوذ بالله من رجل هو من اللؤم والحقد على استعداد لتحمل الألم إلى حدوده القصوى لا لشيء إلا لكي يتعب الجلادين! إلا يعقل أن يكون هذا الرجل حلقة في مؤامرة تستهدف الجلادين إنهاكا وتعبا؟! ولكن مهلاً! أليس الجلد هو عرس الجلادين وربيعهم؟! لماذا يتذمرون إذن من رجل يقدم جسده وليمة لخيزراناتهم وأبواطهم؟ رفسة أخرى على الرأس هذه المرة، مشفوعة بأمر جديد بالنهوض متبوعا بما يمكن أن يولده تعب الجلادين من شتائم. تحاملت على نفسي ووقفت فلا أحد يعلم المكان الذي يمكن أن تختاره الرفسة الثالثة. توقع أيّ شيء من تعب الجلادين. لاحظوا! هذا الرجل يستطيع الوقوف إذن، ولكنه يناكف ويعاند وغاية مسعاه إتعاب الجلادين وإفساد رواقهم! طلبوا مني الهرولة في المكان فوق بقعة من الأرض عليها ماء. حاولت أن أهرول على قدميّ اللتين صارتا ضخمتين وثقيلتين ومواميتين فلم أستطع واستندت إلى الحائط. رأيت كيف رحم دمي يتخلى شيئاً فشيئاً عن كثافته للماء المسفوح على بلاط القبو.

جاءني صوت أحد عناصر الشرطة:

– تحرك يا حمار؛ تحرك، مشانك!

ها هو جلاد يهمه شأني! بات باطن قدمي حساسا إلى حد الشعور بالألم إذا ما صادف وجود مجرّد حبة رمل تحت قدميّ. بات مجرد تخيل ضربة الخيزرانة على القدمين تعذيبا. كان ثقل قدميّ هائلاً فلم أستجب للأمر.

جاء الأمر بتنزيهي. النزهة هي أن تركض على طول الصالون ذهاباً وإياباً تحف بك عناصر الجلد من الجانبين وفي يد كل منهم خيزرانته التي يستخدمها ضدك حين تصبح ضمن مداه المجدي. أنت دائماً ضمن المدى المجدي لأحدهم. أنت إذن دائماً تحت الضرب. لا السرعة تنجيك ولا البطء. امش إذن، المشي أسهل؛ غير أن هذا الضرب أقل إيلاماً لأن الضربات لا تتراكب على النقطة نفسها، لكنه ضرب مخيف واحتمال الأذى فيه كبير. يبدو أن الشرطي الذي أبدى اهتماماً بشأني يعرف ما يقول، إذا لم تهرول من تلقاء ذاتك فإنهم يجبرونك على الهرولة تحت لسع الخيزرانات.

هذه البداية في التحقيق معي أعطت انطباعاً عمّن يأتي عنيد. أما الحقيقة فهي أنني لا أعرف. عاد ذو الكرش، فاعادوني إلى الدولاب. ولكن هذه المرة بسؤال جديد أكثر بلاهة وعبثية من السؤال السابق. وقد مهد لسؤاله بجولة من الجلد أوقفها بإشارة منه ووسال فورا:

– وين المطبعة ولا؟

– يبدو أن كلمة لا أعرف أثارت الدبء. ثم أعدت ما أعرف كي أتفادى الألم. قد أكون جاهزاً لخيانة أصدقاء ورفاق وأهل، ولكن ما يطلبه مني هذا الرجل لا أعرفه. سوف أزيد من تعب الجلادين حتى أنهكهم إذن.

– والله ما بعرف يا سيدي! قلت وأنا في قعر سحيق من اليأس وقد بدأت حنجرتي تتشنج ولا تطاوعني في الكلام، شيء أشبه بالبكاء الجاف.

– بدك تعرف؛ نحنا هون منشان نخليك تعرف!

هذا النوع من الكلام من مثل هذا النوع من الناس وفي مثل هذا الظرف أشبه ما يكون بمرور مرجلة على القلب. الكثير من اليأس مضافاً إلى الكثير من الألم الذي لا يطاق ينتهيان بفقد الوعي. صحوت على لطش ماء بارد، كان بدء الشعور بالصحو ثيئاً. أدرك المكروش أن الاستمرار في الجلد يعني فقد الوعي فامر بالتوقف. استراحة جلادين وسكب ماء على الرأس ثم عود على بدء. ليت الجلادين يستريحون طويلاً! فليحط الجلادون حوافرَ مادية من مال الشعب كي يطيلوا استراحتهم! ليكن بطل الإنتاج في مصلحة صناعة الألم هذه هو أقل الجلادين إنتاجاً. لم يزل الجلادون يستريحون ويستأنفون "الإنتاج" حتى اقتنع ذو الكرش فيما يبدو وأيقن أنني لم أعد أحتمل المزيد من الضرب، فطلب فك قدميّ وتحريري من الدولاب، وغادر صالون التعذيب متوعداً بزيارة "الطاقة الإنتاجية" في الجولات القادمة. بقيت مكوماً على بلاط القبو غير قادر على الحركة. غير أن أحد "المنتجين" رفسني بكعبه على كتفي قائلاً بحنق:

– قمّ ولا! يلعن أبوك عرص ابن عرص، هلكتنا!

لكنني لم أستطع الوقوف. وخانتني نباهتي فلم أعتذر. انهمرت الخيزرانات كالمطر على هذه الكتلة الحية المنهكة التي انعبت الجلادين. "ليت الفتى حجر"! أعوذ بالله من رجل هو من اللؤم والحقد على استعداد لتحمل الألم إلى حدوده القصوى لا لشيء إلا لكي يتعب الجلادين! ألا يعقل أن يكون هذا الرجل حلقة في مؤامرة تستهدف الجلادين إنهاكا وتعبا؟! ولكن مهلاً! أليس الجلد هو عرس الجلادين وربيعهم؟! لماذا يتذمرون إذن من رجل يقدم جسده وليمة لخيزراناتهم وأبواطهم؟ رفسة أخرى على الرأس هذه المرة، مشفوعة بأمر جديد بالنهوض متبوعا بما يمكن أن يولده تعب الجلادين من شتائم. تحاملت على نفسي ووقفت فلا أحد يعلم المكان الذي يمكن أن تختاره الرفسة الثالثة. توقع أيّ شيء من تعب الجلادين. لاحظوا! هذا الرجل يستطيع الوقوف إذن، ولكنه يناكف ويعاند وغاية مسعاه إتعاب الجلادين وإفساد رواقهم! طلبوا مني الهرولة في المكان فوق بقعة من الأرض عليها ماء. حاولت أن أهرول على قدميّ اللتين صارتا ضخمتين وثقيلتين ومواميتين فلم أستطع واستندت إلى الحائط. رأيت كيف رحم دمي يتخلى شيئاً فشيئاً عن كثافته للماء المسفوح على بلاط القبو.

جاءني صوت أحد عناصر الشرطة:

– تحرك يا حمار؛ تحرك، مشانك!

ها هو جلاد يهمه شأني! بات باطن قدمي حساسا إلى حد الشعور بالألم إذا ما صادف وجود مجرّد حبة رمل تحت قدميّ. بات مجرد تخيل ضربة الخيزرانة على القدمين تعذيبا. كان ثقل قدميّ هائلاً فلم أستجب للأمر.

جاء الأمر بتنزيهي. النزهة هي أن تركض على طول الصالون ذهاباً وإياباً تحف بك عناصر الجلد من الجانبين وفي يد كل منهم خيزرانته التي يستخدمها ضدك حين تصبح ضمن مداه المجدي. أنت دائماً ضمن المدى المجدي لأحدهم. أنت إذن دائماً تحت الضرب. لا السرعة تنجيك ولا البطء. امش إذن، المشي أسهل؛ غير أن هذا الضرب أقل إيلاماً لأن الضربات لا تتراكب على النقطة نفسها، لكنه ضرب مخيف واحتمال الأذى فيه كبير. يبدو أن الشرطي الذي أبدى اهتماماً بشأني يعرف ما يقول، إذا لم تهرول من تلقاء ذاتك فإنهم يجبرونك على الهرولة تحت لسع الخيزرانات.

هذه البداية في التحقيق معي أعطت انطباعاً عمّن يأتي عنيد. أما الحقيقة فهي أنني لا أعرف. عاد ذو الكرش، فاعادوني إلى الدولاب. ولكن هذه المرة بسؤال جديد أكثر بلاهة وعبثية من السؤال السابق. وقد مهد لسؤاله بجولة من الجلد أوقفها بإشارة منه ووسال فورا:

– وين المطبعة ولا؟

– يبدو أن كلمة لا أعرف أثارت الدبء. ثم أعدت ما أعرف كي أتفادى الألم. قد أكون جاهزاً لخيانة أصدقاء ورفاق وأهل، ولكن ما يطلبه مني هذا الرجل لا أعرفه. سوف أزيد من تعب الجلادين حتى أنهكهم إذن.

– والله ما بعرف يا سيدي! قلت وأنا في قعر سحيق من اليأس وقد بدأت حنجرتي تتشنج ولا تطاوعني في الكلام، شيء أشبه بالبكاء الجاف.

– بدك تعرف؛ نحنا هون منشان نخليك تعرف!

هذا النوع من الكلام من مثل هذا النوع من الناس وفي مثل هذا الظرف أشبه ما يكون بمرور مرجلة على القلب. الكثير من اليأس مضافاً إلى الكثير من الألم الذي لا يطاق ينتهيان بفقد الوعي. صحوت على لطش ماء بارد، كان بدء الشعور بالصحو ثيئاً. أدرك المكروش أن الاستمرار في الجلد يعني فقد الوعي فامر بالتوقف. استراحة جلادين وسكب ماء على الرأس ثم عود على بدء. ليت الجلادين يستريحون طويلاً! فليحط الجلادون حوافرَ مادية من مال الشعب كي يطيلوا استراحتهم! ليكن بطل الإنتاج في مصلحة صناعة الألم هذه هو أقل الجلادين إنتاجاً. لم يزل الجلادون يستريحون ويستأنفون "الإنتاج" حتى اقتنع ذو الكرش فيما يبدو وأيقن أنني لم أعد أحتمل المزيد من الضرب، فطلب فك قدميّ وتحريري من الدولاب، وغادر صالون التعذيب متوعداً بزيارة "الطاقة الإنتاجية" في الجولات القادمة. بقيت مكوماً على بلاط القبو غير قادر على الحركة. غير أن أحد "المنتجين" رفسني بكعبه على كتفي قائلاً بحنق:

– قمّ ولا! يلعن أبوك عرص ابن عرص، هلكتنا!

لكنني لم أستطع الوقوف. وخانتني نباهتي فلم أعتذر. انهمرت الخيزرانات كالمطر على هذه الكتلة الحية المنهكة التي انعبت الجلادين. "ليت الفتى حجر"! أعوذ بالله من رجل هو من اللؤم والحقد على استعداد لتحمل الألم إلى حدوده القصوى لا لشيء إلا لكي يتعب الجلادين! ألا يعقل أن يكون هذا الرجل حلقة في مؤامرة تستهدف الجلادين إنهاكا وتعبا؟! ولكن مهلاً! أليس الجلد هو عرس الجلادين وربيعهم؟! لماذا يتذمرون إذن من رجل يقدم جسده وليمة لخيزراناتهم وأبواطهم؟ رفسة أخرى على الرأس هذه المرة، مشفوعة بأمر جديد بالنهوض متبوعا بما يمكن أن يولده تعب الجلادين من شتائم. تحاملت على نفسي ووقفت فلا أحد يعلم المكان الذي يمكن أن تختاره الرفسة الثالثة. توقع أيّ شيء من تعب الجلادين. لاحظوا! هذا الرجل يستطيع الوقوف إذن، ولكنه يناكف ويعاند وغاية مسعاه إتعاب الجلادين وإفساد رواقهم! طلبوا مني الهرولة في المكان فوق بقعة من الأرض عليها ماء. حاولت أن أهرول على قدميّ اللتين صارتا ضخمتين وثقيلتين ومواميتين فلم أستطع واستندت إلى الحائط. رأيت كيف رحم دمي يتخلى شيئاً فشيئاً عن كثافته للماء المسفوح على بلاط القبو.

جاءني صوت أحد عناصر الشرطة:

– تحرك يا حمار؛ تحرك، مشانك!

ها هو جلاد يهمه شأني! بات باطن قدمي حساسا إلى حد الشعور بالألم إذا ما صادف وجود مجرّد حبة رمل تحت قدميّ. بات مجرد تخيل ضربة الخيزرانة على القدمين تعذيبا. كان ثقل قدميّ هائلاً فلم أستجب للأمر.

جاء الأمر بتنزيهي. النزهة هي أن تركض على طول الصالون ذهاباً وإياباً تحف بك عناصر الجلد من الجانبين وفي يد كل منهم خيزرانته التي يستخدمها ضدك حين تصبح ضمن مداه المجدي. أنت دائماً ضمن المدى المجدي لأحدهم. أنت إذن دائماً تحت الضرب. لا السرعة تنجيك ولا البطء. امش إذن، المشي أسهل؛ غير أن هذا الضرب أقل إيلاماً لأن الضربات لا تتراكب على النقطة نفسها، لكنه ضرب مخيف واحتمال الأذى فيه كبير. يبدو أن الشرطي الذي أبدى اهتماماً بشأني يعرف ما يقول، إذا لم تهرول من تلقاء ذاتك فإنهم يجبرونك على الهرولة تحت لسع الخيزرانات.

هذه البداية في التحقيق معي أعطت انطباعاً عمّن يأتي عنيد. أما الحقيقة فهي أنني لا أعرف. عاد ذو الكرش، فاعادوني إلى الدولاب. ولكن هذه المرة بسؤال جديد أكثر بلاهة وعبثية من السؤال السابق. وقد مهد لسؤاله بجولة من الجلد أوقفها بإشارة منه ووسال فورا:

– وين المطبعة ولا؟

– يبدو أن كلمة لا أعرف أثارت الدبء. ثم أعدت ما أعرف كي أتفادى الألم. قد أكون جاهزاً لخيانة أصدقاء ورفاق وأهل، ولكن ما يطلبه مني هذا الرجل لا أعرفه. سوف أزيد من تعب الجلادين حتى أنهكهم إذن.

– والله ما بعرف يا سيدي! قلت وأنا في قعر سحيق من اليأس وقد بدأت حنجرتي تتشنج ولا تطاوعني في الكلام، شيء أشبه بالبكاء الجاف.

– بدك تعرف؛ نحنا هون منشان نخليك تعرف!

هذا النوع من الكلام من مثل هذا النوع من الناس وفي مثل هذا الظرف أشبه ما يكون بمرور مرجلة على القلب. الكثير من اليأس مضافاً إلى الكثير من الألم الذي لا يطاق ينتهيان بفقد الوعي. صحوت على لطش ماء بارد، كان بدء الشعور بالصحو ثيئاً. أدرك المكروش أن الاستمرار في الجلد يعني فقد الوعي فامر بالتوقف. استراحة جلادين وسكب ماء على الرأس ثم عود على بدء. ليت الجلادين يستريحون طويلاً! فليحط الجلادون حوافرَ مادية من مال الشعب كي يطيلوا استراحتهم! ليكن بطل الإنتاج في مصلحة صناعة الألم هذه هو أقل الجلادين إنتاجاً. لم يزل الجلادون يستريحون ويستأنفون "الإنتاج" حتى اقتنع ذو الكرش فيما يبدو وأيقن أنني لم أعد أحتمل المزيد من الضرب، فطلب فك قدميّ وتحريري من الدولاب، وغادر صالون التعذيب متوعداً بزيارة "الطاقة الإنتاجية" في الجولات القادمة. بقيت مكوماً على بلاط القبو غير قادر

أجنحة في زنزانة يوميات المغيب وراء الشمس

حوار متأخر مع النفس بعد توديع القضبان

مفيد نجم

الى ودمي، أنا مخلوق من هذا الطراز! يا لهذه المحنة التي ابتلاكم بها الله بان رماني بين أيديكم! قفل الرائد هذا "العتاب" فجاة وقال:

– شوف؛ بدك تضل تاكل قتل حتى تعترف وين المطبعة، هي تعليمات المعلم! منشان هيك ربّحنا وارحم حالك واحكي.

لماذا يطلبون طلبات عالية؟ هل يعتمدون سياسة اطلب العشرة حتى تأخذ التسعة؟ ولكن هنا غير منطقي، فهذه العشرة لا تتضمن التسعة، ثم ما هي التسعة التي يريدونها؟ يلحّون على طلب معلومات عالية وشديدة الحساسية من شخص غرّ لم يعترف حتى أنه ينتمي فعلاً إلى الحزب الذي يدور التحقيق حوله.

– يا سيدي والله ما بعرف؛ وحياة الله ما بعرف!

نهض ذو الشفتين الغليظتين شاهراً في وجهي سلاح تكسيرته الثقيل وقال محاولاً فيما يبدو أن يظهر للرائد قدراته التحقيقية: رح نخليك تعرف! خدوه! لم يتدخل الرائد. شحط، تلبيس دولاب، جلد، صراخ يثقب الجدران، خلايا تموت، قلب يضمحل، وعي يتلاشى، استغاثات "عضوية" موشكة على الفناء. توقف الجلد. كان ذو التكسيرة فوق راسي مكشّراً. كشّر كما يحلو لك، واشتم كما يحلو لك، شتائمك لطيفة، وتكسيرتك حلوة، فقط أوقف الجلد!

– تذكرن يا عرصة؟! وجاءني صوت أخنّ صادر من البلعوم أو من تحت اللسان أو من دهاليز الأنف أو من أيّ مكان سوى مصدر الصوت الطبيعي.

– تذكرت؛ تذكرت سيدي!

زها ذو التكسيرة بنصره الذي يؤكد أن الدولاب يجعل من لا يعرف يعرف، ومن لا يتذكر يتذكر. وأمل بعودة مظفرة إلى مكتب الرائد.

* كاتب من سوريا

لـ هذا الرجل الذي أحببته وكرهته... الذي أحزنني كثيراً، وأحزنته. الذي حملني وزر أفعاله وعناده، كل هذه السنوات الشاقة والطويلة من الخسارات، والركض المجنون في ظلمة الفجر. هذا الرجل الذي كان يحملني مرات، واحمله مرات أخرى، في هذه الحياة المتلاطمة الأمواج، التي عشناها معا، لم يصل يوما إلى شاطئ، ويلقي بأحمال روحه الثقيلة ليرتاح. كان قلقا ومطعونا بالمسافة التي تفصل الحلم عن الواقع.. والحياة عن الأمل، الذي ظل يقوده كراية ممزقة في ريح لا تهدأ. فجأة بعد كل هذه السنوات من الغياب، جاء ليوقظني، ويستعيديني من غيابه. وقف أمامي مرتبكا، وراح يروي بعض حكايات الألم المريرة التي عشناها معا، في سنوات الجمر والرماد، التي يستعيد قراءة الألم والوجع فيما بيننا، فقلت له: أعرف يا شبيهي وأخي مرا الذي تريده مني، أنت تحاول أن توقظني من غيابك، لكي تستردني من ماضيك، دون أن تدرك أن ما تفعله سيجعلني أعيش تجربتي المرّة مرّتين، مرة لأنك تريد أن توقظني من نسيانك، لكي أروي لك حكايتي التي ستصير فيما بعد حكايتك، التي ستعيشها خارج زمن التجربة، التي عشتها بكل قسوتها المريعة، فاصبر أنا ظلك ودليلك إليّ ليس إلا، ومرة ثانية لأنك ستجعلني أعيش محنة التجربة، وفظاعاتها الرهيبة مرة أخرى، فلماذا تريدني أن أكون الضحية التي تستعيد دورها في الحكاية من جديد؟.

لكن هذا الرجل الذي أعدّ نفسه جيدا للإجابة، لم ينتظر أن أكمل ما أريد أن أقوله. قاطعني كأنه هو صاحب الكلمة الفصل، ليقول لي : أنت ماضيّ، وأنا حاضرك ومستقبلك، أليست الكتابة هي ذاكرة، واستمرار في الزمن وشهادة عن تجربة عشناها بكل فظاعاتها؟ ثم لماذا تلومني يا صاحبي على تخففي من ذلك الإرث الثقيل، واندفاعي نحو الحياة..؟. أليس ذلك أولا وقبل أي شيء آخر حق طبيعي لأي كائن بشريّ، فما بالك بمن عاش تلك المعاناة الطويلة مع القهر والفقد والحرمان، وسرقت منه أجمل سنوات عمره مع أحلامها الكبيرة؟!. لقد كان اندفاعي نحو الحياة تعبيرا عن إرادة الكائن المؤمن بالحياة، وبضرورة الانتصار على محاولات هزيمته، بعد أن جرّدونا من كل حق في هذا الوطن الذي اختزلوه فيهم، ليتركونا لمصيرنا البائس، غرباء في وطن لا نملك منه شيئا، لكننا لم ننكسر ولم نستسلم، لكي تنتصر الحياة على الموت، والذات على عدمها، والضحية على جلاديها.

كنت أتأمله وهو يندفع بكلامه بمزيج من الدهشة والأسى، وأسال نفسي ألمّ يكن محقا فيما يقوله، بعد أن كنت قبل أيام أرى فيه آخري الغريب عني؟!... لكن السؤال المقلق والمحير الذي ظل يتردد بقوة، هو كيف بعد تلك السنوات الطويلة يمكن أن نروي من الحكاية نفسها، الحكاية التي عشناها عارية من ثياب البلاغة، وساطعة بقوة حضورها الراعف، وعمقها الإنساني والوجودي الكبير؟

كيف يمكن لي أن أكون قادرا على استعادة تلك اللحظات الغائرة عميقا في سوادها ورعبها الضاري، عندما كانوا يجبروننا على النوم المبكر، ثم ينقضّ الجنود علينا في غارات ليلية متتالية ومفاجئة على " شراقة" الباب (فتحة صغيرة تقع في منتصف الباب، ذات باب حديدي يمكن سحبها للخلف ولألمام من الخارج) ليتأكدوا من أننا استغرقنا في سبات الموتى، بينما كانت جلبة الأعمدة المعدنية التي يتم نصبها في الساحة الخلفية لمهجعنا، استعدادا لتنفيذ حملة جديدة من الإعدامات، تاتينا على وقع أحذية العسكر السريعة والثقيلة، التي تتحرك هنا وهناك، وسط ذلك الصمت الليلي المطبق والرهيب، الذي كان يترك أرواحنا المنهوبة وحيدة وعزلاء، في مهب أقدارها الغامضة والمجهولة؟ فكيف للحكاية الا تخون نفسها، والا تصبح ظلا للحكاية، او صدى لها، والا يصبح صاحب الحكاية الضمير الغائب، الذي يحاول كاتبها أن يعيد اختبار عمق الامه، وأوجاع روحه، كمن يجمع الصدى والظلال عن جدران معتمة، لم تزل عالقة بروحه المنهوبة بالكلمات.

لم تكن مجرد حكاية لتروى، ولا ماضيا قابلا لأشغال فعل المضارع، لقد كانت حياة مطعونة بأحلام وطن مصلوب على أبواب غد. حياة منهوبة ومصائر ممزقة تنهض من شظايا مراياها، لكي تدين وتسقط القناع عن وجه القاتل؟

***

هكذا راح يتسلل صاحب حكايتي من بين الكلمات والجروح والأيام، التي عبرناها بارواحنا المتهالكة معا لكي يفوتني بان أستعيد صوتي من بئر الحكاية.. الحكاية التي لم تزل مفتوحة على أسماء ووجوه ومصائر مهلكة، ما زالت تتناسل في ليل حكاية رعب طويلة اسمها سوريا. فلماذا يا شبيهي وأخري تريد أن توقظني من حكايتي التي تركتني لنسيانها؟ وتحاول أن أوقظ لك تحت رمادها جمر تلك السنوات الطويلة، التي كنت أحترق بها، عندما كانت طاحونة الزمن الثقيل تلوك أعمارنا الطاعنة في قهرها وأوجاعها وغيابانها؟!

أخذ يميل عليّ بكل أساه ولوعته، ويخاطبني: ألم نكن واحدا في الألم والصرخة، وبالتالي ألم تكن حكايتك هي حكايتي، التي سنحاول أن نرويها معا، لكي ننقذها من الضياع؟ أجبته بارتياب: أليس لكل حكاية راو وبطل، وأن الراوي أو البطل قد يتمرد على كاتب الحكاية، فيصبح أحدهما أو كلاهما معا هما بطل الحكاية، ولست أنا.. فهل ستكون تلك حكايتي؟ وهل ساجدني فيها، أم ستصبح هي حكاية شخص آخر يشبهني، أو لا يشبهني كثيرا!

أعرف يا صاحب نفسي أن كل كتابة هي خيانة لحكاية ما، يقوم بها بطل آخر يدّعي أنها حكايته، ولكي لا يكون هناك من يقول هذه حكايتي، وقد سرقت مني، وصارت حكاية لرجل لا يشبهني كثيرا، يكون أول ما يفعله بطل الحكاية الجديد، هو أن يغتال صاحب الحكاية.. فهل تريد أنت من كتابة حكايتي أن تغتالني من جديد؟ صمت قليلا ثم أجابني: أنا وأنت ضحيتان، وليس من المعقول أن تقوم ضحية بقتل ضحية أخرى مثلها، قلت له: لكن ذلك حدث ويحدث، ثمة ضحايا تتحول في حالات وشروط ما إلى شخصيات قاتلة، تتنكر لميراث تاريخها، أو تحاول أن تثأر له، عندما كانت تلعب دور الضحية في تلك المشهد. إنها عقدة الأضطلاد التي تغيّر قوانين اللعبة، ومواقع الأطعنين فيها.

أراد أن ينتهي من هذا الجدل المفتوح، ويقدم لي حلا وسطا، فقال لي: سأعترف لك: كل كتابة لسيرة ما، هي فعل خيانة من نوع ما، ولكنها خيانة يمليها منطق الكتابة من الداخل وضروراتها، لكي لا تموت الحكاية مع صاحبها. الصمت مقبرة الحياة، فلا تترك حكايتك للنسيان والصمت، فتصبح أنت ذاكرة للموت. أيقظها ودعها تروي سيرة سنوات القهر والعذاب والليل المقفل. ارو حكايتك قبل أن تضيع الحكاية منا، ودع أبطالك يتنفسون هواء الحياة الجديد. وقف يتاملني بأسى كمن يعتذر لي عن تلك السنوات، التي حاولنا أن نختبر فيها عمق الحياة التي كنا نعيشها، وقدرتنا على استشراف أفق جديد لها رغم كل الإحباط والتعب والموانع، فاقتربت منه كمن يحاول

> هكذا راح يتسلل صاحب حكايتي من بين الكلمات والجروح والأيام، التي عبرناها بأرواحنا المتهالكة معا لكي يفوتني بأن أستعيد صوتي من بئر الحكاية

أن يلغي المسافة بين الألف وسوادها، وقلت له: لنبدأ معا إذن بسرد حكايتنا يا صاحب نفسي، ولكن قل لي: من منا سيرويها لآخر: أنا أم أنت؟ ومن الذي سيكون وفيا لها أكثر، ويرويها بوصفها حكايته هو وهم ومن ممن خبروا عمق المها وعذاباتها؟

أطرق طويلا، فأدركت أنني من سيتولى سرد الحكاية، لأنني صاحب تلك الأيام، وحبيس أسرارها وعذاباتها، وذاكرتها المثقلة بالعذاب والقهر والألم.

أول الحكاية

كل شيء كان هادئا تماما، وينساب بالبته اليومية التي اعتاد عليها ساكنو هذه المدينة. لم يكن هناك ما يغير صفو هذا المشهد الراكد على حاله منذ سنوات. كان المساء الخريفي ببرودته المعتادة يطوي اخر ساعات النهار، ويمضي بتثاقل نحو نهايته.

كل شيء كان غارقا في وحدته تحت سماء حيادية، تخب فيها خيول بيضاء وسط زرقة خفيفة، تتحدر خلف جبال رمادية تغلق الأفق، كأنها هي الأخرى أسوار الأبدية السبعة، وسط هذه الصحراء المترامية الأطراف التي تحيط بها. لم يكن هناك ما يشعرني بأن ثمة أمرا غريبا ومفزعا قد حدث، أو يمكن أن يحدث، بينما كنت أعود أدراجي من جولتي التي اعتدتها، في حواري دمشق القديمة وأزقتها الضيقة، بعيدا عن صخب المدينة وزحامها.

كانت دمشق القديمة تغريني بالسير الطويل في طرقاتها الضيقة في مثل هذا الوقت من كل عام، مطر خفيف وهادئ، ونوافذ أو أبواب تنفتح فجأة ليطل منها وجه صبية أو امراة، سرعان ما تنغلق عندما تفاجأ بوجود عابر غريب، لكن بهاء طلتها وابتسامتها التي تتفتح كنهار ربيعي مشبع بعطر الكباد والنارنج تجعلك أكثر بهجة، وأنت تواصل عبورك في تلك الأزقة الملتوية، التي توحي فيها جدران البيوت من الخارج بالجهامة والقتامة، على عكس ما هي عليه فناءات البيوت، التي حولها ساكنوها إلى جنة من الخضرة والورود والجمال، تتوسطها بحرات الماء، وتتسلق جدرانها المعرشات الخضراء، بينما تحتشد أدراجها باصص الورود الساحرة.

عندما

دفتر السجن

يوميات وأوراق من الأيام الأولى للثورة

جورج صبرة

❑ استيقظت باكراً صباح ذلك اليوم تلبية لموعد في منزلي مع رياض سيف*. كنا في حديقة المنزل، نناقش خطة مقترحة للتحرك في إطار "إعلان دمشق"، عندما اقتربت زوجتي لتقول بصوت خفيض: الأمن يملأ الحارة، وسيارات المخابرات تجول في الشوارع. قلت مشيرا إلى ضيفي: أرجح أنهم من متابعي (أبو جواد)، ولحقوا به من قدسيا إلى هنا. وتوقعت أن يلحقوا به عندما يغادر، لكنهم لم يفعلوا. فأيقنت أنني المستهدف. رتبت أوراقي، وانتظرت بعض الوقت متوقعا اقتحام المنزل في أيّ لحظة. وكذلك فعل أهل بيتي استعداداً لهذه الواقعة المعهودة التي تكررت في المنزل مرات عديدة.

طال انتظارنا، ولم يطرق بابنا أحد، في الوقت الذي يتحركون فيه بالمكان بوضوح ظاهر، فأردت اختبار الوضع واكتشاف حقيقة الموقف. خرجت من المنزل قاصداً السوق متصنعاً الرغبة بشراء بعض الحاجيات. ولم تمض بي السيارة عشرات الأمتار حتى لحظت من المرآة سيارات (الشباب) تلاحقني. فأيقنت ساعتها أنني المطلوب.

اختطاف

حدث ذلك صباح الأحد العاشر من نيسان 2011 في مدينتي قطنا**. اخترقت شوارع المدينة بسيارتي قاصداً المؤسسة الاستهلاكية، وقافلة من السيارات المتنوعة الأشكال والألوان تتبعني. نزلت من السيارة لأرى سيارة الأمن بكامل عناصرها، تصطف خلفي بحركة طبيعية وادعة. لم يكلمني أحد، ولم يقترب مني أحد. أنهيت عملي في المؤسسة، وخرجت حاملاً حصة الأسرة من الأرز التموينية. هاجمتني عيونهم بنظرات متوعدة وكأنها تقول: إلى متى تضيّع علينا الوقت أيها الـ(...) تحملناك كثيراً، وطال الانتظار.

عدت إلى البيت عن طريق مغاير، وشعرت فجأة أنه خال من المارة والسيارات. وفي منتصف الطريق وعلى حين غرة، اندفعت سيارة "ستيشن" مملوءة بالعناصر بأقصى سرعة، فتجاوزتني بلمح البصر، وانحرفت يميناً أمامي مباشرة لتسد الطريق، بينما كانت سيارة "بيك أب" صغيرة تندفع ورائي لتسد الطريق من الخلف، وتمنعني من التحرك، فوقعت في المصيدة.

اندفعت نحوي مجموعة من العناصر، فتحوا أبواب السيارة الأربعة، ودون أن ينبسوا ببنت شفة، قاموا باقتلاعي من السيارة، بينما كنت أصرخ فيهم: قتلة.. مجرمون.. يا ناس عصابة تختطفني، من أنتم؟ ماذا تريدون؟ وبدأت أرفع صوتي في محاولة لجذب انتباه الناس، لعل أحداً يمر، أو يفتح النافذة، أو يسمع صوتا. لأنني أيقنت أنهم يريدون اختطافي واعتقالي وإخفاء عملهم، كي لا يعرف به أحد. بسرعة خاطفة وبمهارة من أتقن عملاً كرره آلاف المرات، وضع أحدهم "الطماشة" على وجهي، بينما كان آخران يلويان ذراعي إلى الخلف، لتطبق عليهما "الكلبشة" بإحكام.

حشرت بين وحشين في أحد مقاعد سيارتهم، لأكتشف بسرعة أن مجموعة منهم تملأ المقعد خلفي، وأخرى تحتل المقعد أمامي، بينما كنت أتحسس بقدمي بنادق الكلاشنكوف الملقاة على أرض السيارة. وغرقنا في صمت مطبق، فلا شيء يسمع إلا هدير المحرك. صمت يثير الريبة والخوف معاً.

بدأت أتابع بخيالي خط السير. ولأنني أعرف مدينتي شبراً شبراً، كنت أرسم هذا الخط، وأتابع تمهل السيارة وتوقفاتها في المنعطفات والتقاطعات بدقة كبيرة، كي لا أضل الطريق. تساءلت: هل يمكن أن يراني أحد في السيارة، ويعرف أنني اعتقلت؟ هل سمع أحد صراخي، ليخبر أهلي أنني بحوزة جهاز المخابرات؟ غير أن الصمت الثقيل كان يعطي إجابات سلبية قاسية.

أخذت السيارة طريقها للخروج من المدينة، واندفعت باتجاه الشرق، وأنا أتابع الطريق بانعطافاته ومطباته، كما يتحسس ضرير ممرات بيته بخبرة وحذر، كي لا يصطدم بشيء أو يضل سواء السبيل. وفجأة تخفف السيارة من سرعتها، وتنعطف نحو اليسار. هزني هذا الانعطاف، وشكّل لي صدمة كبيرة.

فقد كنا متوجهين إلى حقل الرمي. (اسمه حقل رمي عرطوز، يتوسط المسافة بين قطنا وعرطوز)، تجري فيه قطعات الجيش تدريبات الرمي بالذخيرة الحية، كما يتم فيه تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة على عناصر القوات المسلحة. وطالما شهد أبناء المنطقة ما يجري هنا بأم العين. فالموقع قريب من الطريق ومكشوف للمارة.

كانت مفاجأتي صاعقة تلجم اللسان. فكل شيء مختلف عن حالات الاعتقال السابقة، التي طالما عرفناها وسمعنا بها خلال أربعة عقود مضت. اختطاف من الشارع.. محاولة إخفاء.. صمت مطبق.. وتوجه إلى حقل الرمي. ما الذي يعنيه كل ذلك؟ هل يمكن أن يحصل حقاً؟ وبدأت أتخيل نفسي موثوقاً إلى عمود، وعشرة من الرماة المهرة يواجهونني ببنادق محشوة ومصوبة، وبكلمة "نار" ينتهي كل شيء. ثم أعود إلى نفسي لأقول: لكن لماذا؟ ما الذي حصل؟ ما الذي فعلناه حتى يتجرؤون على فعل كهذا؟ لا زالت الثورة في بدايتها سلمية وسياسية، ولا شيء يبرّر إجراءات من هذا القبيل.

لم يكن يخرجني من هذا المونولوج الداخلي بيني وبين نفسي غير أصوات الحصى الذي تقذفه عجلات السيارة يميناً ويساراً، فقد كنا نسير في طريق ترابي ممهد ومفروش بالحصى. لا تتجاوز المسافة بين الطريق العام وصدر حقل الرمي أكثر من ميلين اثنين، قطعتهما السيارة بدقائق معدودة. لكنها كانت على عقلي وروحي دهراً كاملاً. فمرة أقول: لا يمكن أن يفعلوها، ثم أستدرك لأقول: لكن لماذا لا يمكن؟ فقد فعلوها في 18 تموز 1963 مع زملائهم في القوات المسلحة وشركائهم الناصريين في انقلاب 8 آذار 1963. كما فعلوها في سجن تدمر في الثمانينات مع الإخوان المسلمين، وها هم يفعلونها مع المتظاهرين العزّل في درعا وحمص وبانياس واللاذقية ومدن كثيرة في ريف دمشق. كنت بين مُصدِّق وغير مُصدِّق أن ما يجري، وما يمكن أن يجري، هو فعلاً حقيقة. وقد حرمني هول المفاجأة وازدحام الهواجس والأفكار في زمن لا يتجاوز بضع دقائق من معاناة الخوف ورهبته. إذ كنت في حالة من الاستسلام المطلق، تحولتُ فيها إلى أذن صاغية لالتقاط الهمسات والسكنات بانتظار قدوم القدر.

توقفت السيارة، وأخرجتني من ذهولي. وبدأت لحظات من الانتظار القاتل، أحسب أن أنفاسي توقفت خلالها. فتح باب السيارة القريب مني بانسحاب بطيء يرهق الروح. نزل الرجل عن يميني، وسمعت صوت ارتطام قدميه على حصى الطريق، بدأت أنتظر.. لا بد أن يداً غليظة ستدفعني على كتفي من الخلف، وينهرني أحدهم بكلمات بذيئة من أجل الخروج. أو تمتد يد من جانبي لتسحبني برفق كي أنزل بسلام. فليس للمكبل والمطمش والمسلوب أن ينزل من سيارة بسلام. حركت كتفي الأيمن -وهو ما أستطيعه- لأتحقق من الأمر. فأغلق باب السيارة بحركة خاطفة، أغلقت باب التوقعات، لكنها لم تغلق باب المخاوف.

عدت إلى هواجسي وقلت في نفسي: ربما لم نصل إلى المكان المطلوب، حيث تتم عمليات الإعدام. وسنستمر في المضي قدماً إلى عمق الحقل حيث المكان المحدد. غير أن استدارة السيارة وعودتها من حيث أتت، أتحفتني بمفاجأة جديدة، لكنها سارة هذه المرة. وبدأت أفكر بسيناريوهات مختلفة.

خرجت السيارة من حقل الرمي، وانعطفت نحو اليسار سالكة الطريق إلى دمشق. فتنفست الصعداء، واستبعدت احتمالات التصفية والقتل. لكن المخاطر ما زالت جاثمة على الطريق، فسوف نمر أمام معسكر الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة، حيث ماهر الأسد***، وما أدراك ما ماهر الأسد وجلاوزته. فهل يمكن أن يكون الاختطاف إلى هناك؟

تجاوزت السيارة المطب الأول عند بوابة معسكر تدريب الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة، وهو على مقربة من قرية عرطوز****. أصغيت بعمق لأستكشف المسار. هل تنعطف يساراً باتجاه مدخل المعسكر أم تتابع الطريق؟ في تلك اللحظة كانت السيارة تتجاوز المطب الثاني، وتنطلق بسرعة، فقلت: إذن إلى فروع الأمن في دمشق. وصرت أتابع طريق السيارة إلى عرطوز، فجديدة عرطوز، وبعدها إلى معضمية الشام فالسومرية ومطار المزة العسكري، حتى دخلنا إلى أوتوستراد المزة. كل شيء كان واضحاً أمامي من بصيرتي وتجربتي، فقد اختبرت هذا الطريق وعايشته لأكثر من أربعين عاماً في الذهاب اليومي والإياب بين مدينتي والعاصمة. وبقيت محتفظاً بقدرتي على رصد مسار السيارة حتى دخلت مدينة دمشق. وعند دوار الجمارك تاهت رؤيتي واختلطت المداخل والممرات والتوقفات العديدة، ولم أعد أعرف إلى أين نتجه في المدينة. طمأنت نفسي وقلت: إذن هو الاعتقال من جديد، لكنه بسرية وصمت هذه المرة.

في الفرع

توقفت السيارة، وتناول أحدهم ذراعي الأيمن، ودعاني للنزول: "يلا.. انزل". قادني الرجل بضع خطوات إلى حيث يوجد زميل له في أعلى درج القبو. وكالعادة، تناول العنصر الآخر ذراعي، وهو يرحب بي بسخرية ممزوجة بتهديد قائلاً: "أهلاً وسهلاً.. شرّفت والله". وهبطنا الدرج.

في باحة القبو حرر الرجل يدي من الكلبشات، ورفع الطماشة عن عينيّ، وقال: الحقني. وبالتفاتة سريعة يمنة ويسرة عرفت أنني في قبو الفرع الداخلي لأمن الدولة، فقد أمضيت عامين كاملين في هذا المكان نائما على حذائي في العديد من زنازينه الانفرادية.

كان ذلك قبل أكثر من عقدين من الزمن في عامي 1987 و1988 خلال فترة اعتقالي الطويلة بين 1987–1995. سلّمت الأغراض في غرفة التحقيق التي أعرفها جيداً وتعرفني، لطالما أمضيت فيها ساعات طويلة أثناء التحقيق واقفاً أو جالساً أو مرمياً على الأرض، وصراخي يملأ المكان، ويصل إلى السماء السابعة أو إلى "حرّان العواميد" كما كان يهددني ساخراً أحد عناصر الفرع. أعرف دواليب التعذيب في الزاوية، وجهاز الفلق المسنود بعناية إلى الجدار، والأسواط المصنوعة من الكابلات الرباعية المجدولة بعناية ومعلقة بترتيب خلف الباب. وأعرف كلمات التهديد والتأنيب البذيئة بلكنة ساحلية معروفة ومميزة.

قادني أحدهم إلى إحدى المنفردات الخارجية. دققت حولي متفحصاً المكان، وإذا به هو.. هو نفس المكان. المطبخ نفسه، وكذلك الفسحة السماوية الضيقة، الزنازين الصغيرة بأبوابها الخشبية وشرّاقاتها المفتوحة باستمرار، والصمت الرصاصي الثقيل لم يغادر المكان. وكأن ما أراه أمامي الآن من أوابد سوريا التي لا تحول ولا تزول. أغلق الباب خلفي، وسمعت رتاجات الباب الثلاثة، التي ألفها سمعي بثمانينات القرن الماضي وبنفس المكان. بقيت واقفاً، أتفقد جدران الزنزانة، باحثاً عن آثار سوريين سبق أن مروا من هنا لأسباب تتعدد بتعدد شؤون الحياة. وكنت أبحث بالتحديد عن ذلك البيت من الشعر الذي قرأته في هذا المكان على جدار آخر قبل زمن بعيد، وأخرجني وقتها من اليأس إلى الأمل ومن القنوط إلى الرجاء. وبالتالي من سجن النظام إلى فضاء سوريا الرحب. لم أجده، لكنني وجدت نفسي أستذكره بصوت مسموع:

ضاقت، ولما استحكمت حلقاتها
فُرجت، وكنت أظنها لا تُفرج.

في الأربعين من عمري دخلت هذه التجربة في هذا المكان، وها أنا على أبواب الخامسة والستين أدخلها من جديد لذات الأمر وفي نفس المكان. وكأن البلاد هي البلاد، لا شيء تغيَّر إلا أعمار الناس. لكن عليَّ أن أعترف، أنها اليوم بمذاق آخر. لسنا وحدنا من يتكلم، ولن نكون وحدنا في السجون. فسوريا الصامتة، خلعت صمتها. والشعب الذي نام طويلاً على الصبر والخوف، ينهض لكسر قضبان السجن الكبير. كنت هادئاً وواثقاً ولا مبالياً لأسباب عميقة، لا تطفو على السطح، أحس بها ولا أعرفها.

لم تطل إقامتي هذه المرة في "فرع الأمن الداخلي" غير يوم واحد، لأن المطلوب -كما ظهر فيما بعد- أن يجري التحقيق في المقر العام لأمن الدولة في كفرسوسة. وفي السيارة التي أقلت المجموعة المطلوبة إلى "إدارة المخابرات العامة"، صادفت الصديق والزميل فايز سارة*****، وكان ضمن المجموعة. في القبو الشمالي من سجن كفر سوسة (الذي أعرفه أيضاً، وسبق أن أمضيت فيه أياماً طويلة) نزلنا في منفردة واحدة فايز وأنا، إضافة إلى مدرّس من آل الشيخ، اقتلعوه من مظاهرات معضمية الشام، ووصل إلى السجن حافياً. المكان شديد الضيق، غير أن الانتفاضة الشعبية حملت رحابتها إلى كل مكان. فاتسعت الأمكنة والصدور والآمال. بضعة أيام لا أكثر، هي فترة التحقيق، أمضيناها هنا.

التحقيق

في غرفة صغيرة حسنة الفرش والهندام، باشر ضابط شاب التحقيق معي. أمامه ملف سميك، يعطي له ويؤخذ منه بكلتا اليدين. وبعد فترة طويلة من القراءة وتقليب الأوراق، رفع رأسه وبادرني: أهلاً أستاذ جورج. فقلت لنفسي: هذه أولى فضائل الثورة. سألني بأدب جم: أنت عضو في حزب الشعب الديمقراطي السوري، أليس كذلك؟ فأجبت: بل أنا عضو في اللجنة المركزية للحزب أيضاً. قلت لنفسي: الله.. الله ما الذي حدث يا رجل؟ تقر الآن أمام المحقق، بأنك عضو في الحزب ومسؤول عن أقواله وأفعاله. بينما كنت في السابق -بل كنتم جميعاً- تنفون ذلك. وتتحايلون بمختلف الوسائل لتبرير الصلة والتنصل من مسؤولياتها. فكم من مرة قلت بأنك مجرد صديق للحزب، قرأت جريدته فقط، أو تبرّعت له مرة لمساعدة أسرة معتقل. وأنت الآن تقول بالفم الملآن، بأنك عضو لجنة مركزية في الحزب. ابتسمت في سرّي، وربما بانت ابتسامتي للمحقق. وقلت بفرح صامت: لقد بدأ التغيير فعلاً. إنها بعض نتائج أصوات المتظاهرين في الشوارع "سورية بدّا حرية"، فانكسر الخوف في كل مكان.

تركز التحقيق على الظهور الإعلامي، الذي أقوم به على محطات التلفزة والإذاعة والتصريحات التي أطلقتها، وعلى جملة من الاتصالات الهاتفية مع رفاقنا في دول الخليج، يعرضون علينا إرسال هواتف "الثريا"، لتأمين اتصالات فعالة وآمنة بين التنسيقيات، وكنا في أمسّ الحاجة إلى ذلك. لكن الأمر كان يتولاه الرفيق "أبو سرار"، ولم يكن لي من الأمر شيء، إلا أن أكون صلة الوصل.

مر التحقيق معي بسلام، وكأنه إجراء ضبط في مخفر للشرطة عن مشاجرة أو ضياع مفقودات. فلا إكراه ولا عنف ولا تهديد. لا شتائم ولا تقريع ولا تخوين. إنها بركات الثورة، فرضت التغيير في البلاد على كل شيء، فليس لأحد أو لشيء أن يبقى على حاله بعد اليوم. لكنني لم أكن لأعلم -إلا فيما بعد- أن الرفيق "أبو سرار" صاحب المسؤولية الأولى عن الموضوع، كان في الوقت نفسه في الفرع، ويتعرض لتعذيب شديد أوصله إلى حافة الموت. ولم ينقذه إلا صدور العفو العام في ذلك الوقت.

> كانت مفاجأتي صاعقة تلجم اللسان. فكل شيء مختلف عن حالات الاعتقال السابقة، التي طالما عرفناها وسمعنا بها خلال أربعة عقود مضت. اختطاف من الشارع.. محاولة إخفاء.. صمت مطبق.. وتوجه إلى حقل الرمي

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

في الطريق إلى الحرية

صيدنايا يا لتلك الكلمة الجميلة المؤلمة

جابر بكر

❏ هبط الليل حالما بصباح عامرٍ بالحرية. أقفلت عيوني محاولاً النوم. غداً سأركب حمار الجو "الطائرة" ولأول مرة في حياتي. لا أحد يعلم هذا إلا زوجتي وأهلي فقط. والآن لم يعد سرا أني ركبت الطائرة لأول مرة عندما كنت في الثلاثين من عمري. انبلج الفجر محمّلا بالحقائب ونسيت أنا كالعادة أن أتفقد الحرية. اتخذنا السبيل هاربين من عاصمة عربية بالكاد تملك مقومات المدينة. هي عالم أقرب للفوضى التي رأيتها، حينها، قاتلة مدمرة.

خرجنا من بيت أصدقائنا في الأشرفية البيروتية متخذين سبيل المطار. وصلنا برفقة الأصدقاء ومنهم من باتوا أكثر من أصدقاء. تلقفتنا عيون المرافقة الفرنسية على بوابة ميناء الحريري الجوي لنأمن جانبنا. مررنا على المدققين كأننا سياح لم نسأل عن شيء إلا الأوراق. لم ندفع عن فائض الوزن الكبير الذي أصرت زوجتي وضعه في عنابر الحقائب. ركبت في الختام الطائرة العائدة للخطوط الجوية الفرنسية. جلست قرب النافذة فهذه المرة الأولى في حياتي سأرقب الأرض من ارتفاع وليس من باطنها. زوجتي لم تمانع فهي سبقتني إلى هذا السبق. وعن باطن الأرض سأحدثكم كثيرا ولكن بعد حين.

جدتي والحرية

الإنسان كائن جبار. ثقل الوقت العابر يرسم عليه قليلا من التجاعيد وتعبا في قلبه. هي، أي جدتي، لم تمت لا بسبب تجاعيدها ولا بتعب القلب، تلقفها الموت بصمت عبر أمعائها المتورمة. حملتُها رويداً رويداً إلى مقامها الأخير لتسكن إلى ذاتها بعيدا عن ضجيج البشرية. أرسلت وجهها ليقابل التراب خالعاً عنه ثوبه الأخير. استرخت مبتسمة صامتة كعادة الحقيقة. رحلت وتركتني أتخبط بأسئلة لا نهاية لها ولا بداية. كيف ولماذا كل هذا الكون العبثي؟ هل ولدنا لنولد من جديد.

قبل موتها بأربع سنوات، ضربت جرس باب بيتها عائداً من سفر. خرجت تركض إلى الشارع تزغرد وتهلّل وتغنّي. قبلتني وهي تشكر خالقها الذي أعادني من القبر، "الحمد لله اللي رجعك سالم"، وتطلب مني كالعادة سرد الحكاية، كيف خرجت من السجن ولماذا تأخرت؟

جلست بقربها فواقع الأمر أن لم ولن ينصت أحد لكلامي كجدتي، أخبرتها أنه وفي تمام التاسعة من تلك الليلة التاسع عشر من نيسان عام 2004، وأنا غارق في سهرة مع شاعر كردي كانت المخابرات العسكرية قد اختطفته من بيروت سراً، ومع نائب عام الموصل والذي اعتقل في مطار دمشق وهو في طريقه إلى أسبانيا، فتح الباب يا جدتي، فإذا بسجان من أبناء السويداء شارباه يغطيان فمه، فتح الباب واستند عليه، ومن ثمة صرخ باسمي، فأجبته بنعم هادئة لا لون لها، قال: "ضب غراضك إخلاء سبيل"، فكبّر الاسلاميون يومها فرحا بخبر الإفراج رغم أني مصنّف على معسكر الخصوم. بعد أن برد الهتاف سألته وبذات اللهجة الغريبة "إخلاء سبيل أم تحويل لفرع آخر"، فسب الذات الإلهية يا جدتي وصرخ بوجه وقال "إخلاء سبيل يا حيوان"، فعلقت جدتي بحمد ربها أنه لم يتركني ويرحل.

تجهزت وودعت كل زملائي في "المهجع" ومن بينهم سعودي كنت قد راهنته على خروجي يومها، بعد أن حلمت بذلك، في السجن كل الناس لون واحد لأن الرب يومها يصير واحداً، فالألم المشترك يوحد الإيمان. وبالطريق إلى مدير السجن يا جدتي طالبني السجان ببشارة الخبر، فأخبرته أني لا أملك شيئاً، فنعتني بالمنتوف. مدير السجن صاحب الصوت الجهوري جداً، أحالني إلى المكتب الأول في فرع فلسطين محطتي الأخيرة قبل الخروج، وهناك استقبلني أحمد العلي، كبير محققي القسم، وبادرني بالسؤال "وين هل الغيبه"، فقلت له "بسلامة معرفتك"، رد عليّ بنظرة غاضبة وابتسامة صفراء، إن هي إلا نصف ساعة كنت في مكتب العميد الذي سرد عليّ خطابا بالأخلاق والقيم والمبادئ وغيرها الكثير، ومن ثمة ألمح للتعاون والتواصل وغيرها من التفاصيل، وأنا ارتديت لباس الغباء والبلاهة، ومن ثمة صافحني إلى باب غرفته، لأقف في الممر وحيدا لا أعرف سبيل الخروج وعندما طلبت من العليّ السبيل، ضحك وقال "نسيت إنك فتت محمل لهون"، وها أنا ذا يا جدتي بين يديك.

تذكرت ليلة الإفراج تلك، وأنا في قبر جدّتي أكمل مراسم اللحد والدفن. نعم تعلمت مراسم الموت مذ ودّعت جدي قبل بضعت أيام. جدّي كنت أظنه تعب الروح ولذا تخلص منها، الخلاص من الروح طريقتنا للهروب من الآلام التي لا تحتمل، ولكن الخوف يترصدنا لحدود الغياب. جسد جدّي بدأ يلتهم الدود ما تبقى منه، كما التهم الجرب دماء الكثيرين في تلك السجون. الجرب يكوي دمك ويذيب روحك رويداً رويداً وبصمت كسكينة النواة المحترق قبيل الانفجار. يمتص مياه روحك لتستحيل ثقيلة تسقط والزمن إلى أبعد نقطة بعمق يأسك، عندها تقر أن ترك الروح لهجرتها خير مطلق. لكن روحي تشبثت بالحياة قليلا ولا أعلم كم هذا القليل. كم تمنيت أن أخبرك يا جدّي كيف يموت الناس وهم يتحركون في تلك القبور؟

القاعدة في دمشق

تلك القبور، كان آخرها في رحلة خروجي، المهجع العاشر بفرع فلسطين "المقر القديم" في منطقة الجمارك بدمشق، في ذلك المهجع الذي دخلته أذار عام 2004، قابلت أشخاصاً من مختلف الجنسيات العربية، من بينهم شخص كان يدعى أبو جعفر عرفت في اليوم الأول عبر رسله الليبي والسعودي واليمني، الذين حاولوا جرّي لطرفهم بأنه من الرجال المقربين من "الشيخ أسامة بن لادن"، وكان مقرّبا أيضا من مفتي النظام السوري أحمد بدر الدين حسون، فذاك الأخير قبل أن يكون بمنصبه هذا، كان يساعد أبو جعفر على تجنيد الشبان السوريين للتدرب في العراق من أجل الجهاد في بلاد الرافدين بحسب تعبير الرسل، وبالطبع بمقابل مالي على الرأس. في تلك القبور تطبخ الأحزمة الناسفة.

رغم كل الفوارق بين النزلاء هناك، إلا أننا كنا أصدقاء بمعنى من المعاني، ولكن الحياة لا تتغير بالعواطف كما تعلّمت في صيدنايا من أحد المعتقلين الفلسطينيين، والذي شارك بقيادة المجلس الثوري ذي السمعة السيئة والمتهم باغتيال العشرات من المعارضة العربية في مختلف البلاد، واختصر تجربة حياته بمقولة لا يمكنني نسيانها "لا أملك القدرة على التعاطف مع فرد أو جماعة أو أمّة وبالذات في حكايات القتل والدمار والحرب لأني أراها مسألة اجتماعية تاريخية "صيرورة" لا بد منها، ولكن لا يعني ألا أعمل لنصرتهم، فالتعاطف مخدر"، وهذا الأخير قتل المسألة الفلسطينية فالبكاء لا ينفع حتى الموتى فكيف ينفع الأحياء، ومن هنا لم أبك على أولئك الذين يُطبخون بالبارود لينفجروا بعد حين.

هذا الفلسطيني لا يشبه بطريقة تفكيره من قابلتهم في صيف عام 2002 بفرع التحقيق العسكري 248، وهم مجموعة ذات طابع إسلامي، حينها كانوا في السجن منذ أكثر من عامين، ففي الغرفة الثانية عشر بالفرع والتي يتزعمها أبو الحارث أضخمهم كانوا قد أنفقوا شهور طوالا بانتظار قرار النقل إلى سجن آخر كصيدنايا أو عدرا، كحال زميلهم الذي كان في سجن صيدنايا منذ الشهور الأولى من الدعوة التي ترتكز على تهمة نقل السلاح من لبنان عبر الأراضي السورية إلى الأردن فالضفة الغربية لدعم المقاومة الفلسطينية بعد انتفاضة عام 2000، وفي جانب من التحقيق معهم برعاية هشام اختيار الذي كان رئيسا لفرع المنطقة وقتها، كانوا يضربون ويشتمون أمام شاشة التلفاز التي تنقل أخبار الانتفاضة، ويقول لهم ما في ولا رجل قادر على إيصال السلاح لهؤلاء الأبطال بالإشارة إلى المنتفضين في فلسطين المحتلة!

كعك العيد

شهور ثلاثة قضيتها مع تلك المجموعة الفلسطينية بفرع التحقيق العسكري، ومن ثمة نقلت إلى سجن صيدنايا العسكري، وهم نقلوا إليه في وقت لاحق. قبل صيدنايا سأبقى في فلسطين ولكن فلسطين الفرع لا البلاد، الفرع الذي يحمل الرقم 235، هناك وفي المهجع الثاني حيث قضيت فترة التحقيق الأولى والتي لم تتجاوز الشهرين، مرّ على رأسي الكثير من القصص وتعرّفت على حقيقة نظام الحكم في بلادي.

بكل وقاحة بلاد تبنى على الدماء والظلمات، بلاد تجمع فيها المخابرات بالفروع أفواجاً من المواطنين "الرعاية" لتبحث عن تهم لكل منهم وكل بحسب ميله، فهذا عمر ابن حلب يصلي وملتزم دينيا كان يضرب بشكل يومي ليعترف بانتمائه لحزب التحرير الإسلامي، وشيخ من العتيبة في الغوطة الشرقية بريف دمشق يضرب ليعترف بأنه ضد الحكم وأنه سبّ وقذف رئيس البلاد، وأنا أضرب لأعترف أني ماسوني وأنتمي للمحفل الماسوني الدولي لمجرد حديثي عن آل الشلاح ودورهم بمحفل الشرق الأوسط بحسب مذكرات بدرالدين الشلاح أحد أبرز وجهاء دمشق وتجارها.

بإحدى جلسات التعذيب، طلبني سجان شديد الغرور ودموي الميل اسمه شادي، وخرجت من باب الغرفة لأقف ووجهي إلى الحائط ورأسي منحن إلى الأرض ويدي خلف ظهري، هكذا كانت العادة عندما تخرج إلى التحقيق وبالطبع حافي القدمين، صعدنا الدرجات من القبو حيث السجن إلى غرفة التحقيق الأولى من بين عشر غرف تطل عليها المهاجع المدفونة بالقبو وذلك عبر الممر من خلال نوافذ صغيرة، يومها تعرفت إلى أحمد العلي الذي عرفت لاحقا أنه كبير محققي القسم الأول، والذي بدأ بتكذيب كل أقوالي وشتمي ومن فور طلب تجريدي من الثياب إلى القليل وبدأت حفلة التعذيب بالجلد والضرب حتى سال الدم من كل مسامات جسمي، بعدها بقليل انتقلنا إلى الشبح وأنا أحاول جهدي ألا أبكي أو أصرخ. علمني الشيخ الغوطاني أنهم يستمتعون بصراخنا ودموعنا فاحتفظت بالدموع ليوم أحتاجهم فيه. أما الصراخ فانفلت من لساني وصعد ندائي إلى الله بالخلاص بعد الشبح. لحظة وضع الأغلال "الكلبشة" في يدي اليمنى ومن ثمة اليسرى وبعدها رفعني على كرسي أمام عارضة معدنية مرتفعة أكثر من مترين ونصف المتر عن الأرض لأعلّق وأترك سابحاً في الهواء، حينها شعرت أن الكون تجمع عند معصمي وقلبي يعتصر بين الحديد ومسامات الجلد الذي بدأ مع الوقت يذوب وينسلخ.

يوم تعذيب كامل سبق احتفالات ذكرى تأسيس حزب البعث الحاكم بأيام عندما فتح الباب أحد السجانة المعروف باحترامه للحد الأدنى من الإنسانية، يعني بحسب المتداول هناك "ابن حلال"، رمى السجان بصندوق من "معمول العجوة" كعك العيد لشيخ الغوطاني الذي كان رئيس المهجع وقال كل عام وأنتم بخير، ورد الجميع بذات التعبير دون معرفة سبب الاحتفالات، أكلنا المعمول ومن ثمة تذكرنا سبب الاحتفال، وأياً كان السبب المهم أني أحب كعك العيد واستمتعت به.

بردى

مع بدايات شهر أيار من العام 2002، وفي فلسطين أيضا، ثار الفرع وارتفعت أصوات السجانة بالصراخ والشتم، وارتفعت أصوات "الكرابيج" إلى أعلى مستوى شهدته أنا ومن هم أقدم مني، ومن الجلبة تميز صوت شاب صغير ينادي ويستحلف الجلادين بأنه بريء، ويرد عليه الجلاد بأنه كاذب ويُسيل عليه طوفان شتائم وإهانات، الصراخ ذهب بالنوم من جفون الجميع وكل واحد يلزم "سيفه" أي الجنب الذي ينام عليه.

إن هي إلا ساعة حتى وصل الضرب حدا لا يحتمل، وانتقل إلى مرحلة ثانية بعد أن قال أحد الجلادين لزميله أجلسه على "قنينة البردى"، وبالطبع يقصد زجاجة البيرة ماركة بردى، وارتفع صراخ قتيبة الشاب الذي تعرفنا على اسمه من خلال التحقيق ولكونه ذا نبرة صوت مميزة فصوته أقرب للطفولة منه للرجولة، بعد دقائق شق صوت قتيبة سماء الفرع ودمشق والكون، وبدأ أنينه يبكي كل الوجوه صغيرها وكبيرها، الكل يبكي صامتاً، وقتيبة أكثرنا رجولة ينادي "أحد أحد" كما كان بلال ينادي يوم عذّبه الكفار.

الجلاد، يشتمه بأمه وأخته، ويشتم ربه بأبشع الشتائم، وقتيبة ينادي "أحد أحد" والجلاد يسأل عن اسم شيخ الجامع الذي كان يتردد عليه، وقتيبة يخبره فيرد الجلاد بالتكذيب والشتائم دون وصول إلى نقطة اتفاق إلى أن صمت قتيبة بشكل مفاجئ واختفى صوته تماما. خرجت في منتصف أيار تقريبا من فرع فلسطين منقولا إلى التحقيق العسكري ولا أعرف أين قتيبة؟ أهو حي أم ميت لا أعلم؟ وكم من قتيبة قتل أو جُهّز ليقتل نفسه في تلك القبور لا أعلم، وربما غالبية السوريين لا يعلمون.

سوء الطالع جاء بقتيبة إلى المكان الخاطئ في التوقيت الخاطئ ما تسبب باعتقاله وربما حكمه، في حين وبذات الفروع الأمنية الحريصة على حياة المواطنين من خطر الجماعات الإسلامية! تضم بين جنباتها جماعات جاءت بها اعتقالات ما بعد الحرب الأميركية على طالبان، كان لي فرصة البقاء لثلاثة أيام بزنزانة مقابلة لغرفتهم، وهم المعتقلون العرب والأجانب من الإسلاميين، يحملون أرقاما وأحرفا بدل الأسماء وفي غرفتهم كما هو واضح توجد غسالة أتوماتيكية، وبراد والكثير من المعدات والخدمات الطبية التي لا تنقطع كل يوم، ويحظون بفرصة إقامة صلاة الجماعة وإطلاق اللحية، ويتحدثون بصوت مرتفع في أيّ وقت. كل هذا كان يحدث في الفرع 248 التحقيق العسكري، والذي كان يفرض النوم على الجميع بتمام العاشرة، وكان القمّل يأكل معتقليه في حين أن إسلاميي القاعدة يحظون بأفضل الخدمات. نعم أهلا بك في بلاد العلمانية.

أكاديمية صيدنايا

بلاد العلمانية حيث التهم بحسب الطائفة والدين، إن كنت مسيحياً فأنت جاسوس واختر البلاد التي تريد، وإن كنت مسلما سنيا فأنت من الإخوان المسلمين أو حزب تحرير أو جماعات إسلامية أخرى، وفي أحسن الأحوال أنت حزب بعث عراقي، إن كنت درزيا أو علويا فقد تكون يساري التهمة كحزب العمل. كرديا تهمتك معلنة بشكل مسبق، والقياس على هذا الجدول يعطي نتائج تقريبا صحيحة بنسبة مئة في المئة، يكفي أن تعرف من أيّ دين هو المعتقل أو من أيّ طائفة لتعرف تهمته.

هذا واقع تلمسه في صيدنايا حيث بقيت لفترة قصيرة قياساً بمن قابلت فمنهم كرغيد الطيار المستقيل الذي اعتقل قبل ميلادي، وأنا اعتقلت وخرجت من السجن وهو مازال من نزلائه حتى تاريخ كتابة هذه الحروف، رغيد الذي يصنع الجمال بالنحت على عظام الحيوانات، يبدع أجمل اللوحات بالحفر على عظام ميتة ويلتزم الصمت طوال اليوم إلا قليلا من الكلمات الترحيبية عندما كنا نشرب الشاي سوياً.

> إن كنت مسيحيا فأنت جاسوس واختر البلاد التي تريد، وإن كنت مسلما سنيا فأنت من الإخوان المسلمين أو حزب تحرير أو جماعات إسلامية أخرى، وفي أحسن الأحوال أنت حزب بعث عراقي، إن كنت درزيا أو علويا فقد تكون يساري التهمة كحزب العمل

* كاتب من سوريا مقيم في باريس

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

ملف/أدب السجن

أحفاد عبد الرحمن الكواكبي

هذا القبر صومعة وهذا المدفون راهب

فصل من رواية لن تكتمل

صادق أبو حامد

❑ الآن. في عتمة مليئة بالتوجسات، وغياب مجبول بالبرد، عليّ أن أذكر ما كان. بين زمجرتين للحديد عليّ أن أكسر جدار النسيان والكتمان. بين زمجرتين للحديد، تباعدتا، أم تقاربتا، سيكون لي ناس وأيام وبلاد أكبر من ظلمات الأرض والسماء. هنا، في المكان الضيّق الذي يسمونه منفردة.

طولها يتيح لجسدي أن يتمدد، ويترك لي عرضها فرصة إسناد ظهري وحكّ أصابع قدمي بالجدار المقابل. السقف يسمح لي بالوقوف، وهم لا يسمحون. وماذا أيضاً.. لديّ ثلاث بطانيات صغيرة، تتبادل أدوار الفراش واللحاف والغطاء. صحن وكأس وملعقة من البلاستيك. أهذا كل شيء؟ لا يهم، هذا خارج الموضوع. ما لدي هو ظلام يترك لك أن تغفو على ساعدي روحك. ينتشر مساحات إن اتسعت أفكارك، ويلتصق بجلدك إن ضاقت. ولديّ زاوية بين حائطين، أستطيع أن أحتفظ فيها بكل ما تحضره الذاكرة من أشياء. وتوجد رائحة رطوبة أو رائحتي أو رائحة ثالثة مكونة من رطوبة ومني. وأيضاً.. صوت وقع أقدام السجّان الذي لم يعرفني يوماً، لكنه يكرهني كما لو أن صورتي محفورة في رأسه منذ جززت عنق أبيه، وشخر بين يدي، فقط لأنه منعني من اغتصاب أمه، فلما رأت زوجها يهوي صريعاً، دقت مخالبها في صدري، فقتلتها بدم بارد، ولما كان السجّان صغيراً، حاول أن يضربني بيديه الناعمتين، فلم يبلغ ركبتي، فرحت أقهقه كمارد شرير، ولمّا مللت صراخه، رفسته ووضعت حذائي فوق وجهه، بل وربما تماديت فدست فوق جبينه الصغير، ثم رحلت.

ماذا لدي أيضاً؟ نعم.. صنبور ماء يمد رأسه فوق أجمل أشيائي، شيء يشبه الحفرة، وليس بحفرة. يسمونه هنا (بخشة)، ونقول عنه بطة، وفي الكتب قد تجده في باب "مرحاض". هذا أروع ما لديّ. ليس فقط لأنه أقرب ألوان كهفي إلى الأبيض، بل لأن ثقباً في شبك الحديد الذي يغطي أعلى بوابة المنفردة، يترك لحزمة رقيقة من الضوء أن تسقط فوقه فأراه أبيض. ودعوني أقول أيضاً، حين تكون قريباً من هذا البياض إلى هذه الدرجة، لن تحتاج إلى كثير حركة كي ترسل خيطاً من ماء النشادر فوق صفحة بياضه، فترسم من سريرك الحجري المرتفع قدر قدم، ضربت حتى الشبع، ما تريد. ثم تأمّل ما يمكن أن تريك إياه الحزمة الرقيقة من التماعات وإضاءات، حتى كأنك في ملهى ليلي، ربما ثمل بعض الشيء، لكن سطوتك في الملهى تجعلك تتمدد وأنت نصف عار فوق الأرائك كأنك هارون الرشيد، ثم انظر وتخيّر. أجمل نساء الأرض يستعرضن أمامك، ما حولهن وما بينهن، فإذا هاجت نفسك، وأردت إحداهن فلن تضطر للحراك أيضاً، فقط أرخ رأسك، واذهب إليها وبها، كيف تشاء، ولا بأس بعد ليلة تضيء الجلد من بعض النظافة، وإن بماء بارد ينز من صنبور، أنت في النهاية، تحبه. أما إذا لم تعجبك أيّ امرأة باعها لك خيالك، فما عليك سوى أن ترفع سروالك لتعود إلى عمل آخر.. وما أكثر الأعمال هنا.

> طولها يتيح لجسدي أن يتمدد، ويترك لي عرضها فرصة إسناد ظهري وحكّ أصابع قدمي بالجدار المقابل. السقف يسمح لي بالوقوف، وهم لا يسمحون. وماذا أيضاً.. لدي ثلاث بطانيات صغيرة، تتبادل أدوار الفراش واللحاف والغطاء

ربما عليّ الاعتراف. لا تسير الأمور دائماً بهذا اليسر. يحدث أحياناً أن ترغب بواحدة منهن، لكن رأسك يأبى الاسترخاء، فتحاول نيلها في صحوك. تمسك، تهتز، تتوتر، فإذا بها تفلت، وإذا بجميع الفتيات يختفين بلمحة بصر. لا يبدو مفهوماً لماذا يكرهن الصحو إلى هذه الدرجة. بيد أنني أنظر إلى الأمر بموضوعية، فمهما كانت جاذبيتك، لا بد وأن يكون هناك فتاة لا تنسجم ومدارك.. القصة قصة شحنات.

النتائج الأسوأ تحصل حين لا تحصل على الفتيات، ولا يختفين، بل يأتي الشاب الذي يكرهني أو أيّ من أخوته الأشقاء اللئام، فيزمجر بحديد الباب، ويدفع بصوته من الباب كفقاعة من القذارة ظلت جرذان المصارف تكورها عصوراً:

- لبرّه يا حمااار.

وكما تعلمون. لا نستطيع شيئاً أمام قوانين الفيزياء، فما إن تدخل فقاعته ظلام ملهاي، حتى تقذف الفتيات خارجه، وأقذف أنا خلفهن في عراء الممر. لكن الشاب لم يخطئ يوماً في تلقفي، مهما كنت لصيقاً بهن. يمسكني كما أمسكت أباه. ولرقة قلبه، يغطي عينيّ بأنشوطة سوداء، يسميها (طميشة)، كي لا يقتلني الشوق إلى الظلام الذي غادرته، وربما أيضاً لأنه لا يريد لبراءتي أن تخدشها مشاهد الجريمة، كما حصل معه في طفولته. ثم يزيدني حناناً فيقودني من رقبتي كي لا أتعثر أو أخطئ الطريق، فقد أخبروه ولا بد أن التعثر والخطأ، صفات ورثتها عن أجدادي.

بيد أن جمال البياض لا ينتهي هنا، وإلا لما أسميته الرائع، فالضوء النحيل الذي لا يفارقه، يجعلني أشرق حتى حين أقرفص فوقه. ليس هذا من علم الماضي، وإنما من علم الظلام، فأكثر الأمور اعتيادية تبدو أشدها معنى حين فقدانها. ما الذي كان سيحصل لو أن الضوء النحيل انقرض. هل عليّ أن أشرح ما حدث حين أخطأ مسؤولو الكهرباء فقطعوا التيار عن المجرّة التي أقبع في قبوها. هل يمكن تخيّل مجرّة بلا نجوم. يومها حبلت نجوم ضباط الفرع سخطاً، ولولا أن تداركت الكهرباء نفسها فأعادت التيار محملة كل إلكترون اعتذاراً وقبلة استسماح، لرأينا أهل وزارة الكهرباء في كهفنا، ولجعلوهم يرون نجوماً من نوع ثالث هذه المرة. غير أن القصة لم تنته، إذ كان الانقطاع قد أحدث عطلاً في كوكبنا، فقضي علينا أن نبقى دهراً نجلس، نحن أصحاب الكهوف السفلية، بلا بياض.. أي .. بلا أيّ لون!

جميعنا كنا في العتمة ذاتها. امتداد لا تعرف أين يبدأ لتعرف أين ينتهي. في البداية، شعرنا بفرحة سوداء، لكنها فرحة. ربما كنا نتمنى أن تكتمل عزلتنا، أن نبلغ انفصالنا الكلي عن أيّ نأمة خارج ذواتنا. الذات التي تكورت جنيناً في رحم أكبر من أن نملأه فنخرج. كنا نحس معاً بالاتساع في ظلام يشمل الكوكب، وكل يشعر بالاكتمال في دائرة تنغلق على سواده الخاص.

هكذا قيّض لنا أن نعيش حال زميلنا الأعمى. وفي حين كان هو يحفظ تاريخاً من التجربة، كنا نحن نحبو في ظلام الولادة. سرعان ما لفّنا الجهل والضعف. راحت دوائر التساؤلات تخنق أنفاسنا: كيف كان للظلمة أن تقسم أجزاءها؟ بأيّ لون رسمت المكان والأشياء؟ ربما كان سؤالاً غبياً، لكنك حين تتحرك في لون واحد، فتصطدم بجدار، وتتعثر بصحن، وتنزلق في حفرة، ستقف مذهولاً أمام حقيقة أن الأشياء موجودة ليس لأنك بينها وتحس بها، تحملها، أو تتجنبها، أو تنام فوقها. إنما لأنها موجودة، وتعرف أكثر منك كيف وأين توجد. بل إنك لا تشعر بوجودك، بحيّزك، إلا حين تصطدم بها. تصبح هي، الأشياء، تحدد وجودك. كلما تهت عنك دلتك قرقعة الأشياء على جانبيك.

في ضياع كهذا كان يمكن لأذنيك أن تسعدا. صرنا نهرّب أصواتنا، الوحيدة التي لا خوف عليها من الاصطدام، نهرّبها بين الكهوف. كنا كصراصير الليل، لا نكف عن الأزيز. أصوات بلا تاريخ، تقول الكثير: همهمات، نحنحات، سعال، ولا مفر، كان هناك نحيب وبكاء.

لم نستطع أن نرتقي عن حال الصرصور لنصبح خفافيش مثلاً فترشدنا آذاننا. كان ذلك يتطلب أجيالاً من حياة الكهوف. ولم يكن بمقدورنا، ونحن في حنين للجلد المتيبّس في كعوب أقدام أهالينا، أن نعتب عليهم لاختيارهم النور بدلاً من الظلام.

الهمّ الأكبر الذي خلّف وجعاً في قلوبنا، لم نفهمه، ولم يزُل، كان الحفرة التي لازلنا نذكر أن لونها لم يكن كالذي يملأ عالمنا. ليس حنيناً فحسب، بل مأساة أن نقرفص فوقها، لنُخرج ما اعتاد البشر على إخراجه منذ بدؤوا وجودهم. لا أظن أن أحداً منا فكّر في الأمر، أو حدس أننا سنعاني في هذه الحركة الطبيعية. لا يبدو الأمر صعباً. بعض العناء في الوصول. وضع القدمين في المكان المناسب، بقليل من الحذر والهدوء تستطيع أن تتحسس الأبعاد، وسترشدك الأشياء الصديقة. لكن ما إن تخلع سروالك وتهبط مقرفصاً حتى تغيب الدنيا. ليست الدنيا الغائبة أصلاً، بل تلك المتبقية في سراديب داخلك. حين تقرفص.. هل تعلم أنك تحدق في شيء ما. نحن عرفنا ذلك هنا، وكل منا واجه التجربة وحيداً أمام ماذا.. هل أقول أمام غائطه. أردنا رؤية شيء لنحدق فيه. لو أن خيط الضوء يتسلل فيرينا نملة تتحرك على بعد أميال. النملة سوداء. نحن نريد فقط نقطة ضوء فوق رأسها أو ظهرها، كان ذلك سيعني بهجة كاملة. لم يكن أمام أعيننا شيء، لم يكن هناك أمامٌ لأعيننا. كلما جاهدت لتستحضر شيئاً من تاريخ النور، لا تحظى بغير خيالات سوداء. كانت عيوننا مثلنا، تدور في كهف لمخرها، كما ندور. يفاجئها الجدار كما يفاجئنا. في غمرة خيبتنا ننسى ما قرفصنا لأجله. نغمض أعيننا علّنا نحس فرقاً بين ظلام بجفون وظلام من دونها، فنفشل. نركز نظرنا ونحدق كأنما نريد حرق الأردية السوداء التي تلفّنا، أو نكسر زجاج حوض الماء الأسود الذي بَدَوْنا غرقى فيه، فنشعر بأصابع تضغط فوق عيوننا، بهدوء، لكن بقوة وثبات. نعود فنغلق الأجفان خوفاً على العيون من التعب. ليس سهلاً أن تمنع جسدك من التصرف على طبيعته، فقط لأن المنطق لا يتفق وهذا التصرف.

أخيراً، كان يمكنك أن تدرك أن المنطق انتصر. ستسمع حشرجة مخنوقة، وتشمّ أطراف رائحة هزيمة، وصوت ماء ينزف.

يوم انتشلونا من مأساتنا، وأعادوا خيط الضوء النحيل، كدنا نتحول إلى عبيد له. كم مرة غافلته وهو يمتد مستقيماً دافئاً باتجاه البياض فقبّلته. أقتربُ من الثقب وأمدّ شفتي حتى يظهر خيالهما كفراشة سوداء.. وَ.. قبلة. أما القرفصاء فصارت نشوة خالصة. كنت أنثر قبلات متصلة في حضوره، كلما جلست القرفصاء. الجلسة التي تحوّلت من همّ إلى راحة، فصرت تسمع أصوات المياه ضاحكة دون انقطاع. ولعل ذلك ما جعل جرذان المصارف تعبّر عن رفضها، فبدأت تغزو كهوفنا كلما كفانا النوم مشقة التخيل، فحملنا على بساط خياله حيث يشاء ونحب.

بدأت تحرشات الجرذان بعد يوم أو يومين من مناسبة سياسية عظيمة. كنت أعجن عقلي لأخبز فكرة. تلك كانت متعتي المفضلة، رغم ثقتي أن البرد والرطوبة لن يتركاها تنضج كما يجب، لذا أتأملها بعد أن أشكلها آلاف الأشكال، ثم أصرخ في وجهها: "غبيّة"، وأرميها في الحفرة. على الأقل أستمتع بصوت الماء المنسكب فوقها وتحتها، لينزلقا معاً إلى أسفل السافلين.

سمعنا في البداية، صوت حركة عنيفة صادرة عن أحد الكهوف، صوت ارتطام بحائط، ثم بالباب الحديدي. اعتقدت أنه المجنون، فهذه حركاته، وإن يكن من عادته أن يوقظنا على هذه الأصوات باكراً، وقلت: لعله يعتقد أن شهر رمضان قد حل.. فأخذ دور المسحّر.

أزعجتني الضجة التي بعثرت الصور في رأسي. وددت أن أضع وجهي فوق شبك الثقب، وأصرخ فيه أن يتوقف، وهي رغبة يحلو لي ألاّ أخسرها رغم استحالة تنفيذها، فصرخة من هذا القبيل، ستكلفني صرخات من كل قبيل. ربما لهذا أحب هذه الرغبة، فهي تشعرني أنني لازلت قادراً على التفكير بما ليس مسموحاً.

بعد معركة ظننّا أن زميلنا يخوضها مع نفسه، خرجت من كهفه صرخة، أكبر من الحلم. هببنا ننظر من ثقب الشباك. لم نر شيئاً إلا الأبواب السوداء الحزينة، وسرعان ما سمعنا صوت فتح طاقات أبواب الحديد، وصوت صرخات ألمٍ قصيرة متقاطعة. قبل أن أحاول التفسير، فُتحت طاقة بابي، اندفعت قبضة إلى بطني، فأعادتني إلى جلستي.

من مجلسي الأثير، وصلتني الأصوات دون عناء، وفهمت الحكاية، فحين عاد الجميع إلى مواقعهم سالمين بعد صرخة أو اثنتين، بقي واحد يصرخ، مكملاً صرخته الجبارة تلك، ففتح الأشقاء اللئام بابه، معربدين متوعدين، ولمّا رأوا حاله فهموا أن الأمر يستحق إعادة نظر.

هتف أحدهم فزعاً: ولك يا حمار.. شو عمل فيك هيك..

علّق آخر ضاحكاً:

- ولك جردون غلبك..

واستمر يصرخ..

قال ثالث مستعيداً لهجة الوعيد

- لا تبعق ولك.. يعني لما شفته ما عرفت تنادي..

فسرّب جوابه بين الألم والخوف:

- خفت..

وبسماع صوته علمنا أننا ظلمنا المجنون..

قال أحد اللئام:

- خفت!! رح علمك الخوف على أصوله..

وسمعنا صوت العصا تنهش جلده

وكان أحدهم يقول:

- خلينا ناخده ونشوف قصته.. بركي الجرح خطير..

سمعنا وقع أقدام.. وزحف جسد.. وشراهة عصا.. وأيضاً تكنيس جرذ.

من يستطيع أن يفهم هذه الجرذان! ما الذي تريده منّا! طعامنا لا يكفينا حتى نترك لها حصة، وكهوفنا أضيق من خيالها، بل وليس لدينا حفر وسراديب ولا حتى صناديق أو أكياس لتختفي فيها أو خلفها. أيّ جنون ركب رأسها حتى تركت عالماً رحباً لتأتي إلى متاعيس الكهوف.

وظلّت على جنونها. اعتدنا أن نسمع كل يوم صوت عراك. ولمّا كان الأول قد ابتلي بالعصيّ لأنه لم ينادهم، لم يعد غريباً أن نسمع من يستنجد باللئام خوفاً من عدوّ أسود، شجاعته أكبر من حجمه بمرات. لكن الاستنجاد باللئام لم يكن يغير شيئاً.. إذ يصرخ أحدهم:

- وطي صوتك ولا.. شو في..

- جردون!

- أي اقتله.. شو مستني..

وينسحب تاركاً المعركة تحتدم. قرقعة صحن وكأس وملعقة، ضربات حائط، وربما صوت قنبلة تصدر عن الباب الحديدي، وأخيراً يعمّ الهدوء، فينقر المحارب بابه ليأتي أحدهم صارخاً:

- قتلته؟

- إيه..

ثم يفتح طاقة الطعام ويبتعد آمراً: ارميه من الطاقة..

لغبائي، استرقت النظر مرة باتجاه الصوت، ورأيت يد زميلي تمتد ممسكة بذيل أسود كأنه صل ثعبان، وجرذ.. وأيّ جرذ! جرذ بحجم قط.. وأي قط. كأنه أكبر من الكلب. خرجت عيناي من شباك الثقب، كاد شعر الجرذ يخزها، وعادت قفزاً مملوءة بالقرف.

عدت إلى مكاني وقد غزتني قشعريرة راحت تهزني على دفعات. كانت الفكرة مرعبة. كيف استطاع أن يقتل حيواناً بهذه الضخامة في كهف ضيق دون أي أداة. إنه لا يحتاج أداة ما، بل عدّة صيد كاملة! وماذا لو فاجأني جرذ بهذا الحجم، بل من أيّ حجم كان، هنا، في قعر كهفي. صارت الخيالات تأخذني وترميني. أفكر كيف سأجهّز نفسي للمعركة. لكنني عللت نفسي بالآمال هرباً من القلق. إذ لا بد أن حظّي أفضل من غيري ولن يهاجمني أيّ جرذ. ثم لا يمكن أن يكون لكل ساكن كهف جرذه الخاص. لولا أن كوابيس أمي مع قرينتها ذكّرتني باحتمال آخر. فالجرذان التي كانت تهاجمنا بدت وكأنها قرائننا. والقرين همّ ما بعده هم. كانت أمي تحكي لي عن قرينتها. كيف تأتيها في الحلم لتصارعها. أمي كانت تعرف قرينتها من بين مئات الأشخاص في حلمها. تقول: "كلما صادفتني صعوبة في حلمي، أتلفت يميناً ويساراً، فقرينتي لا تهاجمني إلا حين تجدني في مصيبة. لهذا كنت أستعد لها. ولم أكن أتردد في مهاجمتها. أعلم أن حياتي معلقة بهذه المصارعة. أتحول إلى وحش مرعب. أنا التي لم تعارك أحداً في حياتها، أصبح أشرس من نمر، وفي كل مرة كنت أصرعها، ثم أستيقظ فرحة بنصري، وتعبة أشد التعب. أتعرف يا ولدي، سمعت قصصاً كثيرة عن مساكين صرعتهم قرائنهم، فركبهم الجنون، أو دخلوا في مرض وغيبوبة بلا نهاية".

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

يوميات في المعتقل

أقبية الخوف وخسّة الذئاب

عبدالرحمن مطر

❏ أربع درجات تحدّرْتُها بهدوء وصمت، ثم اندلقتْ روحي في الجحيم، ألفيتُ جسدي في بهو شحيح الضوء. أبواب الحديد الموصدة تحيط بي من كل جانب، وفي الزوايا ذئابٌ ملفعة بشبح العتمة. ما إن تلبسني المشهد بوهلة دالّة على الغياب المديد، حتى أحسستُ بدمي ينسحبُ من أوردتي، كمن يداري حدّة شمسٍ فُجائية عن عينيه. أقبلتُ على الحدث راضياً بكل احتمالاته، لا مهرب من القبولَ، وإلا فإنني سوف أُنهك وأهزم من داخلي أنا.

هرير الذئاب

الضابط الذي يتدلى كرشه، متدحجراً بمشيته، كان هادئاً ينظر إليّ من باب مكتبه المشرع، يتفحصني كجثّة هامدة لإصقة على المقعد الجلدي في الصالون، يُقلّب أوراقاً بين يديه، ويقرأ. لم يطل انتظاري أكثر من نصف ساعة، حتى مرّ بي دون أن يحيد بصره عني بنظرة المنتشي، قال لي دون أن يتوقف بصوت خفيض، وهو يهزّ الأوراق : شيء يرفع الرأس.

وقعتُ في المصيدة. الكمبيوتر المحمول الذي أخذوه مني، يحتوي كل ما يساعدهم في إدانتي: كتاباتي، نصوصي بكل ما تتضمنه من أفكار ورؤى، مؤرشفة ومرتبة بعناية. فهمت مالّي، لكنني لم أشعر بأيّ خوف. أعاد لي عنصر الأمن جهاز الهاتف بعد أن قال للضابط أنه لم يجد فيه شيئاً. الحقيقة كانت هناك صوراً لتحركات الجيش حول حمص، ومقطع لمظاهرة طيارة في المهاجرين، وأخرى في حرستا، وتسجيل حول مقتل أحد جنود النظام في عربين، على يد الجيش الحر. تنفستُ الصعداء.. لكن الضابط عاد إليّ وهو يتكئ على مقعدي، في مواجهتي من أعلى، وهو يسألني من أين أتيت، وماذا كنت أفعل في المنطقة، في ظل الإغلاق الذي يفرضه الأمن من حرستا إلى القابون، إلى ساحة العباسيين.

الجمعة 6 حزيران

اشتعلت بلدات ريف دمشق بسبب المواجهات بين النظام والجيش الحر، فأغلقت الغوطة الشرقية، والأتوستراد الدولي، على إثر القذائف التي أمطر بها مقر المخابرات الجوية في حرستا، فيما تعرضت محطة كهرباء القابون لقصف من جهة مجهولة، أشعلت نيران كثيفة دمرت المحطة.

على الرغم من الإغلاق التام كنتُ مصرّاً على التحدي، والخروج إلى قلب دمشق، تحمّل السائق إلحاحي المشجع بالالتفاف حول القرى والبلدات، والطرق المغلقة والحواجز، مابين حرستا وعربين وزملكا وجوبر، وقذفني أخيراً في ساحة العباسيين التي كانت خالية تماماً، سوى من بضعة مسلحين.. في ذلك اليوم احتل الجيش الأسدي ملعب العباسيين وأطبق الأمن على مداخل الساحة بشكل نهائي.

في الأفق كانت سحائب الدخان الأسود الكثيف، تملأ السماء زاحفة نحو عرائش الياسمين.

في جعبتي/المحمول، مقال جديد، وتقرير يتصل بسيرتي مع النظام، يمتد إلى عام 1980، وكنت أزمع إرسالهما في بريد إلكتروني هام. حين قصدت مقهى زرياب في جادة الشهبندر، من باب توما، أحسستُ بأجواء شاحبة تلف المكان، وعلى غير العادة، لم يكن هناك أنترنت، ووصلة الكهرباء، غير موجودة! أشار لي النادل، أنه يمكنني الذهاب إلى مقهى الأنترنت القريب. لم أقبل بذلك، فكل الأجهزة هناك تخضع لرقابة مباشرة. جلست أحتسي القهوة، وبدأت الكتابة حول رواية بيلان.

تصاعدت حدّة القلق في ضلوعي، بحثاً عن مكان آمن للأنترنت، قادتني قدماي نحو القصاع صعوداً، فالقصور والتجارة دون جدوى. هناك كانت الحواجز في كل شارع، وهويتي طوال الوقت كانت جاهزة وأنا أجيب على الأسئلة : إلى أين، من أين، عملك.. كانت الحواجز تحدد لي خط سيري باتجاه شارع بغداد. وحين أردت الانحراف يساراً، هتف بي صوت من بعيد: أنت.. تعال هنا. ترددتُ فعلاً، جاء صوته آمراً فخطوتُ إليه:

من أين أنت؟

من سوريا، من هنا.. أجبتُ متهكماً. فبدأت الأسئلة: من الرقة، تسكن حرستا، كنتَ في باب توما، وذاهب إلى شارع بغداد.. ما الذي تحمله في حقيبتك.. ثم رحّب بي: أهلا وسهلا بالكاتب وبالصحافة كلها. قالها بارتياح، ثم نادى رئيس الحرس وسلمه بطاقتي الشخصية.

ولمَ أذهب معه.. ليفتشني هنا!

هواء تلك الليلة كان منعشاً ولطيفاً، أحسستُ بنسماته تلثم القمر، تتعطر بأشجار الصفصاف والصنوبر..ثم تمرّ بي وتمسح جفوني، وأنا أعبر البوابة الصغيرة الأخيرة إلى داخل فرع الخطيب.

– تعال، أشار لي، فهبطنا معاً نحو قبو المبنى، عدة درجات تفضي إلى باب حديدي، ضغط على الجرس، وهو يقول لهم إني ضيف جديد. كم هم لطفاء هؤلاء الساهرون على حماية البلاد من شعبها!

كنتُ في لحظة صفاء نادر، ورائق إلى درجة لم أقوَ فيها الرد بكياسة على الضابط، بعبارة ملؤها المرارة والاستخفاف:

– شكراً على لطف الضيافة. حققتْ رميتي مقتله، نظر إليّ ومضى نحو الأعلى، أما أنا فقد سحبتني يدٌ إلى أسفل، درجة واحدة، أحسستُ أن لليد المشعرة أظافر ذئب، قد تجمّل للحظة، قبل أن تدركني أنيابه التي رأيتها تقطر سمّاً زعافا.

طاولة في المدخل، وهنا توجب أن أسلّم كل ما بحوزتي، وهنا خلعت ثيابي. تدخل أحدهم عابثاً: ابق في السروال، أنت ضيفنا، و نحن نحترم المثقفين. ثم مدّ يده ونزع ما تبقى على جسدي، وألحقها ببصقة.

بدأت أفقد الإحساس بما حولي، أسمع صراخاً متداخلاً مع العواء، هكذا تنبهتْ إلى الأصوات الموجوعة دون أن أرى أحداً، التعذيب ترتفع شدته مع ارتفاع وتيرة السياط والشتائم. تبدو حفلة تعذيب جماعي، يجعل أعصابي متحفزة إلى أقصى درجات الاستسلام لما يمكن أن يحدث، علمتني التجارب السابقة أن أتماسك و أحتمل ما استطعت، أمام عطش السجان لحيونة غرائزه.

عناصر الأمن يدورون ببطء في البهو الخامل، ومع حركتهم يدفعونني إلى ركن خلف الباب، فأشعر بأنني أمام قطيع من الذئاب، يخيل إليّ همسهم بأنه هرير.. رغاء يسيل معه اللعاب وهي تنظر إليّ بعيون محمرة، تستعد للانقضاض على الفريسة الطازجة: أنا.

فتش العنصر حقيبتي على عجل، استخرج بعض الأوراق التي تضم مسودات لنصوص شعرية متفرقة، مقطوعات متناثرة، وحين قرأ بعضها، قال وهو يرميها على الطاولة: ستكتب شعراً أجمل من هذا هنا، البلد ينقصها أنتم يا خونة. ثلاث ساعات من الاستجواب، لم يوجه لي فيها المحقق أيّ اتهام مباشر، سوى أننا كمثقفين سوريين خونة للبلد والناس.. والنظام بالطبع، وأن كل المعارضة في كفّة واحدة، إرهابية مدعومة من صنّاع المؤامرة في الغرب المعادي، وكثير من هذا الكلام الذي لا قيمة له، سوى أنه فضاء لممارسة الاعتقال والتخويف والقهر. قال إني عميل للسعودية، لم أكن أعلم بذلك من قبل. أجبته بكل بساطة.. وأردفت أن الجرائد السورية محرّمة علينا. المحقق الذي ظل طوال الوقت هادئاً دون أن يشتمني، وهو يحاول إرشادي إلى جادة الصواب، لم يحتمل جرأتي في الرد، فغضب صائحاً:

– قم انقلع يا عرص.

وقفت، أمرني أن أوقع على المحضر، فطلبت قراءته أولاً. فحصلت على شتيمة دسمة وجرني العنصر إلى تحت. تحت صرت بين الأرجل يتلقى جسدي ما شاءت له الذئاب نهشاً وهي تملأ الفناء الصغير عواءً مديداً يتلاشى لشدته الضوء الشحيح في عيوني، وأنا لا أستطيع اتقاء أنيابهم حتى صرت في الزنزانة ثانية، والذئاب ترغي وتهمهم في البرية المظلمة البعيدة الموحشة، وفي جوفي ينمو الألم، مثل وردة لا أشتهي غيابها. صرختُ من داخل حنجرتي الجافة، كان صوتي مبحوحاً، توالت تأوهاتي مع كل ضربة، أدركني قهر أثقل على روحي وأطبق على أنفاسي، تحدّرت دمعتي حرة في مسيلها.

تحت.. أقبلتْ روحي على الورق، تدفع أصابعي للتشبث بالقلم، والتوقيع حيثما خمس مرات، وأنا أتنقل في جولة سياحية أمنية بين فروع وإدارات الأمن وسجونها في دمشق. أدلي بالمعلومات، ووجهي إلى الجدار مغمض العينين، وأنا أتحسب من صفعة على عنقي، أو نحرة تخلخل عظامي. سعدتُ جداً بالعودة إلى الزنزانة، الجدران المغلقة الصماء أحنّ على روحي منهم، أريد التخلص من قلق ومفاجآت المثول في حضرة الذئاب المتحفزة للوثوب عليّ.. وعلى أيّ من المعتقلين.

قرابة الثانية فجراً صحوت على صراخ قريب مني جداً، كان الصوت محترقاً، كنصل يمرر لحن الدم على أوتار قلبي، وتملكني خوف ما، تسارع فيه دفق الدم في عروقي. فتح باب زنزانتي فجأة فانتفضتُ واقفاً، كأن دوري الآن في التعذيب قد أزف. أمرني بالتقدم نحو الباب، وأن أستدير، ليربط عصبة القماش على عيني، ويغلّ يديّ خلفاً، ثم صعد بي الدرجات الأربع، إلى غرفة التحقيق.

ثلاث ساعات من الاستجواب، لم يوجه لي فيها المحقق أيّ اتهام مباشر، سوى أننا كمثقفين سوريين خونة للبلد والناس.. والنظام بالطبع، وأن كل المعارضة في كفّة واحدة، إرهابية مدعومة من صنّاع المؤامرة في الغرب المعادي، وكثير من هذا الكلام الذي لا قيمة له، سوى أنه فضاء لممارسة الاعتقال والتخويف والقهر. قال إني عميل للسعودية، لم أكن أعلم بذلك من قبل. أجبته بكل بساطة.. وأردفت أن الجرائد السورية محرّمة علينا. المحقق الذي ظل طوال الوقت هادئاً دون أن يشتمني، وهو يحاول إرشادي إلى جادة الصواب، لم يحتمل جرأتي في الرد، فغضب صائحاً:

– قم انقلع يا عرص.

وقفت، أمرني أن أوقع على المحضر، فطلبت قراءته أولاً. فحصلت على شتيمة دسمة وجرني العنصر إلى تحت. تحت صرت بين الأرجل يتلقى جسدي ما شاءت له الذئاب نهشاً وهي تملأ الفناء الصغير عواءً مديداً يتلاشى لشدته الضوء الشحيح في عيوني، وأنا لا أستطيع اتقاء أنيابهم حتى صرت في الزنزانة ثانية، والذئاب ترغي وتهمهم في البرية المظلمة البعيدة الموحشة، وفي جوفي ينمو الألم، مثل وردة لا أشتهي غيابها. صرختُ من داخل حنجرتي الجافة، كان صوتي مبحوحاً، توالت تأوهاتي مع كل ضربة، أدركني قهر أثقل على روحي وأطبق على أنفاسي، تحدّرت دمعتي حرة في مسيلها.

تحت.. أقبلتْ روحي على الورق، تدفع أصابعي للتشبث بالقلم، والتوقيع حيثما شاؤوا. لا أهمية لقراءتي، ويكاد الصباح أن يولد. أريد أن أرتاح، أن أغمض عيني ولو قليلاً، لكن لم أستطع النوم، فقد نقلتْ إلى المحشر: المهجع 37.

السبت 7 حزيران

من يخرج من الزنزانة إلى المهاجع، ويُسمح باختلاطه مع المعتقلين الآخرين، فهذا يعني، أنه انتقل إلى حياة أفضل في رحاب الجحيم. أحسستُ براحة شديدة وأنا أدخل المهجع المسمى (الخارجي) ورأيتُ ابتسامتي في عيون الآخرين، وأرفع يدي بالتحية للجميع. كيف لا.. وأنا خبير سجون! وكي أوفّر عليهم وعلى نفسي، نطقتُ بصوت مسموع باسمي وعملي. كانت اللهفة التي باح بها الجميع، هي معرفة أخبار الخارج. ما الذي يحدث في سوريا، ما هي أخبار الثورة، الجيش الحر، والمعارك التي يخوضها ضد النظام. لكن لم يسألني أحد عن مؤتمرات المعارضة، ولا عن مواقف المعارضين.. ولا هم يحزنون. السؤال الذي لم يمرّ مرور الكرام، عما إذا كانت هناك أنباء حول عفو قريب عن المعتقلين، نفخت نفسي قليلاً وهممتُ بإلقاء خطاب، فشدني أحدهم هامساً:

بلا طول سيرة.. في وإلا ما في؟

الله كريم.. قريب الفرج قريب..

ضحك الجميع، وعلت بعض التعليقات الساخرة الجريئة، التي تحلّى أصحابها بالشجاعة.. تلميحاً من خلف التلال. الجماعة الأولى التي استقبلتني، وأجلستني في مربعها الصغير.. صرفتني بعد أن لاحظت تكتمي في الحديث، وأنا الذي يعرف أنه ثمة مخبرون في المهجع، كنتُ على حقٍ!

الطريق الى الحمام، كان شاقاً، فالناس فوق بعضها البعض، أكوام لحم، وأنفاس خانقة. يقارب عدد المودعين هنا المئتين. ليس ثمة موضع للقدم الواحدة، والقفز هو وسيلة التحرك إلى وجهة واحدة، الحمام فقط.. وبالدور. وقفتُ أتطلع إلى مكان ما ألبدُ فيه، فألمُ جسدي على عثرتي، فلم أجِد. بقيت واقفاً حتى جاء طعام الغداء، وحل به الفرج.

يلتمّ السوريون حسب مناطقهم، في المهجع، معظمهم من دمشق وريفها، إضافة إلى وجود أعداد من حمص وحماه، وحوران. تناولت الغداء في ضيافة الدوامنة الذين رحبوا بي وأفسحوا لي مكاناً بينهم. مرّ على اعتقالي حوالي نصف يوم، لم ألتقط فيه كسرة خبز أو جرعة ماء، أو التبول سوى مرّة واحدة أثناء التحقيق.

كانت إلى جوارنا جماعة أبو زهدي الحرستانية، التي تحتل صدر القاووش، وأكثرها مناوشة، حيوية وشغباً. في المدخل مجموعة صغيرة تفرض الابتعاد عنها، ولديها مساحة واسعة تعادل ثمن المهجع، تتحكم به ولا تسمح لأحد بالجلوس فيه، إلا عند تناول الطعام. هناك كان زعيم المهجع، بعضلاته المفتولة وجسده الضخم، ولحيته الكثّة المشيبة، لم أحظ بإعجابه مذ دخلت، ثم اجتمعت به لاحقاً في زنزانة جديدة.

المكان الذي ربضتُ فيه، على نصف ساق، وجسد في الهواء، يبعد عني بمسافة موضع رجل واحد فقط، عن واحدة من أبشع غرف التعذيب. كنت في مواجهة نافذتها الوسيعة، نافذة داخلية مطلية بالبني الداكن، لا يظهر شيء مما تحتويه أو يحدث داخلها. لكن الصوت كان واضحاً جليّاً كالقسوة التي تقصم الروح والجسد!

أسرّ لي أبو محمد الدوماني، أنني سأسمع لاحقاً أصوات التعذيب، أصوات النساء المعتقلات هنا. في الليل كان صراخهن يمزق أرواحنا، ويفاقم عجزنا وقهرنا.. فمن يحتمل؟ غير أن وصول أحد الشباب في حالة خطيرة، أشغلنا جميعاً عما نحن فيه، وعمّا يحدث من حولنا حيث النساء يتعرضن للتعذيب.. وربما لأشياء أخرى، لا ندري على وجه الدّقة ما هي.

كان الشاب بقايا جثّة يغطيها الدم في أنحاء عديدة من جسده: الوجه والرأس، والقدمين واليدين، لا يقوى على النهوض بنفسه، أو الوقوف والمشي. قدميه متورمتان من التعذيب، وكان يصدر أنيناً خافتاً مبحوحاً ومتعباً، وعينيه شبه مغمضتين.

نزع عنه رفاقه الثياب الممزقة، ووضعوا رأسه تحت صنبور الماء، ثم مددوه على الأرض وهم يمسحون الدماء عن جسده. وما إن بدأ يستعيد وعيه، حتى علا اللغط والهرج في المهجع، وبدأت أساريره تتفتح على الرغم من الألم، سعيداً بالبقاء على قيد الحياة. تأمّلتُ ملامح وجهه الهادئ، وبريق النجاة في عينيه، والرضا الذي باحت بها ابتسامته، لقد ربح الجولة، ولم يستطع السجان أن ينتزع منه أيّ اعتراف حتى الآن. كان طويل القامة نحيلاً، بل هزيلاً، وقد مرّ على اختطافه من أطراف معضمية الشام، 76 يوماً. لا أتذكر اسمه الآن، كما لا أتذكر أسماء سوى ثلاثة أشخاص.. لكن ثمة وجوه لا يمكن نسيانها، واحد منها ذلك الشبيح المخبر.

* كاتب من سوريا

❝ فتش العنصر حقيبتي على عجل، استخرج بعض الأوراق التي تضم مسودات لنصوص شعرية متفرقة، مقطوعات متناثرة، وحين قرأ بعضها، قال وهو يرميها على الطاولة: ستكتب شعراً أجمل من هذا هنا، البلد ينقصها أنتم يا خونة ❞

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

العالم الافتراضي صورة مثالية للعالم الحقيقي

لا توجد قوانين علمية تمنع بناء شيء يقرب من الكمال

يعـرّف الواقـع الافتراضي على أنه بيئة تفاعلية ثلاثية الأبعاد مصممة بواسـطة برامج كمبيوترية، وعلى أنه يحيط بالمسـتخدم ويدخله في عالـم وهمي بحيث يبدو هذا العالم وكأنـه واقعي، ويتـم التفاعل مع هذا الواقـع نتيجة التفاعلات التي تحـدث بين البيئة الافتراضية وحواس المسـتخدم واستجاباته، لكن هل يعني ذلك أن نكون افتراضيا في أي مكان؟

❑ لنـدن – فـي سـنة 1965 خاطـب ايفـان سـوثرلاند، أحد رواد رسـومات الحاسوب، اجتماعا دوليا للفنيين حول موضوع الواقع الافتراضـي ليقول لهـم إن عـرض الواقع الافتراضـي النهائـي سـيكون عبـارة عن "غرفـة يمكن للحاسـوب داخلهـا أن يتحكم في وجود المادة. إذ يمكن لكرسـي معروض في مثل هذه الغرفة الجلوس عليه، والأغلال المعروضـة فـي مثل هـذه الغرفة سـتكون مقيّدة، والرصاصـة المعروضة في مثل هذه الغرفة ستكون مميتة. وعند توفير البرمجة المناسـبة يمكن لمثل هذا العـرض أن يكون حرفيا أرض العجائب".

لقد تطور الواقع الافتراضي بسـرعة في السـنتين الأخيرتين إذ يتوقع قدوم سماعة الـرأس 'أكولوس ريفت' التي طال انتظارها إلى محلات البيع في مسـتهل سـنة 2016، وسـتأتي بعدها مباشـرة عدة أجهزة. ومع ذلـك لا تزال هـذه التكنولوجيا حديثة جدا، ويبـدو أن رؤيـة سـوثرلاند لـم تقترب من الواقـع الفعلي إلا قليلا ومـازال الكثير من التركيز يخص الأشياء الأساسية جدا.

أن نكون افتراضيا في أي مكان

خـلال عرض حديـث لغوغـل كاردبورد –وهـي سـماعة رأس مصنوعة مـن الورق المقوى وتسـتعمل هاتفا ذكيا للعرض– يجد المرء نفسـه على التوالـي على قمة صخرة، ثم في إسـطبل بالقرب من حصان يشـخر، ثـم على عربة حديدية صغيرة يشـق طريقه صعـودا إلـى الجبل. وقد تسـبب له ركوب العربة الحديدية في دوار.

ويقـول الخبراء نرد الفعل بتلك الطريقة لأنه من السهل خداع أدمغتنا عندما يتعقب ما نـراه تحركات رؤوسـنا. ويعلق جريمي بيلنسـون المدير المؤسـس لمختبـر التفاعل الإنسـاني الافتراضـي في سـتانفورد "لم يتطـور الدمـاغ لكي يخبرنا بـأن ذلك ليس حقيقيا".

ويأتـي الجـزء الأكبر من الإثـارة حول الواقع الافتراضي من مجتمع الألعاب، فمن الـذي لا يرغب في تجربة لعبـة بالكامل؟ لكن اللعب ليس إلا البداية. في شركة سوني تم التعاون مع وكالة ناسا لاسـتحضار تجربـة الوقوف علـى المريـخ، وهـي تجربة يمكن أن تسـاعد العلماء على فهم هـذا الكوكب بشكل أفضل.

ويقـوم غوغـل حاليا بتجربة برنامج 'اكسبديشـنز" وهـو طريقـة لإرسـال الطلبـة إلـى أماكن مثـل الحاجز المرجاني العظيم

حيث يمكنهم الغـوص افتراضيا كجزء من درس حـول البيولوجيـا البحرية وتحمض البحـار. ويمكـن لمقاربـات مماثلـة تعزيز التدريـب المهني، مثلا عبر ارتـداء نظارات واقية يسـتطيع جـراح أعصـاب أن يتنقل عبر الخلايـا الدماغية قبل إجـراء العملية الجراحية. كما يمكن لعالم كيمياء أن يدخل داخل الدواء ليفهمه على المستوى الخلوي. وكذلك يمكن للمهندس أن يسـير عبر بناية بصدد بنائها.

إمكانيـة أخرى: تخيل أنك غير قادر على حضور تجمـع عائلي. بارتدائـك لنظارتين تجد نفسـك في وسـط الحدث، ويمكن لأي أحد هنـاك يلبس نظارات أن يبدو له وكأنك حاضـر. الحدث كله مسـجل، لذلك بإمكانك إعـادة مشـاهدة التجربة متى شـئت. بعد عشر سنوات من الآن يمكن لهذه التجربة أن تصبح شائعة.

والآن ماذا عن إمكانية العمل عن بعد؟ في هذا الموضوع يتصور هنري فوشس، أستاذ في جامعة كارولينا الشمالية في شابل هيل وقيـادي في هذا الميـدان، مكاتب افتراضية حيث يمكنك اسـتعمال الفضـاء المادي في بيتـك (مكتـب حقيقي، وحاسـوب حقيقي) لتتعامـل مع زملائك وكأنهـم موجودين في الغرفة نفسها التي توجد فيها أنت.

النظر عبر أعين الآخرين

في مخبره في جامعة سـتانفورد يدرس بيلنسـون كيف أن الواقع الافتراضي يغير السلوك، وجد أنه إذا كانت صورتك الرمزية أطول من طولك الحقيقي ستصبح أكثر ثقة. وإذا كان لديـك صورة رمزية جذابة بشـكل خاص تصبـح أكثر ودية، وإذا كنت شـابا ولديك صورة مواطن متقدم في السـن فإنك تدخر المزيد من المال. وتستمر هذه التغييرات حتى بعد مغادرتك العالم الافتراضي. ودون ذلك كله يمكن أن تصبح الصور الرمزية أكثر إقناعا. حاليا أغلب أنظمة الواقع الافتراضي التجاريـة تلتقـط حركـة الـرأس واليدين فقط، لكن في سـنة 2013 اشـترت شركة أبل شـركة تطوير التكنولوجيات الإسـرائيلية 'بـرايم سـانس" لتتبع حـركات كامل الجسـم باسـتعمال مجسـات تعمل بالأشـعة تحـت الحمراء ورقاقات إلكترونية خاصة. كمـا توجد شـركة أخرى اسمها 'فايسشيفت' تعمل على التقـاط تعبيرات الوجـه فإذا

> ماذا لو تمكنت من الدخول في الشريط الوثائقي بدل الاكتفاء بمشاهدته على الشاشة؟ كان ذلك هدف شريط الواقع الافتراضي «سحب فوق سدرا» الذي كان ثمرة شراكة بين الأمم المتحدة وشركة سامسونغ

ابتسـمت أو رفعـت عينيـك للأعلـى فعلت صورتك الرمزية الشيء نفسه.

كمـا تبـين جـدوى الواقـع الافتراضي في عـلاج أمـراض الرهاب واضطـراب ما بعـد الصدمـة. ومن ذلـك أنه يسـاعد على تخطـي الخوف من المرتفعـات عبر محاكاة الوقوف على شـرفة أو المشـي على جسـر. ويعتقد بيلنسـون وآخرون أنه يمكن أيضا استخدام الواقع الافتراضي لبناء التقمص العاطفـي. فماذا لو تمكنـت من الدخول في الشـريط الوثائقي بدل الاكتفاء بمشـاهدته على الشاشـة؟ كان ذلك هدف شريط الواقع الافتراضي "سـحب فوق سـدرا" الذي كان ثمـرة شـراكة بـين الأمم المتحدة وشـركة سامسـونغ، وتتبـع هـذا الفيلم فتـاة في الثانية عشـر من عمرها فـي مخيم لاجئين في الأردن.

وماذا لو تمكنت من فعل شيء مماثل في الوقت الحقيقي؟ يقـول كلاي بافور، رئيس مبادرات الواقـع الافتراضي لدى غوغل في هـذا الموضوع "اقرن هذا النوع من السـرد القصصي الانغماسـي أثناء سـيرورته مع تكنولوجيات مثل 'بريسـكوب' أو 'ميركات' (وهـي تطبيقـات تمكـن المسـتخدمين من مشـاهدة فيديوهات حية) لتتمكن من رؤية العالم عبر عيون أي شـخص". مثلا بإمكان محتـج فـي القاهـرة أو أثينـا أو بلتيمور اسـتخدام كاميرا خاصة ليعطي الناس في كافة أنحاء العالم مشـهدا علـى مجال 360 درجة عما يحدث هناك.

استخدام جميع الحواس

اشـترت غوغـل مؤخرا 'ثرايـف أوديو' وهـي شـركة مختصـة فـي الصوتيـات الخاصة، وهي أصوات تسـجلها الأذن على أنهـا تأتي من مـكان معين. فمثـلا نجد أن شـلالا افتراضيا يزداد صخبا كلما اقتربت منه. هناك شيء يصل إلى أذنيك من الخلف، تسـتدير فترى ظبيا قادما. الصوت يصبح ثلاثـي الأبعـاد، ويحيـط بك فعـلا من كل الجهات.

الرائحـة كذلك يمكـن أن تكون جزءا من تجربة الواقـع الافتراضي وهـذا ما تثبته تجارب شـركة اسمها 'فيلريل'، حيث طورت قناعا يطلق روائح مثل رائحة النار أو البحر لتعزيـز ما تـراه في سـماعة الرأس. والشـيء القريب من ذلك هو القدرة على تذوق ما تراه، وفـي هذا الصدد يطور باحثون في سـنغافورة إلكتـرودات توضع على اللسان فتحاكي الأذواق الأساسية مثل الحلو والمالح والمر والحامض.

ومـاذا عن اللمـس؟ هل نتمكـن في يوم من الأيـام من اكتشـاف أنـه عندما نغمس أصابعنا في ماء افتراضي سنشـعر بالبلل فعـلا؟ يعتبر دافيد ليدلو حـل هذا التحدي الـذي يعـرف بمشـكل 'اللمسـيات' الكأس المقدسـة للواقـع الافتراضـي. لكـن ذلك لا يعني أن المشـكل لا يمكن تجـاوزه إذ يقول بالمر لوكي، مؤسس مشروع أوكولوس، "أنا واثق بأننا سنفعل ذلك خلال فترات حياتنا، إذ لا توجد قوانين فيزيائية أساسية تمنعنا من بناء شيء يقرب من الكمال". بيد أن ليدلو أقل تفاؤلا فهو يرى أن خلق لمسـيات شبيهة بالواقع ستسـتغرق مئة سـنة لكنه يوافق الرأي بأن العالم الافتراضي يمكن أن يصبح يوما صورة مثالية للعالم الحقيقي.

بالطبع يمكن أن تكـون هناك نتائج غير مقصودة، ومن الآن يشـكو الكثير من الناس من مشـاكل في النظر ونقصا في فيتامين د –هذا فضلا عن السـمنة والسـكري– لأنهم يقضـون الكثير من الوقت أمام الشاشـات. فمـاذا يمكن أن يعني عالما صـار افتراضيا بشكل متقن بالنسبة إلى صحتنا؟

العالم الافتراضي في المستقبل

اسـتوحى بيلنسـون أعماله مـن رواية 'نيورومانسـر' لسـنة 1984 التـي تصـف مستقبلا يتمكن الناس فيه من ربط أدمغتهم مباشـرة بعالـم افتراضـي. وربمـا يخمن بيلنسـون أن الواقع الافتراضي يسـير في هذا الاتجاه فهو يتخيل أنه خلال 50 أو 100 عام قد نطور جهازا بينيا يربط الدماغ بالآلة وباسـتطاعته الوصول مباشرة إلى الجهاز العصبي.

ربما عندها سنكتشف أنه بدلا من الربط لبرهة، بإمكاننا مثل "أليس" التحول بالكامل إلى عالم أرض العجائب حيث تتعطل قوانين العالـم المبتذل (مثـل الجاذبيـة والتهرم). عندها قد يصبح الواقع الافتراضي شـبيها بمفهوم 'التفـرد' الذي يصفه راي كورزويل، وهو مستقبلي ومهندس لدى غوغل "طريقة عقولنا للانفصال عن أجسـادنا والاستمرار في العيش بسـلام في الوقت الذي تهرم فيه ذواتنا المادية وتموت. رؤية، مثلها مثل أرض العجائب، فاتنة ومخيفة في الآن نفسه".

> تخيل أنك غير قادر على حضور تجمع عائلي. بارتدائك لنظارتين تجد نفسك في وسط الحدث، ويمكن لأي أحد هناك يلبس نظارات أن يبدو له وكأنك حاضر

جديد التكنولوجيا

❑ باحثون في الشـركة الأمنيـة "زمبريومز لابز" المسـؤولة عن أمن الأجهزة المحمولة، يكتشفون ثغرة جديدة في نظام آندرويد تتيح للمخترقيـن تنفيذ بعض الأكـواد البرمجية على الهاتف عن بعد. وترتبط الثغرة بمعالجة البيانـات الوصفية داخـل ملفات الصوتيات "ام بي3" وملفـات الفيديو "ام بي4"، والقيام بعمل معاينـة لأغنية أو مقطع فيديو يحتوي على الثغرة من شـأنه أن يسـمح للمهاجمين بتنفيذ التعليمات البرمجية عن بعد.

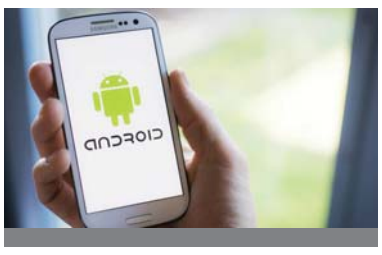

❑ شـبكة فيس بوك تعتزم السـماح لجميع مسـتخدميها اسـتعمال مقطع فيديو قصير متكـرر كصـورة شـخصية أو بروفايل مكان الصورة الشـخصية الثابتة. وسيتم تحديث الشـبكة الاجتماعيـة لدعـم صـور الملفات الشـخصية بشـكل مؤقـت والتـي سـتعود لوضعها الافتراضي بعد فترة معينة من الزمن، وذلـك إلى جانـب مقاطع الفيديـو القصيرة الجديدة. وستسـمح فيس بوك للمستخدمين تغييـر صورهـم الشـخصية بشـكل مؤقت ولمناسـبات معينة مثل المناسبات الخاصة أو أعياد الميـلاد أو العطل أو لإظهار دعمهم للفرق الرياضية أو لتعكس مزاج المستخدم.

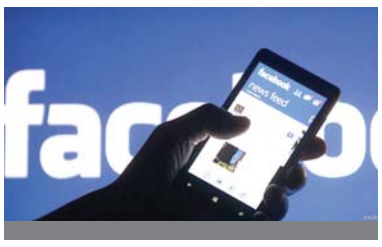

❑ أبل تطلق الإصدار الذي يحمل الرقم 9.0.2 مـن نظـام "آي أو إس" المشـغل لأجهزتها الذكيـة، لتصلح معه بعض المشـكلات التي وجدت في الإصدار السـابق الذي بدأ تداوله الأسـبوع الماضي. ويأتي نظام "آي أو إس 9.0.2 ليصلـح مشـكلات تتعلـق بتطبيـق التراسل "آي ماسـج" و"آي كلاود باك أب"، ودوران الشاشة، فضلا عن تحسينات تتعلق باستقرار النشرات الصوتية "بوكاست".

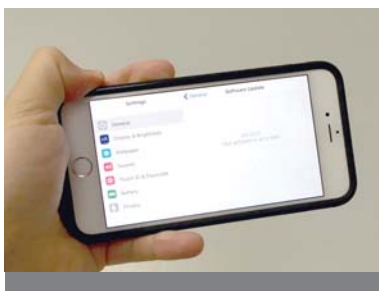

❑ غوغـل تطلـق تحديثـا جديدا للنسـخة الخاصـة بنظـام التشـغيل آي أو إس مـن تطبيق خدمـة الخرائط التابعـة لها، يجلب عـددا من المزايا، أبرزهـا إمكانية الحصول على الاتجاهات على ساعة أبل الذكية. ويأتي الإصـدار الجديد من تطبيق الخرائط "غوغل مابـس" الـذي يحمل الرقـم 4.11، ليسـهل على المسـتخدمين مقارنـة "الوقت المتوقع للوصـول" بين حالات القيـادة، أو النقل، أو المشي، أو قيادة الدراجات.

❑ تويتر يعتزم رفع الحد الأقصى للتغريدات إلـى أكثر مـن 140 حرفـا، وذلك فيمـا يبدو أنـه يأتـي اسـتجابة لمطالبـات الكثير من المسـتخدمين الذي يجدون أن الحد الحالي غيـر كاف للتعبيـر عـن أفكارهـم وآرائهم. ونقل موقع "ريكود" التقنـي أن تويتر يعمل فـي الوقـت الراهن على منتج جديد يسـمح للمستخدمين بمشاركة تغريدات يزيد طولها عـن 140 حرفا. ويـدرس أيضـا تغيير كيف يقاس الحد المسـموح به مـن الأحرف، مثل استثناء الروابط وأسـماء المستخدمين من الحسبان.

ممارسة الرياضة تحقق التوازن العضلي لأصحاب الاحتياجات الخاصة

النشاط الدوري يخفف العبء على الأعضاء السليمة

تزداد أهمية ممارسة الرياضة مع تسارع نسق الحياة وكثرة ساعات الجلوس في البيت والمكاتب ووسائل النقل. وتعد ثنائية النشاط المنتظم والغذاء الصحي بمثابة درع واقية من ضغوط العصر الحديث وما يترتب عنها من خمول وأمراض جسدية ونفسية. وسعيا لحياة أكثر إيجابية، تحث الدراسات العلمية على اقتطاع فسحة من الوقت للقيام ببعض التمارين، مهما كانت المشاغل أو الحالة الصحية. ولا يعتبر الأخصائيون الإعاقة الجسدية أو الذهنية عائقا للالتزام بنسق منتظم من الرياضة، بل يرون أنها دافع إضافي للحفاظ على اللياقة البدنية المتوازنة.

مستخدمو الكرسي المتحرك بحاجة لتقوية الجزء العلوي من الجسم

□ **لندن** – لا تقتصر التمارين الرياضية على فئة معينة أو سن دون سواها، نظرا لدورها الفعال في تحسين جودة العيش في كل المراحل الحياتية بما يضمن جسما سليما ومنيعا لآخر العمر. وأثبتت التجارب العلمية أن ذوي الإعاقات يصبحون أقدر على الاعتماد على أنفسهم والاندماج داخل مجتمعاتهم عبر انتظامهم في ممارسة الرياضة.

ويؤكد الباحثون أنه من الطبيعي أن يختل توازن القوة الجسدية لدى من يشكون بعض الإعاقات. فمن يعاني الشلل أو البتر في إحدى ساقيه أو يديه أو يشكو بعض العيوب الخلقية أو الناتجة عن الحوادث، سيعتمد أكثر على أعضاء معينة بأكثر جهد وضغط لتعويض الأعضاء غير الموجودة أو العاجزة عن الحركة الطبيعية.

ويثقل هذا الضغط كاهل الجسم إذا لم يلتزم الشخص بتدريبها وتدعيم مرونتها ولياقتها وقد تتعرض مع طول الوقت إلى التشنجات والتصلب والإصابات الخطيرة.

ويوصي خبراء اللياقة مستخدمي الكراسي المتحركة مثلا بالاعتماد على أنفسهم والقيام ببعض الحركات اليومية التي تقوي الجزء العلوي للجسم والذي يتحمل كل العبء في عملية التنقل. فاستخدام الكرسي يتطلب تحريك اليد والكتف باستمرار، طوال الوقت. والتمارين الرياضية المنتظمة –ذلك النوع الذي يرفع معدل ضربات القلب ويسبب تصبب العرق– إلى جانب تمارين تقوية العضلات لا تقل أهمية بالنسبة لصحة مستخدمي الكراسي المتحركة عن غيرهم من الأصحاء. انتبهت الكثير من المنظمات ومراكز الرياضة والتدريب حول العالم، إلى ضرورة توجيه ذوي الإعاقات وتعليمهم بما يتوافق من التمارين مع حالاتهم.

ويقول الخبير فيليب غيل: أن تكون نشيطا أمر مهم بالنسبة لمستخدمي الكراسي المتحركة. وفي حال عدم الالتزام بممارسة الرياضة سيزيد الوزن مع مرور الوقت ويفاقم ذلك من حالة الخمول والعجز وينعكس سلبا على الحالة النفسية. ويختص غيل، معلم متخصص في مركز "واي ام سي اي فت"، في تدريب مهنيي اللياقة البدنية الذين يتعاملون مع مستخدمي الكراسي المتحركة وذوي الإعاقات الأخرى.

وأوضح أن التحرك أو دفع كرسي متحرك يمكن أن يضغط على بعض عضلات الجزء العلوي من الجسم، مما يزيد من احتمالات الضغط أو الإصابات الأخرى.

ويمكن لتمارين تقوية العضلات أن تساعد في التحكم بالكرسي المتحرك في الحياة اليومية، وتجنب هذه الأنواع من الإصابات.

وكانت آخر البحوث قد لفتت إلى أنه على البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين 19 و64 أن يقوموا بما لا يقل عن 150 دقيقة من التمارين الرياضية على مستوى معتدل، وتمارين تقوية العضلات مرتين أو ثلاث في الأسبوع. وهو ما ينبغي أن لا يغفل عنه أصحاب الإعاقات رغم إصاباتهم، مع ضرورة مراعاة خصوصيات كل حالة وعدم تجاوز الحد الأقصى للجهد الذي يمكن بذله. ويفسر غيل أن العديد من مستخدمي الكراسي المتحركة لن يقوموا بذلك الحجم من النشاط البدني، لكنهم مطالبون بالحركة المنتظمة لأن حتى الزيادات الصغيرة في النشاط لها الكثير من الفوائد على الجسم والصحة العامة والقلب والأوعية الدموية.

ويقول الباحث "إذا لم تكن معتادا على ممارسة التمارين أو أنك لم تمارسها لبعض الوقت، ابدأ بجلسات مدتها 10 دقائق، وأسس تدريجيا لجلسات مدتها نحو 20 دقيقة".

ويقترح ممارسة سباق على كرسي متحرك، في أستوديو أو في مسار أو استخدام آلة تجديف تم تجهيزها لتتوافق واستخدام الكرسي المتحرك أو القيام ببعض التمارين الأخرى عليه، مثل كرة السلة، كرة الشبكة وكرة الريشة.

وتعني حركة الدفع المتكررة التي يتم استخدامها لدفع كرسي متحرك أن عضلات الصدر والكتف يمكن أن تصبح مشدودة وعرضة للإصابة.

وفي الوقت نفسه فإن عضلات الظهر، التي لا تشارك في حركة الدفع هذه، يمكن أن تصبح أضعف، لأنها لا تعمل أبدا.

وبحسب المختص فإن التركيز على التمارين التي تعمل على تحريك العضلات الصغيرة الداعمة لحركة الدفع يعتبر فكرة جيدة، مثل عضلات الكتف، وهذا ما يمكن أن يساعد على منع الإصابة. كما يمكن أيضا تقوية عضلات الظهر عن طريق ممارسة التمارين التي تتضمن حركة السحب.

وتعد الصالات الرياضية المجهزة بالمعدات والتي يتم تكييفها خصيصا لمستخدمي الكراسي المتحركة، مكانا آمنا وجيدا للقيام بأنشطة تقوية العضلات.

ويجد بعض مستخدمي الكراسي المتحركة أيضا أن بإمكانهم ممارسة تمارين تقوية العضلات في المنزل، وذلك باستخدام أشرطة مقاومة مطاطية. ويرى باحثون أيضا أن رفع الأثقال الخفيفة يقوي الذراعين ولا يتطلب جهدا كبيرا ويمكن القيام به في حالة الجلوس بل أنهم يعتبرونه أكثر نجاعة من رفع الأثقال ذات الأوزان الكبيرة والتي يصعب على مستخدمي الكراسي المتحركة حملها.

وأثبتت أحدث الدراسات الأميركية في هذا المجال أن بناء العضلات لا يتطلب رفع الأوزان الثقيلة بل يمكن أن تقوم الأوزان الخفيفة بنفس التأثير. وعلى العموم فإن الإعاقات على اختلافها ليست عائقا أمام عشاق الرياضة الذين يرون فيها فرصة للتميز وتحقيق النجاحات. وإيمانا بهذا المبدأ ونظرا لفارق القوى الجسدية بين أصحاب الإعاقات والأصحاء، خصصت لهم مسابقات رياضية تنافسية في ما بينهم تخضع لشروط معينة تتماشى مع خصوصياتهم. ومن هنا نشأت فكرة الأولمبياد الخاص برياضة المعاقين.

وتعود بدايات فكرة تأسيس دورة لألعاب المعاقين إلى جو ثمان الطبيب بمستشفى "مستيك ماندفيل" بإنكلترا وذلك إبان الحرب العالمية الثانية. وكان لاحظ في ذلك الوقت الخمول والكسل وفقدان الثقة بالنفس التي يعاني منها مرضى الشلل من بين مصابي الحرب والمقيمين بالمستشفى دون أي نشاط. ففكر في إنشاء ألعاب ستيل ماندفيل للمشلولين عام 1948.

وجاءت تلك الفكرة لمساعدة هؤلاء المعاقين على استعادة معنوياتهم وتوازنهم النفسي والجسمي وحتى يمكن دمجهم في المجتمع مجددا من خلال النشاط الرياضي الذي يتناسب وقدراتهم البدنية والحركية التي أوصلتهم الإصابة إليها.

وتطورت المسابقات الخاصة برياضة المعاقين في مختلف الاختصاصات. وكانت أول دورة أولمبية خاصة بالمعاقين قد أقيمت في عام 1968. واشتملت على مسابقات في السباحة وألعاب القوى والكرة الطائرة والهوكي. وفي العادة يضم أولمبياد المعاقين 20 لعبة رياضية يتم تقسيم المشاركين فيها وفق نظام معقد لتحدي أنواع الإعاقات.

واشتهر الكثير من الرياضيين ذوي الاحتياجات الخاصة حول العالم ولم تشكل إعاقاتهم سوى حافزا إضافيا للتفوق. ومن بين هذه الأسماء اللامعة، لاعبة تنس الطاولة البولندية ناتاليا بارتيكا، التي ولدت دون ساعد أيمن ومع ذلك قدمت عروضا رياضية أذهلت المتفرجين.

قالت بارتيكا خلال إحدى منافساتها الأولمبية: ربما يراني البعض فيدركون أن إعاقتهم ليست نهاية العالم، وربما ينظرون لي ويعتقدون أن بوسعهم تحقيق شيء أكبر مما يعتقدون. ربما تحتاج للعمل بشكل أكثر قوة في بعض الأحيان إذا ما أردت القيام بشيء ما.

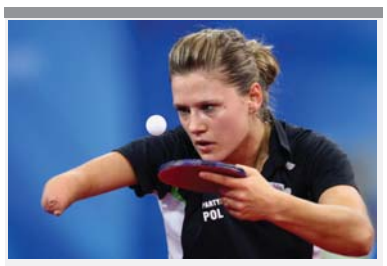

لاعبة تنس الطاولة البولندية ناتاليا بارتيكا:

ربما يراني البعض فيدركون أن إعاقتهم ليست نهاية العالم وأن بوسعهم تحقيق شيء أكبر مما يعتقدون

رفع الأثقال الخفيفة بانتظام تدرب العضلات على التحمل

- قال ستوارت فيليبس من جامعة ماكماستر الأميركية، إن نمو العضلات يقوم على ردة الفعل جراء حمل الأوزان التي تجعل حجم العضلة أكبر مع الوقت.
- الجهد المبذول في رفع الأثقال هو الذي يحدد بناء العضلات وليس وزن الأثقال نفسها.
- الاستعانة بالأوزان الخفيفة ولكن مع بذل مجهود أكثر في رفع هذه الأثقال الأخف مرات متتالية إلى الحد الذي تشعر فيه بعدم قدرتك على رفعها مجددا.
- أثبتت الدراسة أن من قاموا برفع أوزان أخف ولكن بتكرار يزيد بـ30 بالمئة عن الأوزان الثقيلة، تمكنوا من بناء نفس حجم العضلات وتساووا مع من رفعوا الأوزان الأثقل بعد 10 أسابيع من التمارين.
- الالتزام برفع الأثقال الخفيفة مع محاولة الالتفاف، قدر الإمكان، على الجانبين، الأيمن والأيسر، يساعد بدوره على تقوية الظهر الذي يضعف مع طول فترات الجلوس على الكرسي المتحرك.

وجبة يومية من التونة تساعد في إنقاص الوزن

□ **كاليفورنيا** – توصلت جملة من الأبحاث العلمية إلى أن تناول التونة والسلمون مرة يوميا يساعد على تخفيف الوزن بشكل ملحوظ. وتعد هذه الأسماك من أكثر الأنواع الغنية بالأحماض الدهنية التي تحفز عملية الأيض باعتبارها ذات مستويات منخفضة من السعرات الحرارية والدهون.

ويؤدي الاستهلاك اليومي المتكرر للحوم الأسماك بالمقابل إلى انخفاض استهلاك الإنسان للحوم الحمراء الأخرى. وهذا السلوك سيؤدي إلى انخفاض طبيعي في كميات الدهون المستهلكة يوميا.

وأثبتت التحاليل المخبرية أن الأحماض الدهنية الموجودة في الأوميغا3 تحد من مخاطر الإصابة بالسمنة وتعمل على تحسين استجابة الأنسولين في الجسم. وتساعد تلك الأحماض الدهنية المتاحة في الأوميغا3 على تنظيم الحصص الغذائية في الجسم. ومن ثم فهي تعد الخيار الأمثل للأشخاص الذين يحاولون التغلب على البدانة.

وتفيد إحدى الدراسات أن أسماك المياه الباردة مثل السلمون والتونة تحتوي على نسب عالية من هذا الحامض.

وعند تطبيق هذه الدراسة على بعض المتطوعين كانت النتائج جيدة جدا، إذ فقد المشاركون كمية لا يستهان بها من الوزن ولوحظ انخفاض بنسبة الكولسترول في دمهم. كما تم ملاحظة انخفاض احتمالات إصابتهم بالسكري.

وجاءت هذه الدراسة لتدعم دراسة سابقة كانت قد كشفت أيضا بأن تناول الأسماك الزيتية كسمك السلمون والتونة مرتين في الأسبوع على الأقل قد يمنع الإصابة بالأزمات القلبية.

ووجد الأطباء دليلا على أن مادة الأوميغا3 الموجودة في هذا النوع من الأسماك يمكن أن تمنع الحركة غير المنتظمة للقلب والتي قد تؤدي إلى أزمة قلبية.

وكشفوا أن الأسماك الزيتية يمكن أن تحول دون وجود كميات زائدة من الصوديوم والكالسيوم في القلب. ويمكن لهذه الإفرازات الزائدة، أن تسبب تغيرات عصبية خطيرة في القلب.

وأظهر الباحثون أن نوع الدهون التي نتناولها سواء كانت مشبعة أم غير مشبعة يغير من إنتاج مجموعة مهمة من المواد في الجسم تعرف باسم إيكوسانويدز. وتؤثر هذه المواد على ضغط الدم، تخثره، الالتهابات، وظيفة الجهاز المناعي وتشنج الشريان التاجي.

وتنتج زيوت السمك من نوع أوميغا3 سلسلة من هذه المواد (إيكوسانويدز) ثبت أنها تقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب، الالتهابات وبعض أنواع السرطان.

وأثبت العلماء في جامعة ساوثهامبتون البريطانية أن الأسماك الزيتية تحمي الإنسان من الإصابة بالسكتات. فقد وجد هؤلاء أن زيوت أوميغا3 الموجودة في الأسماك تمنع تراكم الدهون وترسبها في جدران الشرايين التي إذا بقيت دون علاج فإنها ستسد مجرى الدم الواصل للقلب والدماغ.

وقام الباحثون في دراستهم بمتابعة 162 مريضا ممن ينتظرون إجراء العمليات الجراحية المخصصة لإزالة المستويات العالية الخطرة من الصفائح الدهنية المتراكمة في الشرايين.

وتم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات، بحيث تناولت الأولى كبسولات زيت السمك من نوع أوميغا3، وتناولت الثانية كبسولات زيت عباد الشمس، بينما تعاطى أفراد المجموعة الثالثة أقراصا عادية لعناصر غير نشطة، لمدة 42 يوميا قبل خضوعهم للجراحة.

ولاحظ الأطباء في دراستهم التي نشرتها مجلة "ذي لانسيت" الطبية، وجود خلايا التهابية أقل في الصفائح عند المرضى الذين تناولوا زيت السمك، مما يعني أن هذا الزيت قلل تعرضهم للإصابة بالأزمات القلبية أو السكتات الدماغية.

التحول الجنسي في الدول العربية قضية مسكوت عنها

الضغوط النفسية والاجتماعية تدفع الفتيات العربيات للتخلص من أنوثتهن

عادة ما تدرج المواضيع المتعلقة بالجنس كالمثلية الجنسية والأمراض الجنسية والتحول الجنسي في خانة المواضيع المحرجة في الطرح والنقاش، إن لم تكن ممنوعة تماما. ويعد التحول الجنسي من أكثر هذه المواضيع المسكوت عنها في العالم العربي، خاصة إذا تعلق بالمرأة المتحولة جنسيا، إما لأسباب مرضية أو لاتخاذه وسيلة للخلاص من أنوثتها التي باتت تمثل قيدا لحرياتها، عندها يصبح الحرج مضاعفا.

سماح بن عبادة

❑ التحول الجنسي عملية معقدة علميا وطبيا. وهي تعتبر من الثورات في عالم الجراحة، إذ تعالج حالات مرضية مثل اضطراب الهوية الجنسية أو الاختلال الهرموني الجنسي، وحينها تسمى العملية التصحيح الجنسي. وهو الاسم الذي يراه الأطباء أقرب لوصف العملية من التحول الجنسي الذي يتم أحيانا استجابة لرغبة الشخص وليس لضرورة صحية. غير أن عامة الناس وخاصة في المجتمعات العربية المسلمة لا يدركون الفرق بين الاسمين، وكثير من رجال الدين والفقهاء يعتبرون هذه العمليات، خاصة تلك التي تأتي استجابة لرغبة في تغيير الجنس لا لمعالجة مرض جنسي، من المحرمات في الدين الإسلامي، بما أنها تمثل اعتراضا على خلق الله وتشويها له.

وخلال الأسبوع المنقضي طفت قضية التحول الجنسي في العالم الإسلامي مجددا على السطح، بعد تناقل وسائل إعلام دولية أخبارا عن وجود ثمانية ذكور بصفوف منتخب السيدات الإيراني لكرة القدم، لكن هذه الفضيحة التي هزت أركان الاتحاد الإيراني لكرة القدم ليست الأولى من نوعها خاصة في الفرق النسائية التي تشارك في البطولات الآسيوية أو العالمية لتمثيل إيران.

> عديد حالات التحول الجنسي من أنثى إلى ذكر تلاقي نبذا ورفضا من محيطها العائلي والمجتمعي وقد تجد نفسها أمام نظرة أكثر ازدراء وتنسحب عليها الأحكام الأخلاقية التي يوصف بها المتحولون جنسيا

وترجع فصول هذه الفضيحة الجديدة القديمة إلى عام 2008، حين صرّح رئيس أحد الأندية الإيرانية وإثنتان من المدربات وجود لاعبين ذكور في صفوف المنتخب الإيراني للسيدات، لكن الاتحاد الإيراني وصف هذه الادعاءات حينها بالكاذبة.

ونفى الطرف نفسه مجددا بشدة ما تردد عن وجود عدد كبير من اللاعبين الذكور ضمن منتخب الكرة النسائية الإيراني هذا العام.

وقال مصدر مقرّب من لاعبات الكرة النسائية، إن هناك لاعبات أجرين جراحات التحوُّل الجنسي، لكنهن لا يزلن يشعرن بميول ذكورية، وأن بعضهن لم تم تنجح عندهن عمليات تغيير الجنس، وهكذا تم توجيه الفضيحة السياسية الرياضية إلى مسائل جنسية وصحية، وهو ما لا تجد فيه السلطات الفارسية حرجا بما أن القوانين الإيرانية تسمح بإجراء عمليات تغيير الجنس منذ عام 1979 بناء على فتوى لآية الله الخميني.

ومهما كانت التفسيرات والتعلات التي ستصدر عن الجهات الإيرانية المسؤولة عن قطاع الرياضة، فهي لن تحجب عن أنظار العالم معاناة الرياضيات الإيرانيات من سطوة دولة لا تؤمن بأن للمرأة الحق في ممارسة الرياضة.

وهي عينة من القهر الذي تعيشه المرأة الإيرانية تحت عباءة الملالي، حيث تسلب حرياتها وتستكثر عليها صفة الإنسانية، لدرجة أنها استكثرت على نفسها صفات الأنوثة وعزفت عن رؤية جوانب الجمال والرقة والأمومة التي تحملها أنوثتها، وأصبحت ترى في التحول الجنسي حلا للهروب من عالم القمع الذي تعيش فيه لكونها امرأة.

هذه النظرة إلى التحول الجنسي على أنه أداة للخلاص من الأنوثة وتحرير النفس مما تجلبه هذه الصفة من متاعب في الحياة ومن ظلم ولا مساواة ومن استضعاف ونظرة دونية تجرّد المرأة من أبسط حقوقها لا تقتصر على الرياضيات ولا على الإيرانيات بل تشمل كل امرأة تشعر بالحيف والظلم، فقط لكون جنسها أنثى وتضم خاصة النساء في العالم العربي الإسلامي اللاتي يعشن في ظل عائلات متزمتة وفي كنف مجتمعات ذكورية ترفع شماعة الشريعة الإسلامية لترخص لنفسها وأد أحلام النساء.

عمليات التحول الجنسي الإرادية وسيلة للهروب من الواقع والتحرر من الطبيعة

وخلال السنوات الأخيرة لوحظ ارتفاع نسب الإقبال على عمليات التحول الجنسي في الدول العربية بحسب الإحصائيات الصادرة عن وزارات الصحة، كما لم تعد هذه الجراحات تجرى فقط في الدول الأوروبية ولم تعد تخضع لدرجة عالية من التكتم والسرية، كما في السابق.

وبحسب وزارات الصحة في الدول العربية المسلمة التي تجيز إجراء هذه النوع من العمليات مثل المملكة العربية السعودية ومصر، فإن ازدياد أعداد القائمين بها يرجع إلى سببين رئيسيين أولهما ارتفاع الحالات المرضية التي تشكو من اضطراب الهوية الجنسية، وثانيهما قبول المجتمع لهذا النوع من العمليات على أنها علاج لمرض خلقي.

وبعيدا عن الجانب العلاجي والصحي وعن الشذوذ الجنسي والأمراض النفسية الخطيرة التي قد تدفع الإنسان إلى القيام بعملية التحول الجنسي اضطرارا، هناك من يختار وفق لقناعات شخصية القيام بعملية التحول رفضا للواقع وسعيا لتغيير حياته بشكل كامل. ولئن اختلفت هذه الدوافع بحسب الجنس والإطار الاجتماعي والثقافي والبعد الديني وما يحمله ذلك من دلالات على اختلال التوازن بين الجنسين في المجتمع العربي المسلم، فإن أسئلة عديدة تطرح حول إقدام المرأة والفتاة العربية على القيام بعملية تحول جنسي رغم معرفتها لمخاطرها الصحية وتأثيراتها الاجتماعية التي قد تصل إلى نبذها من قبل عائلتها ومجتمعها، وهل يمكن أن تتخلص المرأة من طبيعتها نتيجة للضغوط والقيود الاجتماعية بالتحول إلى ذكر؟

معاناة الفتاة العربية في المجتمعات العربية المسلمة من الحيف والظلم وحرمانها أحيان من أبسط حقوقها ومن أغلبها ومقارنتها لما تلقاه من صدّ اجتماعي بما يلقاه الذكور من محيطها من اهتمام وتبجيل ومساعدة، يدفعها إلى تمني أن تكون مثلهم وتتمتع بما يتاح لهم لأنهم ذكور ورجال.

هذه المقارنة التي عادة ما تكون نتائجها صادمة للفتاة لما تكشفه لها من لا مساواة ومن غياب للعدالة حتى في محيطها الأسري الذي من المفترض أن يكون منصفا لها، تجعل تفكيرها ينصب على أن تبلغ الحظوة التي يكتسبها الذكور. يضاف إلى ذلك ما تعانيه من تشدد وتزمت في الفكر المحيط بها الذي يرمقها دوما بنظرة الدونية ويعتبرها كائنا ناقصا، ومع تقدمها في العمر وبلوغها سن المراهقة والشباب يزداد رفضها لواقعها ولما تلقاه من أقرب الناس لها من مس من كرامتها وإنسانيتها، وهو ما يدفع كثيرات نحو الرغبة في تغيير جنسهن.

في المقابل قد لا تطرح حاملات هذا التفكير السؤال حول جدوى التحول الجنسي في تخليصهن من ربقة القيود والضغوط الاجتماعية، وقد يغطي اندفاعهن نحو تغيير واقعهن إلى التغاضي عن الإجابة، حيث تلاقي عديد حالات التحول الجنسي من أنثى إلى ذكر (حتى لأسباب صحية بحتة) نبذا ورفضا من محيطها العائلي والمجتمعي، وقد تجد نفسها أمام نظرة أكثر ازدراء لكونها متحولة جنسيا قد تنسحب عليه الأحكام الأخلاقية التي يوصف بها المتحولون جنسيا، وهو ما ينتج عنه صعوبات في الاندماج الاجتماعي والزواج وبناء أسرة عادية.

هل ضمنت اتفاقية سيداو حقوق المرأة المسلمة وحمتها من التمييز

حقوق المرأة هي جزء لا يتجزأ من الحقوق الأساسية للإنسان، وهو ما يفترض ألا يُتعامل معها بشكل استثنائي، غير أن عدم التزام العديد من الدول بميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي يقر بأن للنساء والرجال حقوقا متساوية وبأنه لا يجوز التمييز بين أفراد المجتمع على أساس الجنس، جعل التمييز ضد المرأة مستمرا إلى يومنا هذا، وهو ما دفع العديد من المنظمات الدولية إلى المطالبة بإمضاء وتنفيذ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في جميع أنحاء العالم.

❑ **لندن** – تبنت الاتفاقيات والمعاهدات الدولية الدفاع على حقوق المرأة وعدم المس بها لأن في ذلك مساسا بإنسانيتها وكرامتها، خاصة في حال لا مساواتها بالرجل في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والمدنية، فقط لكونها امرأة. هذا ما تناولته على وجه التدقيق والتفصيل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة "سيداو" الهادفة إلى مكافحة اللامساواة وحرمان المرأة من أي نوع من حقوقها على أساس الجنس لا غيره من المعايير.

تاريخيا نشأت هذه الاتفاقية المناهضة للتمييز ضد النساء عام 1967، حين اعتمدت الجمعيّة العامة للأمم المتحدة إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة وبدأت لجنة مركز المرأة في الأمم المتحدة سنة 1972 استطلاع رأي الدول الأعضاء في المنظمة حول شكل ومضمون اتفاقية دولية تعنى بحقوق المرأة لكونها إنسانا وفردا في المجتمع.

وأنهت اللجنة المكلفة بصياغة نص الاتفاقية بمركز المرأة سنة 1979 إعداد النص. وبعد ذلك تم اعتماد الاتفاقية وعرضها للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرّخ في 18 ديسمبر 1979، ودخلت حيز التنفيذ بتاريخ 3 سبتمبر 1981. غير أن بعض الدول لم توقع على هذه المعاهدة والبعض الآخر وقع عليها لكن بتحفظات على عدد من بنودها. هذه الاتفاقية المسبوقة باعتراف وإقرار دولي بأن المرأة تتعرض للتمييز ولا تتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها مواطنوها الرجال في عدة دول في العالم، وتعتبر من منظور حقوقي نسوي بمثابة الأداة التشريعية لتحقيق العدالة بين الجنسين، وقد جاءت في شكل وثيقة دولية لضمان حقوق النساء تلزم الدول الموقعة عليها بتحقيق المساواة بين المرأة والرجل على جميع المستويات وتتكون من ديباجة و30 بندا.

وتعرف الاتفاقية مصطلح التمييز ضد المرأة بأنه "أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف للمرأة، على أساس تساوي الرجل والمرأة، بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر، أو إبطال تمتعها بحقوقها وممارستها لها بصرف النظر عن حالتها الزوجية".

وحتى اليوم وقعت على الاتفاقية أكثر من 180 دولة، وكانت السويد أول دولة وقعت عام 1980 وكانت أحدثها قطر في عام 2009. وتعد الولايات المتحدة الأميركية الدولة المتقدمة الوحيدة التي لم تصادق على اتفاقية السيداو إضافة إلى دول أخرى منها من لم تنضم إليها مثل إيران، والسودان، وبما أن الأخيرتين لا يوجد فيهما اعتراف بحقوق المرأة فإن عدم انضمامهما للاتفاقية ليس مستغربا ولكن عدم توقيع الولايات المتحدة يثير استغراب عديد الجهات الحقوقية، بما أن هذه الدولة تقدم نفسها للعالم على أنها راعية لحقوق الإنسان وداعمة للمساواة ولحقوق المرأة.

وتعلل الولايات المتحدة الأميركية رفضها للتوقيع على اتفاقية سيداو بأنه يوجد في الكونغرس الأميركي قاعدة ترفض فرض أي تشريعات خاصة بالأحوال الشخصية على الأميركيين، وأن ما ورد في اتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة يعتبر شكلا من أشكال التدخل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة. كما أن قضايا الأحوال الشخصية ومنها تحديد النسل شأن شخصي لا ينبغي للقوانين أن تحكمه.

أما بعض الدول العربية الإسلامية مثل المغرب وتونس ومصر ولبنان فقد صادقت على الاتفاقية مع تقديم عدد من التحفظات على بعض البنود، وعموما تشترك الدول المسلمة في معرضة بعض بنود الاتفاقية التي ترى فيها تناقضا مع الثقافة الاجتماعية ومع الشريعة الإسلامية مثل تلك التي تتعلق بالمساواة في الإرث.

وبما أن الاتفاقية لا تقف عند التوصيات والنصح بل تتجاوزها لمطالبة الدول المصادقة عليها بتكريس مفهوم المساواة بين الجنسين في تشريعاتها المحلية، وإلغاء جميع الأحكام التمييزية في قوانينها، والقيام بسن أحكام جديدة للحماية من كل أشكال التمييز ضد المرأة، فإن هذه الشروط وغيرها في تفعيل وتنفيذ بنود اتفاقية سيداو جعلت عددا من الدول العربية تتردد في المصادقة عليها وتطبيقها، ورفعت لأجل ذلك تحفظاتها على بعض موادها.

وفي قراءات قانونية لهذه الاتفاقية يبدو للدول العربية المسلمة أن هناك بنودا تتناقض أو تتعارض مع المعطيات الثابتة في هذه الدول خاصة منها ما يمس الجانب الديني والثقافة المحلية وما يمكن أن يؤثر على الهوية، ومن أبرز الانتقادات الموجهة للسيداو أنها تراعي في بنودها مقومات العولمة وتهمل كل ما يتعلق بالهوية والثقافة والخصوصية وهذا ما يخص المادة 2 التي تطرح قراءاتها إشكالية العلاقة بين الخصوصية الثقافية وبين مبادئ الاتفاقية التي تقوم أساسا على إلغاء التمييز.

تحفظات من هذا النوع جعلت جل وجهات نظر الدول المسلمة للاتفاقية متقاربة من حيث تأثير بنودها على الثقافات المحلية بكل ما تضمه من مكونات، يأتي على رأسها الدين والتاريخ والثقافة الاجتماعية بعاداتها وتقاليدها وإرثها الثقافي والاجتماعي الذي يكاد يتداخل في مفهومه لدى الغرب بالإرث المبني على العقلية الذكورية. ومن أبرز مواضيع التحفظات على بنود الاتفاقية تلك التي رفعت ضد المادة 9 وغيرها من المواد التي تمس إما الثوابت في الشريعة الإسلامية أو قوانين الأسرة مثل الزواج وجنسية الزوجة ومنح الجنسية للإبن ومشاكل الإرث والحضانة والوصاية والولاية والقوامة وتعدد الزوجات والطلاق إلخ..

كما أن الدعوات الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة أو عن بعض الدول للمصادقة على اتفاقية السيداو تشكل طريقا لمراجعة التحفظات الصادرة ضد بعض بنودها في إطار مراعاة القضايا الراهنة، ومن بينها تمكين المرأة في جميع نواحي التنمية المستدامة وحمايتها في ظل الحروب والنزاعات التي تضر بأمان وحقوق المرأة في المقام الأول.

اتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة وسيلة تشريعية دولية لرفع الظلم عن النساء

كيف تحوّل التكنولوجيا الأزواج الغيورين إلى جواسيس

الأجهزة الشخصية أصبحت مصدرا لكشف الخيانة الزوجية

ساهمت التكنولوجيا الحديثة وظهور مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار ظاهرة التجسس الإلكتروني بين الأزواج، حيث أصبح بإمكان المتجسسين والمتحرين الاطلاع على أدق التفاصيل عبر الضغط على مجموعة من الأزرار ومشاهدة تطورات الأحداث.

الرقابة الالكترونية تخفف من فرضيات الانفصال بين الزوجين

□ **لندن** – كشفت بعض البرامج التلفزيونية مثل "ذي واير" الذي يتم عرضه على شاشة "هوم.بوكس.أوفيس" و"ذي بلاك ليست" الذي يتم عرضه على شاشة هيئة الإذاعة الوطنية "أن.بي.سي"، أن الأجهزة الشخصية للناس يمكن أن تصبح مصدرا لكشف خيانتهم، حيث يمكن أن تتحول الهواتف النقالة على وجه الخصوص وبسهولة إلى أجهزة للتجسس، وذلك بفضل الكاميرات المدمجة، ومكبرات الصوت ورقائق نظام التموضع العالمي "جي. بي.أس".

وفي هذا السياق ذكر المتحري ريتشارد مارتينيز أن بعض البرامج المثبتة على الهاتف المحمول يمكن أن تسمح للزوجات الغيورات أو للأزواج الغيورين بمراقبة كل الحركات والرسائل الإلكترونية والمكالمات الخاصة بشركاء حياتهن أو شريكات حياتهم.

وقال مارتينيز "إذا كان بإمكانك توفير الهوية الدولية للأجهزة المتنقلة من هاتفك النقال، فإن هذا هو كل ما تحتاجه. في كل مرة يتم فيها إرسال نص عبر البريد الإلكتروني أو تلقيه، سوف يقوم هاتفك المحمول بتخزين نسخة منه، فضلا عن تسجيل مصدر الرسالة ومقصدها".

وأضاف أنه "عبر نظام جي.بي.أس سوف يتم تحديد مكان هاتفك الجوال خلال 24 ساعة وطيلة أيام الأسبوع السبعة، بالإضافة إلى إمكانية تسجيل الصوت المحيط بك، وبالتالي يمكن التنصت على هاتف الشريك دون علمه".

وأوضح مارتينيز أنه على مدى السنوات القليلة الماضية، أصبح الناس بشكل متزايد أشبه برجال التحريات، إما عن طريق المتابعة الجسدية للشخص الذي يريدون معرفة المزيد من الأشياء عنه أو عبر المراقبة الرقمية.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أن كل الأساليب يمكن أن تحقق نفس النتائج، هناك أمر أقل خطورة يتمثل في الاعتماد على التكنولوجيا. ففي الواقع، كل الأشخاص يحملون معهم أجهزة للاتصالات طوال اليوم تجعل من السهل رصد تحركاتهم. وأشار مارتينيز إلى أن إحدى موكلاته استخدمت برامج التجسس الخاصة بالهاتف الجوال لاعتراض أحد الرسائل الإلكترونية التي بعثها زوجها لامرأة أخرى من أجل ترتيب لقاء معها في أحد المطاعم، وكيف أنها تعقبت مكان تواجده باعتماد نظام جي.بي.أس، وكيفية النفاذ إلى الصوت في الهاتف من أجل التنصت عليه وعلى عشيقته وهما يتحدثان على إحدى الطاولات في المطعم.

> المادة الـ8 من قانون حقوق الإنسان تسمح بانتهاك خصوصية شخص ما، طالما أنها ليست لتحقيق مكاسب مالية، ولكن لـ"الرفاه العاطفي والحماية"

وأضاف "إن هذا وفر المزيد من الرقابة والقوة للعملاء لرصد شركائهم. بالنسبة إلي، هو يساعد المجتمع على نحو ما، لأنه يثبت عمليات الخيانة (الزنا)، كما أنه يمكن أن يخفف من فرضيات الانفصال الذي قد يسلط نوعا من الضغط على الأطفال".

ومع ذلك، من غير الممكن إجراء المراقبة بشكل دائم، ففي كثير من الأحيان، إذا كان الشريك حريصا على أخفاء أنشطته وتحركاته، أو يكون العميل مشغولا جدا، أو ببساطة لا يريد معرفة التفاصيل المروعة، يمكن للمتحري القيام بالمراقبة.

ويمكن جمع الأدلة إما عن طريق المراقبة السلبية وإما من خلال إنشاء "تحقيق خاص لتقييم الوفاء في العلاقات العاطفية"، حيث يتم إرسال المتحري إلى الطرف المقابل للقاء الشخص المستهدف في حانة أو ملهى ليلي، ويرصد تفاعلهما ويصور شريط فيديو.

وقال مارتينيز إنه قادر على الالتفاف حول قوانين التفخيخ عن طريق التأكد من أن الهدف ليس تحت تاثير الكحول وأن المحقق الخاص في العلاقات العاطفية (ما يصفه مارتينيز بأنه "اختبار للنزاهة") يتصرف وفق رد الفعل، وليس بشكل استباقي.

وأفاد "نحن ننفذ الاختبار في وقت مبكر من المساء، ونحن لا نقوم باللمس، وليست هناك أي حركة جسدية، ما يعنينا هو ما هو لفظي فحسب، الردود التفاعلية البحتة وليست الاستباقية، لذلك نحن لن نطلب منهم الحصول على رقم أو تاريخ، وسوف نرى ماذا يفعلون".

وأضاف "في اختبار النزاهة هناك جاذبية متكافئة، لذلك نحن لا نريد وضع نموذج مع امرأة حقيرة. نحن نحاول الحفاظ على عدله قدر الإمكان. ولكن في كثير من الأحيان، إذا دفع لنا العملاء مقابلا ماليا من أجل اختبار نزاهتهم، فإنهم قد يحصلون على أسباب وجيهة للاعتقاد بأنهم سوف يقعون في الخطأ". وهو أيضا على دراية جيدة باللوائح مثل قانون تنظيم سلطات التحقيق، الذي يقدم المشورة بشأن أنواع المراقبة التي يمكن القيام بها قبل أن يتم اعتبارها تدخلا في الشؤون الخاصة.

وأشار مارتينيز إلى أن المادة الـ8 من قانون حقوق الإنسان تسمح بانتهاك خصوصية شخص ما، طالما أنها ليست لتحقيق مكاسب مالية، ولكن لـ"الرفاه العاطفي والحماية". ويعتبر التنصت على الهاتف أمرا مقبولا، ويمكن أن يتم تتبع إحدى العربات طالما أن المتعقب ليس بداخل السيارة ولا يؤثر على أدائها.

وقال مارتينيز إن العديد من القضاة سوف يختارون أن يغفلوا الكيفية التي تم بها الحصول على أدلة "لتحقيق الصالح العام ومصلحة العدالة"، طالما أنه لا يوجد إضرار بالممتلكات أو إصابة أي شخص، وطالما أنه تم جمع معلومات ذات صلة بالقضية.

وأوضح مارتينيز أن عملية المراقبة ليست فقط لجمع أدلة على إثبات الخيانة الزوجية، حيث أن كثيرا ما يلاحق الناس المتهربين من استرداد الديون، وأيضا كثيرا ما تتم مراقبة المراهقين نيابة عن آبائهم الذين يشعرون بالقلق. وقال إن بعض الآباء في المناصب رفيعة المستوى، مثل المشاهير أو القضاة، لا يريدون الاهتمام بأبنائهم في سن المراهقة، الذين قد يقعون في الخطأ، لذلك يقومون بتوظيف من يراقب أبناءهم خلسة.

فإذا تم القبض على أحد المراهقين وهو بصدد السرقة، أو التسكع مع أحد العصابات، حينها يكون بمقدور الوالدين اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادته إلى طريق الصواب وتشديد الخناق عليه. وأورد مارتينيز أنه يعمل الآن بشكل أكبر لفائدة الوالدين المسلمين، الذين لهم مخاوف من إمكانية انسياق أبنائهم وراء التطرف.

ومع ذلك، هناك بعض الخطوط التي يرفض مارتينيز تجاوزها، على سبيل المثال، قال إن عملية التسجيل داخل الممتلكات الخاصة هي "أمر محظور بشكل مطلق بالنسبة إليه". وهو يحاول أيضا تجنب المراقبة المتطفلة.

كما أنه لا يتدخل بهدف الحصول على معلومات من إحدى الشركات لتستفيد منها شركة أخرى. ويجري مارتينيز الحيطة الواجبة على كافة عملائه، وإذا كانت هناك أي إشارة إلى أن تحقيقا ما قد يكون بهدف الكسب المالي، أو يؤدي إلى عنف، فإنه سوف يستغني عن إجرائه.

وصرح قائلا "بصرف النظر عن الالتزام بالقانون، نحن لدينا مبادئ توجيهية أخلاقية، إذا اتصل بي شخص ما وقال بأنه يريد الحصول على تفاصيل عن عنوانك، فإنني أتحقق في الأمر، عبر طرح أسئلة الحيطة الواجبة مثل ما سبب ذلك؟ وماذا ستفعل بالمعلومات؟". وأضاف "عندما نقوم بالاستفسارات المباشرة، يبدو الأمر مدهشا، كيف أن الجيران مفيدون عندما يتعلق الأمر بتوفير المعلومات".

الحصار السوري

هيفاء بيطار

□ لماذا لا يستطيع المواطن السوري داخل سوريا أن يؤدي فريضة الحج في السعودية؟ سؤال أطرحه مع ملايين من المواطنين السوريين وغير السوريين ولا نعرف حقيقة سبب هذا المنع!

تأثرت كثيرا بآلام وشكاوى السوريين التواقين لأداء فريضة الحج وتساءلت ما الذي يمنعهم من أداء هذه الفريضة؟ هل هو خلاف سياسي وأسباب عديدة لا أحد يجد نفسه مضطرا إلى توضيحها للمواطن السوري الذي تحولت حياته إلى ألغاز وتحول وطنه إلى قفص لا يستطيع مغادرته إلا بصعوبة شديدة؟ أي ظلم وعار؟ ألا يتمكن أي إنسان من ممارسة طقوسه الدينية؟

ومهما كانت الظروف والأسباب، سواء عرفناها أم لا، لا يوجد سبب أخلاقي ولا إنساني يمنع مواطنا من ممارسة طقوسه الدينية. لم أستطع السكوت عن هذا الموضوع الحساس والإنساني بسبب كثافة الاحتجاجات على الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي، إحدى السيدات كتبت بأنها نذرت أن تحج واستدانت مالا لتحقق رغبتها، ولكنها ممنوعة من هذا الحق،

حتى السفر إلى لبنان صار صعبا إلى درجة الاستحالة، طوابير من المسافرين ينتظرون بين عشر ساعات وخمس عشرة ساعة على الحدود السورية اللبنانية، ومعظمهم لا يمر، ويُعيدونه إلى الأراضي السورية لأسباب عديدة أيضا، لا يكلف أي مسؤول نفسه بتوضيحها للمواطن المنكوب.

بل إن أغلب معارض الكتب التي تُقام في دول عربية تمنع دور نشر سورية من المشاركة، كما لو أن الغاية الرئيسية لكل هذه الممارسات هي معاقبة الشعب السوري.

ومرارا تلقيتُ، كغيري من الكتاب السوريين، دعوات أدبية للمشاركة في ندوات ومؤتمرات في دول الخليج وغيرها، ونتفق على السفر ونرسل المحاضرات ثم نفاجأ باعتذار لبق بأن السوري ممنوع أن يعطى تأشيرة وبالتالي لا يمكنه السفر. حتى الحوالات المصرفية تتضمن عقوبات على الشعب السوري، إذ يمنع على السوري تلقي حوالة بالدولار أو إرسالها!

يمكنني ذكر أمثلة عديدة كلها تعكس أنماطا من إذلال السوريين، كما لو أن معظم دول العالم متفقة على إذلال الشعب السوري، والأكثر إيلاما هو إحساس المهانة والذل في سوريا، فكم من معارضين وطنيين قضوا شبابهم في السجن ممنوعون من السفر ولا يُعطى لهم جواز سفر مع أن هؤلاء يحضرون كل الاجتماعات لمعارضة الداخل الوطنية، ومع أن كل الصحف الرسمية السورية وخطاباتها تدور حول قبول الرأي الآخر والحوار مع المعارضين! فكيف تحترم معارضا وتمنعه من السفر وتعتقله ولا تمنحه جواز سفر!

أي ذل ومهانة أكبر من أن يفصل أحد الأساتذة الجامعيين من عمله كمدرس في الجامعة بسبب موقف سياسي اتخذه، وأن يقطع رزقه وينبذ ولا يتمكن من تأمين حتى عقد عمل خاص في جامعة خاصة لأن غضب الأجهزة الأمنية منقض عليه، ورغم ذلك يستمر تدريس كتبه في الجامعة وتطبع مرارا وتكرارا، ويتحول الأستاذ الجامعي والمثقف والموظف إلى عاطل عن العمل، بسبب آرائه السياسية.

وأي ذل كبير أحسست به، ككثيرين من السوريين، حين نصل الحدود السورية اللبنانية ونفاجأ بأننا ممنوعون من السفر لأسباب الله أعلم ما هي وبأن علينا مراجعة أحد فروع أمن الدولة وغالبا في دمشق رغم صعوبات السفر وخطورته، وحين نسأل الضابط المسؤول لماذا لم تعلمونا بالمنع من السفر مسبقا، لا يرد أو يرد بابتسامة قائلا بأنه يتلقى الأوامر من فوق!

لا أنسى أبدا شعور المذلة حين كنت مدعوة إلى البحرين للمشاركة في مؤتمر أدبي –تاء الشباب– وكانت الطائرة ستقلع ظهرا من بيروت، وكم صعقت حين قال لي الضابط السوري على حدود العريضة بأنني ممنوعة من السفر وعلي مراجعة فرع مخابرات كفر سوسة في دمشق، وهو ليس مخولا ولا يعرف سبب منعي.

أي حرية رأي وأي إصلاحات وهمية يمكن أن نصدقها؟ وبكل بساطة أجد نفسي أعود إلى اللاذقية بسبب قرار منع السفر هذا! ويتحلق حولي الأصدقاء ونحن نحاول أن نخمن السبب وراء هذا المنع، وتمر ساعات ونحن نحاول حل اللغز الذي لا يعرفه إلا هؤلاء الذين يتحكمون بحياتنا، هؤلاء الفوق.

وأحد أصدقائي حاول أن يؤكد لي أن قرار منع سفري هو بسبب مقال كتبته بعنوان: مُتهم حتى يثبت العكس، وفيه بينت كيف أن المواطن السوري يلازمه شعور الذنب والاتهام باستمرار وبأنه مطالب بتقديم براءة ذمة على سلوكه وكل كلمة تصدر عنه كل لحظة. لا نزال نعيش في زمن يسجن فيه كاتب أو إنسان بسبب مقال أو كلام، فأي إصلاحات خلبية هذه؟!

لقد تحولت حياة السوري إلى تنويعات من القهر والإذلال على جميع المستويات، ولا أنسى ما قالته إحدى الأمهات لي: أي أمل سوف نعطيه لأولادنا ونحن الأهل نعاني كل هذا القهر واليأس والذل؟ لم يعد باستطاعتي إقناع إبني بأن ثمة أملا في المستقبل في سوريا، بلد الموت والدمار والإحباط، وطن تحول إلى قفص، وتحول المواطن إلى سجين.

طبق اليوم

موزات الخروف مع الفلفل

*** المقادير:**

- نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود
- ملعقة صغيرة من الهيل الناعم
- 4 قطع موزات
- ملعقة صغيرة من الملح
- ملعقة صغيرة من الكزبرة
- ملعقة صغيرة من الكمون
- ملعقة صغيرة من الكركم
- ملعقة صغيرة من البابريكا
- 4 ملاعق كبيرة من زيت الزيتون
- حبة كبيرة من شرائح البصل
- حبة كبيرة من جزر مفروم
- 2 أعواد من شرائح الكرفس
- 3 قطع من ورق الغار
- ملعقة صغيرة من أوريجانو
- حبة كبيرة من الفلفل الأحمر
- حبة كبيرة من الفلفل الأصفر
- حبة كبيرة من الفلفل الأخضر
- ربع كوب من البقدونس المفروم
- 2 أكواب من الماء
- أرز أبيض

*** طريقة الإعداد:**

- في طبق صغير يمزج الملح، الفلفل، الكزبرة، الكمون، الهيل، الكركم والبابريكا. تنثر بعض البهارات على اللحم وتدعك جيدا.
- في قدر واسعة يسخن زيت الزيتون ويوضع اللحم باستعمال ملعقة خشبية مع التقليب باستمرار. يتم إخراج اللحم ويوضع في طبق ويترك جانبا.
- يضاف البصل إلى نفس القدر مع الجزر، الكرفس، ورق الغار والأوريجانو، ويقلب الخليط إلى أن يحمر قليلا، ثم تضاف بقية البهارات ويعاد اللحم إلى القدر، يضاف الماء ويترك اللحم يطهى بهدوء إلى أن ينضج تماما.
- يتم إخراج اللحم، والتخلص من ورق الغار والاحتفاظ بالمرق.
- في مقلاة واسعة يسخن زيت الزيتون ويضاف الفلفل، مع التقليب إلى أن يذبل قليلا، ثم تضاف إليه صلصة المرق، وبعد أن تغلي يضاف إليها البقدونس وتقلب.
- في طبق التقديم توضع صلصة الفلفل ويوزع اللحم على الصلصة ويقدم مع الأرز.

موضة

أزياء 2016 من ألف ليلة وليلة

□ نوه خبراء الموضة بتميز عرض المصممة اللبنانية الأصل ريم عكرا، وهو عرض ضمن عروض نيويورك للأزياء الجاهزة لربيع وصيف 2016، نظرا لما تضمّنه من أفكار، وألوان، وتطريزات حاكت أجواء ألف ليلة وليلة.

جمعت ريم عكرا بين ماضيها وحاضرها باستعمال قطعة من القماش تكرّر ظهورها في العديد من الإطلالات تمثلت في الحزام العريض الذي لفت ظهوره في قسم كبير من تصاميمها لربيع وصيف 2016 الحضور. طغت على بداية العرض الأثواب القصيرة، التي جاء بعضها مستوحى في القسم العلويّ منه من العباءة العربية، وتزيّنت الأثواب بأحزمة عريضة، وشراريب، وتطريزات شرقية. ثم تلتها مجموعة من الأثواب الطويلة، بعضها مستوحى من القفاطين المغربية ومزيّن بالتطريز الغنيّ والأزهار الكبيرة.

وكان التطريز حاضرا بكل أناقته ليزيّن الأزياء ويضفي عليها لمسات من الترف والفخامة، كما حضر القماش المطبّع بالأزهار وبالرسومات المذهّبة، أما الدانتيل فقد استعمل بكثافة في العديد من الإطلالات ولكن بألوان قوية ومشرقة تبتعد كل البعد عن الكلاسيكية.

مانشستر سيتي ... كرة قدم يصنعها التاريخ والمال

بيليغريني مهدد بملاقاة مصير سلفه مانشيني

تراجع مردود مانشستر سيتي الإنكليزي في الفترة الأخيرة، بعد بداية قوية، لا سيما على مستوى الدوري المحلي، وهو ما جعل المدرب بيليغريني يقع تحت ضغوط كبيرة وبات مطاردا بشبح الإقالة. خاصة بعد موجة الانتقادات اللاذعة التي أضحت تحاصره.

هيثم فتح الله

□ منذ أن شارك نادي مانشستر سيتي لأول مرة في بطولة الدوري الإنكليزي عند تأسيسه عام 1880 لم يستطيع تحقيق لقب البطولة إلا في عام 1937 أي بعد 57 عاما من التنافس مع فرق الدوري على لقب البطولة وبعد هذا الفوز لم يتمكن النادي من الحفاظ على البطولة وتراجع مستواه المتذبذب تارة مع فرق الدرجة الأولى وأخرى مع فرق الدرجة الثانية والثالثة وفي بدايات سبعينات القرن الماضي عاد مانشستر سيتي إلى سكة الانتصارات وأحرز بطولة الدوري للمرة الثانية ولكن هذا لم يسعفه للبقاء ضمن فرق الصف الأول فعاودها ثانية إلى صفوف فرق الدرجة الثانية ليبقى النادي متخبطا بمستواه إلى أن جاءه الفرج عندما قامت مجموعة أبوظبي الاتحاد للتنمية والاستثمار بشراء النادي عام 2008، فأغدقت عليه الأموال لشراء اللاعبين وتدعيم صفوف الفريق من إطار تدريبي متقدم ولاعبين دوليين يمكن الاعتماد عليهم لإحراز البطولات المحلية والأوروبية، لكن هذه الأموال لم تأت بثمارها حيث أنهى النادي موسم 2008 بالمركز العاشر ولم تتوقف إدارة النادي عن التعاقدات لشراء اللاعبين فقامت بصرف أكثر من مئة مليون جنيه إسترليني خلال موسم 2009 وتعاقدت مع عدد من الأسماء الكبيرة أمثال توري، أدي بايور، تيفيز، ليسكوت، كما تعاقدت مع أشهر المدربين الطليان (روبيرتو مانشيني) بمبلغ كبير ليقود الفريق في بطولة الدوري خلفا للمدرب المحلي مارك هيوز.

لم يتمكن مانشيني من خلق فريق منسجم يستطيع الفوز وتحقيق نتائج إيجابية في البداية لأن التشكيلة الدولية التي يمتلكها كأسماء فقط لم تكن متناغمة ومتفاهمة مع بعضها بالإضافة لصعوبة التأقلم مع أجواء الدوري الإنكليزي فجاءت النتائج مخيبة للآمال بالرغم من وجود أسماء لامعة في تشكيلة الفريق، ولم يتمكن مانشيني خلال سنتين من إدارته للفريق أن يحقق أي شيء إيجابي سوى إحراز أحد المراكز المتقدمة في الدوري الذي جعله يتأهل إلى دوري أبطال أوروبا للموسم 2011 بعد غياب دام 25 سنة ثم خرج من البطولة دون نتائج تذكر.

تدفق مالي مستمر

لم تقف إدارة النادي مكتوفة اليدين عند هذه الحالة بل استمرت بالبذخ المالي لجلب العديد من نجوم الكرة البارزين فتم التعاقد مع كوكبة أخرى من النجوم أمثال: كومباني، أغويرو، دي سلفا وغيرهم وهنا بدأ النادي ينافس على صدارة الدوري ليصل إلى ذروة التنافس مع جاره العتيد مانشستر يونايتد في موسم 2012 ليحرز بطولة الدوري بفارق الأهداف وبالثواني الأخيرة من نهاية موسم 2011–2012، حيث تعثر مانشستر يونايتد المتصدر وأهدر الفرصة بالفوز ببطولة الدوري وأهداها إلى جاره المنافس بعد أن كان الفارق كبير بينهما لأن يونايتد ضيع العديد من النقاط ليجعل من مانشستر سيتي بطلا للدوري بعد 44 سنة من إحراز لقب الدوري لآخر مرة.

إن الفوز ببطولة الدوري لموسم 2012 أعطى الفريق زخما كبيرا وجعل منه بطلا للكرة الإنكليزية ولم ينتبه لا القيمين على النادي ولا المحبين بأنه في حاجة للكثير من الأمور الفنية ليواصل تزعمه للكرة الإنكليزية والحفاظ على اللقب، حيث أن الأموال وحدها وشراء اللاعبين الجاهزين لم يكونا كافيين للحفاظ على بطولة الدوري وتحقيق الانتصارات في المواسم التالية فالبطولة لم تأت بجهودهم بل جاءت هدية من مان يونايتد وهذا ما ظهر جليا في الموسم التالي عندما أخفق مان سيتي في الظهور بمستوى لائق عام 2013 ولم يستطيع الحفاظ على بطولة الدوري وخرج من بطولة دوري أوروبا مبكرا لموسمين متتاليين بالإضافة إلى خسارته نهائي كأس الاتحاد الإنكليزي أمام فريق هابط إلى الدرجة الثانية بنتيجة 1–0 لصالح ويغن أثلتيك.

طاقم تدريبي جديد

بعد المستوى المتذبذب لمان سيتي لموسم 2013 لم تجد إدارة النادي في الكادر التدريبي للفريق بقيادة مانشيني ضالتها، فقامت بتعيين التشيلي بيليغريني مدربا للفريق لعلها بذلك تنقذ ما يمكن إنقاذه وتجعل الفريق يسير على طريق إحراز البطولات والألقاب لتعويض جزء من الأموال الكبيرة التي صرفت على التعاقدات لجلب اللاعبين. ونجح بيليغريني في إحراز بطولة الدوري لعام 2014 بفارق نقطتين عن ليفربول الذي استفاق في آخر عشر مباريات من الدوري ولو كان هناك مباريات أخرى لضاعت البطولة من مان سيتي مرة أخرى بسبب ضعف اللياقة البدنية وعدم الانسجام الواضح على التشكيلة الدولية التي يمثلها وهذا ما جعل النادي يفقد لقب البطولة في الموسم التالي لصالح نادي تشيلسي بعد غياب المنافس العنيد والجار اللدود مان يونايتد.

وبدأت دوامة بيليغريني مع النادي وجماهيره حيث بدا واضحا للعيان أن غياب أي لاعب أساسي في صفوف الفريق يؤدي إلى خسارة الفريق مهما كان مستوى الفريق المقابل، فالفريق خسر مرة بغياب كومباني وتارة بغياب توري وأخرى بغياب أغويرو وهذا ما لم يشخصه بيليغريني بإيجاد الخطط البديلة التي تناسب أداء الفريق لكي يحقق نتائج إيجابية بل استمر بتطبيق خطة 4–3–2–1 العقيمة التي تعتمد على الدفاع قبل الهجوم متناسيا أن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم ولم يستطيع الخروج من هذه المحنة رغم أن قيمة لاعبيه بالمستطيل الأخضر تتراوح بين 280 و300 مليون جنيه ورغم البداية القوية للفريق في هذا الموسم والتي حصد بها النقاط كاملة بأول خمس مباريات إلا أن مستواه بدأ بالتراجع و خسر مباراتان، علما أن الربع الأول من الدوري لم يكتمل بعد ومع هذا جاء تصريح بيليغريني بأنه يستطيع الفوز ببطولة الدوري الأوروبي وهي الأصعب بغية إعطاء زخم للاعبيه قبل مباراتهم مع منشنغلادباخ، فجاءت الرياح بما يشتهي بيليغريني ففاز في المباراة الثانية لدوري المجموعات وحقق أول ثلاث نقاط لسيتي ليحمي مصيره المهدد بالإقصاء إذا ما فشل هذه المرة في تجاوز دوري المجموعات فإدارة النادي صبرت عليه كثيرا ولم يبق أمامه إلا إحراز إحدى البطولات المحلية أو الأوروبية أو سيلاقي مصير سلفه مانشيني خصوصا أن إدارة النادي تمتلك ما يؤهلها للتعاقد مع مدربين كبار أمثال غواريديولا أو أنشليوتي.

> رغم أن قيمة لاعبيه بالمستطيل الأخضر تتراوح بين 280 و300 مليون جنيه، ورغم البداية القوية للفريق في هذا الموسم والتي حصد بها النقاط كاملة في أول خمس مباريات، إلا أن مستواه بدأ بالتراجع وخسر مباراتين

> التشيلي مانويل بيليغريني المدير الفني لفريق مانشستر سيتي الإنكليزي، أكد أن الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا لكرة القدم بات ضروريا للاعبي الفريق في السنوات المقبلة

عقدة المسابقة الأوروبية

أكد التشيلي مانويل بيليغريني المدير الفني لفريق مانشستر سيتي الإنكليزي ومدرب ملقا الأسباني الأسبق، أن الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا لكرة القدم بات ضروريا للاعبي الفريق في السنوات المقبلة. وقال "لقد حذرت اللاعبين بأنه يتوجب فك عقدة دور الستة عشر في المسابقة الأوروبية". وأضاف بيليغريني، المتسلح بإنجازه السابق مع فياريال عام 2006 بعدما صعد بالفريق إلى الدور نصف النهائي من دوري الأبطال "لقد واجهنا برشلونة في العامين الماضيين، ولو أنني كنت أملك الأسماء الحالية الشابة لتمكنت من الذهاب بعيدا في التشامبيونز ليغ". وأشار "فريقنا شاب للغاية بالمقارنة مع ريال مدريد وبرشلونة ويوفنتوس وبايرن ميونيخ، نحن أصغر سنا من الفرق التي توّجت بلقب دوري الأبطال في السنوات العشر الماضية". واختتم حديثه بالقول "فريقنا وصل إلى البطولة منذ سنوات قليلة، ونحن نتحسن يوما بعد يوم، أنا واثق بأننا سوف نصل إلى المستوى الذي يضمن لنا التتويج بالتشامبيونز ليغ خلال الفترة المقبلة".

بلاتر ما زال صامدا رغم تزايد الضغوط والمطالب بتنحيه

الرعاة الرئيسيون لـ«الفيفا»: على بلاتر الاستقالة بشكل فوري

رغم تزايد الضغوط من قبل الرعاة الرئيسيين للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) على السويسري جوزيف بلاتر رئيس الاتحاد، ومطالبته بالاستقالة بشكل فوري من رئاسة الفيفا، لا يزال بلاتر صامدا في وجه هذه الضغوط.

بلاتر يرفض الاستقالة من منصبه قبل فبراير القادم

❏ **برلين** - قال ريتشارد كولين محامي جوزيف بلاتر في بيان له أمس، إن بلاتر رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) لن يستقيل، رغم تزايد الضغوط من قبل الرعاة الرئيسيين للاتحاد على السويسري للتنحي.

ويأتي تصريح كولين ردا على مطالبة كل من شركات "كوكاكولا" و"فيزا" و"بودفايسر" و"ماكدونالدز" الراعية للفيفا بضرورة تنحي بلاتر عن منصبه بشكل فوري.

وأوضح "رغم كون كوكاكولا من الرعاة البارزين للفيفا، يعارض جوزيف بلاتر موقف الشركة ويرى بشكل راسخ أن ترك منصبه في الوقت الحالي ليس لمصلحة الفيفا، كما أنه لن يسهم في تطور عملية الإصلاح بالفيفا، ولهذا، لن يستقيل بلاتر".

وطالبت شركة "أديداس" الألمانية لإنتاج الملابس والأدوات الرياضية والراعية للفيفا أمس السبت بإجراء "تغييرات جوهرية" في الفيفا. ومع ذلك فـ"أديداس" وعلى عكس الرعاة الرئيسيين الآخرين للفيفا، لم تصر على ضرورة تنحي بلاتر من منصبه بشكل فوري. وطالبت شركات "كوكاكولا" و"فيزا" و"بودفايسر" و"ماكدونالدز" الراعية للفيفا مساء أمس الأول الجمعة باستقالة بلاتر فورا. وأصدرت كل من الشركات الأربع بيانا مساء الجمعة أكدت فيه على ضرورة رحيل بلاتر بشكل فوري من رئاسة الفيفا، بعدما بدأت إجراءات جنائية تتخذ بشأنه في الأسبوع الماضي.

وفي المقابل صرح أوليفر برويغن المتحدث عن شركة "أديداس" قائلا "كما تم التأكيد في مرات عديدة سابقة، يحتاج الفيفا لتغييرات جوهرية"، وأوضح "ولهذا، يجب استكمال عملية الإصلاح بكل شفافية وسرعة". وتمثل شركة "أديداس" أحد الشركاء الخمسة الكبار للفيفا مع "كوكاكولا" و"فيزا" و"هيونداي/كيا" لصناعة السيارات و"جازبروم". ومددت "أديداس"، التي تقدم الكرة الرسمية في كل نسخة من بطولات كأس العالم لكرة القدم منذ 1970، عقدها مع الفيفا قبل عامين ليستمر حتى 2030.

وأصبحت "هيونداي/كيا" الكورية و"جازبروم" الروسية العملاقة هذا العام ضمن شركاء الفيفا، وذلك بعقد يمتد حتى 2018 ويتضمن مونديال 2018 في روسيا.

ولكن الشركتين أيضا لم تطالبا بالتنحي الفوري لبلاتر. وتمثل عائدات حقوق التسويق ثاني أكبر مصدر دخل مالي للفيفا بعد حقوق البث التلفزيوني. وخسر الفيفا العام الماضي عددا من الرعاة منهم شركة "سوني" اليابانية لصناعة الإلكترونيات والخطوط الجوية الإماراتية.

وبلغت عائدات حقوق التسويق للفيفا من 2011 إلى 2014 نحو 1.58 مليار دولار من إجمالي العائدات الذي يبلغ 4.8 مليار دولار لهذه الفترة، وذلك طبقا للتقرير المالي للفيفا والصادر في 2014.

وكانت "كوكاكولا" أول من نصح بلاتر بالتنحي الفوري وذكرت في بيانها "لمصلحة اللعبة، شركة كوكاكولا تدعو جوزيف بلاتر رئيس الفيفا للتخلي عن منصبه فورا، حتى تبدأ عملية الإصلاح بشكل موثوق ومستدام وجدي".

وأضافت "الفيفا بحاجة لإصلاح شامل وسريع، وهذا يمكن أن ينجز من خلال نهج مستقل، كل يوم يمر ينتقص من سمعة الفيفا". كما انضمت شركتا "فيزا" و"بودفايسر" لقائمة المطالبين بالرحيل الفوري لبلاتر. وذكرت "فيزا" في بيان لها أيضا "ما من عملية إصلاح ذات معنى يمكن إجراؤها تحت إشراف القيادة الحالية للفيفا، وفي ظل الأحداث التي شهدها الأسبوع الماضي، يتضح أن الفائدة الكبرى للفيفا وللعبة تعتمد على تنحي بلاتر بشكل فوري". ودعت "فيزا" إلى أن تشرف لجنة مستقلة بقيادة شخص أو أكثر يتّسمون بالحياد على عملية الإصلاح بالفيفا.

ومن المقرر أن يستقيل بلاتر من رئاسة الفيفا في الاجتماع الاستثنائي للجمعية العمومية (كونغرس) للفيفا والمقرر انعقاده في 26 فبراير المقبل، ويرفض بلاتر الاستقالة من منصبه قبل هذا التاريخ.

وفي رد فعله على بيان الرعاة، قال غريك دايك رئيس الاتحاد الإنكليزي للعبة إنه يتعين على بلاتر الاستقالة بشكل فوري.

وأوضح دايك إلى رابطة الصحفيين البريطانيين "ليس مهمّا ما يقوله بلاتر الآن، إذا قال من يدفعون للفيفا إنهم يريدون التغيير، سيحققون التغيير.. المهم أن الأمر لا يقتصر على تنحي بلاتر، الأمر يمتد إلى التأكد من وجود برنامج إصلاح شامل وفعال". كما دعا هايكو ماس وزير العدل الألماني إلى استقالة بلاتر بشكل فوري، وأوضح في تغريدة على موقع "تويتر" للتواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، "كل يوم يستمر فيه بلاتر رئيسا للفيفا هو يوم سيئ لكرة القدم".

ويجري التحقيق مع بلاتر من قبل السلطات السويسرية بسبب منحه (يرجح أن يكون لحقوق البث) عقدا في عام 2005، ودفع مليوني فرنك سويسري (2.06 مليون دولار) للفرنسي ميشيل بلاتيني رئيس الاتحاد الأوروبي للعبة (يويفا) في عام 2011، لعمل قام به للفيفا في الفترة من 1999 حتى 2002، وأنكر الثنائي ارتكابهما أيّ مخالفات.

مواهب مغربية بألوان برتقالية

مراد البرهومي

❏ لو أمكن للمنتخب المغربي لكرة القدم على امتداد السنوات العشر الأخيرة التعويل على كافة أبنائه المغتربين والمحترفين في أوروبا، ربما لنجح في الوصول إلى نهائيات كأس العالم التي غاب عنها منذ دورة 1998، أو حصل على لقب كأس أفريقيا للأمم على أقل تقدير، ومع ذلك فهذا لم يحصل ولم يكتب له أن يجمع شتات عدد كبير من اللاعبين المغتربين الذين اختاروا اللعب لمنتخبات البلدان التي ترعرعوا فيها.

ربما أيضا لا يمكن حصر عدد اللاعبين من أصول مغربية الذين رفضوا اللعب مع المنتخب المغربي، لكن إشارة بسيطة قد تؤكد هذا المعطى فنجم الكرة البلجيكية ومهاجم مانشستر يونايتد مروان فيلايني هو من أصول مغربية، وناصر الشاذلي لاعب المنتخب البلجيكي ونجم توتنهام الإنكليزي ينطبق عليه المعطى ذاته، وعادل رامي لاعب من أصل مغربي، غير أنه اختار اللعب لمنتخب فرنسا.

هذا الأمر بات يستحق الدراسة والمتابعة فعلا، حيث أن أغلب اللاعبين المغاربة المغتربين الذين اختاروا منتخبا آخر غير منتخب المغرب ينشطون مع المنتخب الهولندي، واللاعب الشهير الأول الذي دوّن اسمه مع منتخب هولندا "البرتقالي" كان خالد بولحروز الذي لعب لهذا المنتخب طيلة سنوات ومثله في مونديال 2006، وهو ما ساهم ربما في فتح شهية بقية اللاعبين خلال السنوات الأخيرة للعب مع منتخب هولندا.

لدارسة هذا المعطى قد نحتاج للعودة قليلا إلى الوراء وتحديدا إلى حقبة السبعينات والثمانينات، حيث عرفت ظهور جيل جديد من المغاربة الذين اختاروا الهجرة نحو بلاد "الأراضي المنخفضة" عوضا عن فرنسا التي شكلت فيما سبق الوجهة الأفضل لمهاجري بلدان شمال أفريقيا.

مرت السنوات بسرعة البرق، وخلّف هذا الجيل من المغاربة المغتربين الذين استقروا في هولندا جيلا جديدا نشأ وترعرع وتعلم في هولندا، وكانت علاقته بموطنه الأمّ تقتصر على ارتباطه بوالديه ومحيطه العائلي الضيق، وفي أفضل الحالات زيارة بلده الأصلي في فترات متباعدة على امتداد سنوات طويلة.

هو جيل جديد أثمر شبابا يافعين فيهم من نجح في الدراسة والموسيقى والعلوم، وفيهم أيضا من برز ونجح في الرياضة وتحديدا في كرة القدم، وبما أن أغلب الأندية الهولندية تعتمد على سياسة اكتشاف المواهب أسوة بمدرسة أياكس أمستردام الشهيرة، فإن هؤلاء اللاعبين المغتربين وجدوا مجالا رحبا للتألق والبروز والتدرج بثبات نحو النجاح والتألق واللعب ضمن فرق الكبار.

منذ سنوات قليلة قدمت الكرة الهولندية جيلا جديدا من اللاعبين المتميزين ومن بينهم ظهر النجم إبراهيم أفيلاي، وهو لاعب من أصول مغربية حقق نجاحا كبيرا مع نادي أندهوفن قبل أن يختطفه نادي برشلونة الأسباني، أفيلاي كان من بين اللاعبين المغاربة الذين اختاروا تقمص زيّ المنتخب البرتقالي، ولولا الإصابات اللعينة التي تعرض لها لكان في مكانة روبن وفان بيرسي في هذا المنتخب.

أما على صعيد منتخبات الشبان، فإن المتأمل والمتابع لشؤون الكرة الهولندية يدرك حتما أن عددا كبيرا من اللاعبين الذين لهم أصول مغربية يلعبون لهذه المنتخبات، وقد تجلى هذا الأمر خلال العام الحالي عندما عرفت تشكيلة منتخب هولندا للشباب ظهور ستة لاعبين مغاربة هويّة وأصولا، وفي مقدمتهم أنور الغازي فضلا عن إبراهيم داري ومحمد رايحي وياسين أيوب وأنس شهبر.

وبما أن منتخب هولندا الأول يعاني حاليا في التصفيات المؤهلة لبطولة أمم أوروبا 2016، فإن الباب بات مفتوحا على مصراعيه أمام هؤلاء كي يعززوا صفوف المنتخب الأول، بل إن البداية كانت مع أنور الغازي نجم أياكس أمستردام الذي وجهت له الدعوة الأسبوع المنقضي للعب مع المنتخب الهولندي الأول.

الغازي الذي يعتبر من أفضل مواهب الكرة الهولندية لم يتردد لحظة في قبول الدعوة، مفسرا اختياره بأنه يريد اللعب مع منتخب البلد الذي احتضنه وكوّنه، وذلك لا يعني بالمرة أنه يتنكر لأصوله المغربية، بل إن شعوره بكونه هولندي النشأة والتكوين دفعه إلى عدم التردد في اختيار اللعب مع المنتخب الهولندي.

في الأثناء فإن المسؤولين عن الكرة المغربية وكذلك مدربو المنتخبات المحلية اجتهدوا وجاهدوا وحرصوا دوما على استمالة عدد كبير من هؤلاء اللاعبين المغتربين، ونجحوا في مساعيهم مع عدد منهم وفي مقدمتهم مهدي بن عطية الذي نشأ في فرنسا وبات حاليا من أفضل المدافعين في العالم، كما قدم من هولندا منير الحمداوي الذي فضل اللعب مع منتخب بلده الأصلي على الانضمام لمنتخب "الطواحين".

وفي خضم هذه المعطيات يبقى السؤال الملحّ، هو ماذا سيكون موقف وشعور اللاعبين ذوي الأصول المغربية والذين ينشطون مع منتخب هولندا في صورة مواجهتهم لمنتخب بلدهم الأم؟ وهل يستلذون ويفرحون بالأهداف التي قد يسجلونها؟.. لندع الأمر للظروف فربما يحمل مونديال روسيا 2018 الإجابة عن هذين السؤالين.

* كاتب صحفي تونسي

فينوس تحرز لقب بطولة ووهان للتنس

❏ **ووهان (الصين)** - أحرزت الأميركية المخضرمة فينوس وليامز المصنفة الأولى عالميا سابقا، لقب بطولة ووهان للتنس للسيدات أمس السبت بعد فوزها على منافستها الأسبانية غاربين موغوروزا بلانكو.

ففي المباراة النهائية للبطولة المقامة في الصين فازت فينوس (35 عاما) على المصنفة الخامسة موغوروزا بلانكو بانسحاب اللاعبة الأسبانية بسبب الإصابة، عندما كانت النتيجة تشير لتقدم فينوس 3-6 و3-صفر.

وهذا هو اللقب رقم 47 لفينوس في ملاعب التنس، في 77 نهائيا خاضتها على مدار مسيرتها الرياضية حتى الآن، وهو أهم لقب تحرزه خلال خمس سنوات. وسبق لفينوس الفوز بألقاب سبع من بطولات "غراند سلام" الأربع الكبرى، وهو الفوز الثالث لفينوس في مواجهاتها مع موغوروزا، حيث سبق لها الفوز على اللاعبة الأسبانية في بطولتي فلوريانوبوليس عام 2013 وأوكلاند العام الماضي.

وقالت فينوس بعد الفوز "أهنئك يا غاربين على الصعود للمباراة النهائية، أعلم أنك واجهت مباراة صعبة (ما قبل النهائي أمام الألمانية أنجليكه كيربر) الجمعة، الأمر لا يكون سهلا عندما لا تقدمين أفضل ما عندك".

وصمدت اللاعبة الأسبانية ابنة الحادية والعشرين في المجموعة الأولى قبل أن يتراجع مستوى أدائها بصورة ملحوظة بعد الشوط السابع، لتخسر خمسة أشواط متتالية بعد ذلك وتقرر الانسحاب لعدم قدرتها على الاستمرار. وقالت موغوروزا بلانكو بعد الهزيمة "هذا يوم حزين، أشعر بحزن بالغ لاضطراري للانسحاب من المباراة، لكني أمضيت أسبوعا مذهلا هنا في ووهان".

وبناء على ما قدمته في البطولة ستصعد موغوروزا بلانكو إلى المركز الخامس عالميا عند صدور قائمة التصنيف الجديدة غدا الاثنين، وهو أفضل مركز تحصل عليه خلال مسيرتها في حين ستصعد فينوس من المركز 24 إلى المركز 14.

إصابة موغوروزا بلانكو تمنح اللقب لفينوس

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

المهاجرون يشقّون طريقهم إلى قلوب المجريين بوجبات شهية

اكتشفت مجموعة من المطاعم في العاصمة المجرية بودابست طريقة مبتكرة لتغيير موقف مواطني المجر من أزمة المهاجرين في أوروبا، بتقديم أطباق شهية من سوريا ودول أخرى يأتي منها الكثير من اللاجئين.

❏ **بودابست** – يعرف عن المجريين ولعهم الشديد بالطعام الشهي، مما دفع المطاعم بالعاصمة بودابست للقيام بمبادرة تستهدف تقديم صورة أكثر حميمية وإنسانية للثقافات التي تركها خلفهم عشرات الآلاف من المهاجرين الذين يتدفقون على أوروبا.

وقالت هانا مايكس منسقة مشروع الطهي الذي تنظمه مؤسسة أرتيميسيو "عندما نتعرف على المظاهر المختلفة لحياة الناس أو نتذوّق الأطعمة والأطباق التي كانوا يتناولوها في مواطنهم، فإن ذلك قد يؤدي إلى إزالة الحواجز النفسية في أذهان الناس".

وتوفر هذه المبادرة التي تستمر أسبوعا معلومات عن مفردات الحياة اليومية في أربع دول هي سوريا وأفغانستان والصومال وإريتريا، وتتضمن إجراء مقابلات مقتضبة مع مهاجرين يعيشون في المجر.

وتعرضت حكومة المجر اليمينية لانتقادات بسبب حملتها ضد المهاجرين الفارّين من الصراعات والفقر في الشرق الأوسط ومناطق أخرى، وتركزت الانتقادات على بناء سياج حديدي على طول حدودها الجنوبية مع صربيا.

وقال إيفان ساندور مدير مطعم "مانغا كاوبوي" في إحدى الضواحي التي تعج بالحركة في وسط بودابست، إن المشروع الذي يقوم من خلاله المهاجرون بتقديم وصفات للمطاعم لإعدادها، قد يساعد على تخفيف حدة التوتر الذي أجّجته أزمة المهاجرين في المجر.

وقال ساندور الذي يشارك مطعمه ضمن عشرة مطاعم في المشروع "على مدى الأسابيع القليلة المنصرمة حاولت كل الأطراف استغلال التوتر لتحقيق مكاسب سياسية، أعتقد أننا نستطيع نزع فتيل هذا التوتر على مائدة عامرة بالطعام الشهي".

الطعام ثقافة وتواصل

وكانت عقيلة سابونا (27 عاما)، وهي من المهاجرين الذين يساهمون في المشروع قد قدمت مع أسرتها إلى المجر من أفغانستان قبل عدة أعوام. وقالت "لأني نباتية تحدثت معهم عن أطباق نباتية مثل بوراني بانجان (طبق تقليدي يعد من الباذنجان)".

وكانت سابونا تتحدث وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، بعد أن حصلت لتوها على الجنسية المجرية.

وساعدت سابا تيسفاي (37 عاما)، وهي مولودة لأمّ مجرية وأب إريتري مطعمين على اختيار أطباق إريترية تقليدية، منها مثلا طبق أنجيرا، وهو عبارة عن خبز شبيه بالفطائر يقدم مع اللحم بالصوص الحار وبخنة الدجاج مع البيض والعدس.

وتؤكد تيسفاي وهي عالمة أنثروبولجيا ثقافية أنها لم تتعرض لأيّ مشكلات على الإطلاق كمهاجرة من الجيل الثاني نشأت في المجر، لكنها قالت إن أزمة المهاجرين في الوقت الراهن تجعل الحياة أصعب.

وعلى الرغم من أن معظم المهاجرين الذين يحاولون دخول المجر لا يعتزمون الإقامة فيها، لكنهم ينوون السفر غربا لا سيما إلى ألمانيا، فإن رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان يقول إنه يعمل على إنقاذ "القيم المسيحية" لأوروبا بإغلاق الطريق البري الرئيسي، لأن معظم المهاجرين من المسلمين.

وأثار موقفه المتشدد غضب جماعات حقوق الإنسان وبعض الحكومات التي ترى أن السياج الحدودي الجديد سيعيد أوروبا إلى حقبة من الانقسام، كالتي سادت خلال الحرب الباردة.

ومع ذلك يتمتع أوربان بتأييد من الأوروبيين الذين يقولون إن تدفق المهاجرين سيزيد الضغط على الخدمات العامة وسيزيد من حدة التوتر العرقي.

فنانو لبنان يوقعون أكبر علم بمحبة الوطن

❏ **بيروت** – نظمت "لجنة لبنان الإبداع لأطول علم لبناني" احتفالية تم خلالها توقيع أكبر علم لبناني، ليبقى شعارا يجمع كل اللبنانيين على اختلاف أطيافهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية.

وقال رئيس اللجنة المنظمة للحملة، سام سعد، إن "أهداف الحملة ليست فقط التوقيع ليكون لدينا أكبر علم لبناني، بل أن نكون جميعا تحت رايته، من كل الاتجاهات، لنكون الوجه الحضاري، الذي يجتمع عليه كل لبناني مقيم ومغترب".

وأكد الرئيس الفخري للجنة الإبداع، الإعلامي جورج قرداحي، أن "العلم هو رمز الوطن، ورايته يجب أن تنتشر في العالم".

وقد تجمّع حشد من الفنانين والشخصيات الثقافية والاجتماعية ونشطاء وإعلاميين في مرفأ بيروت أمام الباخرة "أورينت كوين" للإعلان عن انطلاق الحملة للتوقيع على العلم الذي افترش الرصيف، ليستقبل الأقلام المحبّة قبل انطلاق جولته حول العالم ليجوب 52 دولة بعد لبنان.

وبدأ الاحتفال بكلمة قدمها الإعلامي والممثل ميشال حوراني الذي فصّل معاني ألوان العلم اللبناني بطريقته السلسلة، وروى حكاية العلم وأسباب جولته حول العالم.

ويحاول الشعب اللبناني التشبث بحب الحياة رغم الأزمات الأمنية والسياسية التي يمرّ بها في كثير من الأحيان، وتفاقم الصعوبات الاقتصادية والمعيشية.

وتعرضت لبنان لسلسة من العمليات الإرهابية أبرزها تفجيران استهدفا ضاحية بيروت الجنوبية ذات الغالبية الشيعية، وتفجيران استهدفا مسجدين في طرابلس.

وتندد النخب المثقفة ونجوم الفن والإعلام بالتوتر الأمني الذي تعيشه لبنان وبحوادث الإرهاب التي تعصف بأمنه واستقراره.

وسجّل في وقت سابق مجموعة من نجوم لبنان في الفن والتمثيل والرياضة موقفا ضد القتل والحزن الذي لف بيروت، بإحيائهم حفلة موسيقية، ردا على التفجيرات والتوترات الأمنية والانقسامات الطائفية التي تشهدها بيروت.

وقام نخبة من الفنانين والرياضيين والممثلين بإحياء حفلة فنية حملت شعار "لبنان واحد" لتحدي الإرهاب وإضاءة عتمة شوارع بيروت برسائل مملوءة بالسلام والمحبة إلى العالم، وخرق المشهد المشوه الذي يطغى على الصورة الحقيقية للبنان في الأشهر الأخيرة.

ومبادرة "لبنان واحد" حركة غير سياسية يدعمها رجال أعمال لبنانيون، تأتي بعد موجة تفجيرات أدت إلى مقتل العشرات في أرجاء لبنان.

وهتفت مجموعة من المغنين والممثلين والموسيقيين والرياضيين معا "رسالة واحدة، صوت واحد، لبنان واحد.. متحدون من أجل الغد"، وتأتي هذه المبادرة رغم الظروف الأمنية الصعبة والتوترات والإحباطات التي يعيشها الشعب اللبناني.

وحاول الفنانون تعزيز مساحة الفرح والموسيقى، وإبدال الحزن بالرقص، والحرب بالطمأنينة، عبر الأغاني.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

أمراض «الفيس»

❏ كتبت إحدى الصديقات على صفحتها "طلقني زوجي رئيس التحرير"، تعجبت وأنا أقرأ الخبر.. فهما متزوجان منذ 25 عاما! ولماذا كتبت هي ولم يكتب هو؟

المهم أن تعليقات القراء تراوحت بين المواساة والشفقة و"خد الشر وراح"، القضية الأهم لماذا أرادت نشر الخبر؟ هل الطلاق أصبح مثل الزواج لا بد له من إشهار! هل تريد تشويه زوجها الصحفي والنيل منه؟

القضية أخطر من ذلك، لقد أصبحنا "عرايا" على الفيسبوك، ماذا نأكل؟ البلاد التي نسافر إليها؟ الهدايا التي نقدمها للخطيبة أو للحبيبة! والمصيبة هي الفتيات اللاتي يضعن صورا لضباط جيش وشرطة ويغازلهن! ألسنا في حرب ضد الإرهاب؟

زمان، كان ممنوعا نشر رتب وصور الضباط المتقاعدين بعد وفاتهم في جريدة الأهرام، الآن أصبحنا "مفضوحين" في كل شيء، إذا سافر أحدنا يصوّر كل الأماكن التي يزورها ويجعل الآلاف يرونها مع الفنادق الفاخرة التي ينزل فيها!

هذه الأفعال تثير الأحقاد الطبقية، هناك فقراء لا يملكون ثمن تذكرة قطار للإسكندرية ويرون مباهج ومفاخر بعض الأسر، فيزداد الحقد عليهم..

ما المبرر لأن نضع كل ما نأكل على الفيسبوك، التفاخر بالولائم ونوعيات الطعام لا داعي لها، الذي يحب زوجته ويتغزل فيها لا مكان لعواطفه على السوشيال ميديا.. العلاقات الأسرية والزوجية أسرار مقدّسة، لا يصح الخوض فيها، إذا كانت هناك نكته أو موقف طريف لا بأس.

الأدهى من كل ذلك الذين يوثقون صدقاتهم للفقراء والمحتاجين بالصور ويعرضونها على الإنترنت، إنها الصدقة التي يتبعها منّ وأذى وهي التي نهانا عنها القرآن الكريم.

حتى العبادة والتقرب إلى الله أصبحنا نتباهى بهما، وزادت عن الحد هذا العام في موسم الحج، حيث تسابق المصريون على نشر صورهم أمام الكعبة ليعرف الجميع أنهم حجوا.

يمكن أن تحتفظ بالصورة لنفسك وتعلقها في منزلك هذا أفضل، لا داعي أيضا لنصور أنفسنا ونحن نؤدي الصلوات الخمس، إذا أخطأ شيخ ما في تفسير أو فتوى نقسو عليه ونفضحه، رغم أنه يمكن أن يكون مصيبا.

الفتاة التي تتم خطبتها لعريس غني فتصوّر "شبكتها" الذهبية المليئة بالمجوهرات وتعرضها علينا، فتتألم الفقيرات اللاتي تزوجن بملاليم، والشاب الذي يشترى ملابسه من أرقى الماركات العالمية، وينتعل أحذية غالية الثمن، ويدلنا على أماكن بيعها، وكأننا كلنا قادرون مثله..

يا أهل بلدي.. لقد أصابنا الفيسبوك بأمراض المظهرية والاستعراض والتفاخر في كل نواحي الحياة، أصبحنا مجتمعا عاريا أمام بعضنا البعض، إنها ظاهرة تحتاج أن نعيد التفكير في حياتنا بشكل أكثر إيجابية، خصوصا أن الفيسبوك لا يستخدم بهذه الطريقة في أوروبا وأميركا.

إميلي بلانت تنتظر «قاتل مأجور»

❏ **لوس أنجلس** – تنتظر النجمة البريطانية إيميلي بلانت في السابع من أكتوبر الجاري طرح فيلمها الجديد "سكاريو" (قاتل مأجور) في القاعات العالمية، حيث تقوم فيه بدور عميلة في المباحث الفيدرالية الأميركية تدعى كيت مايسي، وهي المنتدبة الجديدة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، حيث يكمن عملها على الميدان في إيقاف مهرب مخدرات مهم في إطار مهمة سرية، فتواجه بخيبات أمل متلاحقة.

و"قاتل مأجور" هو فيلم دراما جريمة أميركي لقصة مثيرة قاتمة عن الحرب ضد عصابات المخدرات على الحدود الأميركية المكسيكية، وهو من إخراج الكندي دينيس فيلنوف وتأليف تايلور شيريدان.

والفيلم يشارك في بطولته إلى جانب كل من إيميلي بلانت، "سكاريو" الممثل الأميركي البورتوريكي بينيشيو ديل تورو وجوش برولين وجون بيرنثال.

وجدير بالذكر أنه وقع اختيار "سكاريو" للمنافسة على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي في دورته الـ68 الأخيرة.